الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران01-أحمد بن بلة

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

سيميائية الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة

(همس الرّمادي-هوامش الرّحلة الأخيرة-سفر السّالكين) لمحمد مفلاح نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير مشروع: سيميائية الخطاب السردي في الرواية الجزائرية المعاصرة

إعداد الطالبة: إشراف:

إدريس زهرة أ/د هواري بلقاسم

لجنة المناقشة

1- أ/د اسطمبول ناصر-جامعة وهران1.....رئيسا

2- أ/د هواري بلقاسم-جامعة وهران1 .....مشرفا ومقررا

3- د/ العزوني فتيحة-جامعة وهران1 .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى القلبين الرحيمين اللذين رباني صغيرا وعلّماني كثيرا:

أبي وأمي حفظهما الله تعالى..

إلى أسرتي..

إلى كل شخصية عالـمة..

إلى كل العلماء العاملين..

كلمة شكر

قال تعالى:﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾النمل19.

أتقدّم بالشّكر الجزيل والعرفان بالجميل، إلى:

كل من علّمني حرفا أو كلمة طيّبة.

كل من نوّر دربي بنصائحه وتوجيهاته.

كلّ من ملأ جعبتي بالعلم والمعرفة من معلّمين وأساتذة ومدراء ومفتّشين.

كل من أفادني من تجاربه في الحياة.

كلّ من ساعدني على تخطّي الصّعوبات.

إلى كلّ هؤلاء شكري وامتناني.....

مقدمـــة

لقد استطاعت الرّواية في الآونة الأخيرة أن تحقق ثراء متميّزا، مكّنها من احتلال الصّدارة في متناول المناهج الحديثة على غرار السّيميائيّات التي أولت هذه الأخيرة أهميّة بالغة، من خلال ما أوجدته من طرق وخطاطات مكنت بها الباحثين من تناول هذا الجنس الأدبي وعناصره بالتّحليل والتّأويل، ومن بين ما تناوله الباحثين والنّقاد هو عنصر الشّخصيّة الذي يعدّ العمود الفقري للرّواية.

إذ يعدّ بيان ماهية الشّخصيّة وأنماطها في أي عمل روائي من الموضوعات المهمّة التي يرتكز إليها الباحث في درس الفن الرّوائي، ولأنّ الشّخصيّة هي مرتكز ومعماريّة الرّواية، فلا يمكن أن تقوم رواية ما دون وجود عنصر الشّخصيّة التي تسهم بفعلها في دفع عجلة سير الحبكة،لأنّ ما يصدر عنها من حركة وأحداث هو الذي يمدّ الرّواية تواجدها.

وتأسيسا على أهميتها كعنصر فعّال رافقتها تغيّرات جذريّة في الدّراسات الأدبيّة لاتّصالها بفلسفات وتوجّهات مختلفة، جعلتها تتخبّط في متاهة منطويّة فيها على أسرارها، إلى أن ظهرت الدّراسة الشّكلانيّة الرّوسيّة كدراسة جدّية قلبت موازين النّص السّردي ككل من السّياقية إلى البنيوية المحايثة، التي اعتمدت على مساءلة النّص بعيدا عن عوالمه الخارجيّة، وهذا التّغيير مسّ أيضا عنصر الشّخصيّة كونها مكوّن سردي أساسي.

كان ما قدّمه "بروب" رائد المدرسة الشّكلانيّة في كتابه "مورفولوجيا الحكاية" جسر عبور لمضامين النّص السّردي، ممهدا بذلك الطّريق أمام مدرسة باريس السّيميائيّة وروادها، لاتّخاذ نفس النّهج في التّعامل مع النّصوص السّرديّة، وبما أنّ الشّخصيّة لابدّ من حضورها في ذلك ثانويّة أو رئيسيّة، فهي الأخرى أخذت نفسا جديدا عند الشّكلاني "بروب" الذي ركّز على ما تقوم الشّخصيّة أكثر ممّا هي عليه متخطيا في ذلك المناهج التّقليديّة التي تربط النّص بكاتبه، وتبحث عن علاقة المضمون الرّوائي بالظّروف الخارجيّة لإنتاجه.

فمهد بذلك لتعامل جديد معها على يد رواد مدرسة باريس، وفي مقدّمتهم "غريماس" الذي نظر إليها كوحدة نصيّة لا امتداد لها خارج بنية النّص، حاصرا إيّاها في عوامل محدّدة تتشابك وتتعالق فيما بينها مولّدة نسيجا عميقا، وتشاكلا صوريا خطابيا من خلال ما تقدّمه من تحولات وتحويلات لا نقف عليها إلاّ بالرّجوع إلى البرامج السّرديّة المكونة للمتن الحكائي.

ولعلّ شائكيّة هذا العنصر داخل المتن الرّوائي هو الذي جعل موضوع البحث موسوما بـ: **سيميائيّة الشّخصيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (همس الرمادي–هوامش الرحلة الأخيرة–سفر السّالكين) لمحمد مفلاح نموذجا**

والذي طرح أمامنا جملة من الإشكالات دفعت بخطى البحث على نحو ما سيكون عليه تمثّلت في:

ما مفهوم الشّخصيّة ؟ وكيف تناولتها السّيميائيّة؟ وما هي أنواعها وأبعادها؟ ثمّ كيف تمظهرت الشّخصيّة دلاليّا في روايات محمد مفلاح ؟ وما طبيعة العلاقة التي تربط أسماء الشّخصيّات بسماتها وسلوكاتها ووظائفها داخل السّياق السّردي؟ وكيف تكون الشّخصيّة دالا ومدلولا؟ وهل هناك علاقة بين دال الشّخصيّة ومدلولها؟

ومن بين الدّوافع التي وقفت وراء اختيارنا هذا الموضوع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– ذلك الأفق الذي يعمل الكاتب على منحه للشّخصيّات عبر أدوارها، تجعل المتتبّع للرّواية يتكشّف أغوارها بعد إبهام يولد في نفسه شغف متابعة وتقصي ما تتلبّس به هذه الشّخصيّات من علامات، فيصبح حينئذ المضمر ظاهرا، والغامض مفهوما، وكأنّه دخل في لعبة خياليّة أبطالها دال ومدلول الشّخصيّة.

– كون هذا الموضوع ثري وغني يفسح المجال أمام الباحث للإبحار في دراسات شتّى، يختار منها ما يتناسب مع موضوعه ومنهجه.

– تنوع الإنتاج الرّوائي عند محمد مفلاح، وقرب نصوصه من الواقع.

– المساهمة من خلال هذا البحث في كشف النّقاب عن عنصر الشّخصية من منظور سيميائي في روايات محمد مفلاح.

– قلة الدّراسات التي تناولت سيميائية الشّخصية في الرّواية الجزائريّة المعصرة.

معتمدين في ذلك على المنهج السّيميائي الذي أصبح تصورا ونظريّة وعلما لا يمكن الاستغناء عنه لما يتميّز به من نجاعة تحليليّة وكفاءة في مقاربة وتحليل النّصوص الأدبيّة عامّة والسّرديّة خاصة.

ولإثراء البحث تم تقسيم البحث– حسب ما اقتضت طبيعة الإشكاليات المطروحة– إلى مدخل وثلاث فصول.

المدخل: جاء معنونا بـ : **السّيميائيّة إشكاليّة الأصول والمصطلح.**

حاولنا جعل المدخل بمثابة خطوة إطلاليّة لابدّ منها للمرور إلى الفصول، حيث تناولنا فيه أصول السّيميائيّات عند الغرب والعرب معرّجين بعدها إلى أبويها "دي سوسير وبورس"، ثمّ ارتأينا أن نتناول أهم المصطلحات التي اعتمدت عليها سيميائيّة غريماس في معالجته النّصوص السّرديّة، رغبة في تجنّب أي سوء تناول أو فهم لهذه المصطلحات في غير ما يخدم البحث.

الفصل الأوّل: جاء معنونا بـ: **السّيميائية السّردية ومفهوم الشّخصيّة.**

هو عبارة تقديم نظري تناولنا فيه بعض المنطلقات المعرفيّة للسيميائية السّردية، ثمّ تعرّضنا إلى مفهوم الشّخصية .

الفصل الثّاني: جاء معنونا بـ: **دال ومدلول الشّخصية وأنواعها**

وقفنا فيه على دال ومدلول وأنواع الشّخصيّة التي زخرت بها روايات محد مفلاح.

الفصل الثالث: جاء معنونا بـ: **الشّخصيّة من المستوى السّطحي إلى المستوى العميق.**

هو فصل تطبيقي حيث حاولنا من خلاله تطبيق النّموذج العاملي على الرّوايات المفلاحيّة، والوقوف على أهم التّمظهرات الدّلالية العميقة لمكون الشّخصية.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا بعض المراجع التي أنارت لنا الطريق ويسّرت لنا السبل، أهمها:

– فيليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائيّة، ترجمة سعيد بنكراد.

- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشّخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنّا مينة نموذجا).
- رشيد بن مالك، مقدمة في السميائية.
- سعيد بنكراد، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقها.
- محمد النّصر العجيمي، في الخطاب السّردي، نظرية قريماس.
- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابية.

أمّا الصّعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا البحث هي قلة المراجع التي تتناول موضوع الشّخصيّة في الجانب النّظري، وندرتها بما يتصل بالجانب التّطبيقي.

وفي الأخير لا يفوتني إلاّ أن أشكر الأستاذ المشرف "بلقاسم هواري" على صبره وتقديمه لنا يد العون وتشجيعه لنا على إنجاز هذا البحث.

وهـــران في 10-06-2016م

الموافق لـ:05 رمضان 1437 هـ

مدخل

السيمياء: إشكالية الأصول والمصطلح

1- أصول السّيمائيات:

أ- السّيميائيّات عند الغرب:

تعدّ السّيميائيّة في الوقت الرّاهن من أهمّ المناهج النّقديّة المنتهجة، والأكثر استقطابا ولفتا لنظر الباحثين والنّقاد، لأنّها تصلح أن تكون وسيلة فعّالة لاستقصاء أنماط متنوّعة من عمليّات التّبليغ والاتّصال، وتأويل كلّ الموجودات تأويلا ذا بصمة خاصة، ونظرا لأنّها تهتم بكلّ العلوم التي على علاقة بالإنسان، خاصة تلك التي تكون قابلة للتّحليل كعلم الاجتماع وعلم النّفس وغيرها.

إنّ رحابة وسعة توجّهاتها في تناول الموضوعات هو الدّافع وراء استمرارها وتطوّرها، لعلّ هذا ما جعل مثلا إيكو(U.eco) «يعرض من الأبواب التي تدخل تحت هذا المجال التّفصيل الآتي: علامات الحيوانات، علامات الشّم، الإتّصال بواسطة اللّمس، كودة المذاق، الإتّصال البصري أنماط الأصوات والتّنغيم intonqtion، التّشخيص الطّبي، حركات وأوضاع الجسد الموسيقى، اللّغات الصّورية، اللّغات المكتوبة، الأبجديات المجهولة، قواعد الأدب، الإيديولوجيات، الموضوعات الجمالية والبلاغيّة»[1] وغيرها كثير.

إنّ تشعّب هذه الموضوعات وإقبالها على السّيمياء، هو نتيجة حتميّة لما يقدّمه هذا العلم من طرق وأدوات مرنة قادرة على الوصف والتّفسير بدقة ورفعة تمدّ بصلة للواقع الفنّي، إضافة إلى رصد البنية الدّلاليّة لكلّ خطاب، إذ نجد بعض الدّارسين العرب المعاصرين يتعاملون مع السّيمياء على أنّها منهج فعّال في معالجة النّصوص والأنساق العلاماتيّة منهم (عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، محمّد مفتاح، أحمد طالب، عبد الحميد بورايو...).

بالرّغم من أنّها من المناهج الحديثة إلاّ أنّ لها جذورا ضاربة في تاريخ الثّقافة الإنسانيّة الغابرة، ذلك أنّ التّفكير العلاماتي أو السّيمائي، قد ارتبط ارتباطا وثيقا منذ القدم بالفلسفة، إذ أنّ

[1]- فاخوري عادل ، تيّارات في السّيمياء ، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر لبنان ط1 1990، ص08.

أغلب الفلاسفة اليونانيين قد تناولوا العلامة من وجهة فلسفية في نظرية المعرفة، حيث كلّ كتاب في الفلسفة لا يخلو من فصل كامل حول العلامة، وذلك خير دليل على أنّ « التّاريخ الفلسفي زاخر في تناول العلامات ابتداء من أفلاطون وصولا إلى كانط»[1]، أو أكثر من ذلك فقد ارتبط(التّفكير العلاماتي) بوجود الإنسان.

فأمكن القول أنّ «الإنسان يدرك العالم المحيط به من خلال العلامات، بل إنّ حياته اليوميّة منظمة بواسطة العلامات»[2] فأضحت العلامات بهذا المفهوم جزء من حياة الإنسان، بها يترجم ما يدور حوله، فعدّ كلّ شيء رمزا (علامة)، حتّى الإنسان هو عبارة عن علامة لا تدرك إلاّ داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، فقيل أنّ «الإنسان مهد العلامات»[3]، سواء في تعامله مع ما يحيط به، أو من خلال تناوله له.

فما كانت هذه الإرهاصات الأولى التي ساهمت في تشكّل السّيميائيّات كمنهج أو علم خاص؟

تعود أصول السّيميائيّات كما سبق القول، إلى عصور غابرة جدّا، إلى حوالي ألفي سنة مضت، أي إلى أيّام اليونانيين، فقد عرفت لفظة العلامة في اليونانيّة بـ"سيمون" وارتبطت ارتباطا وثيقا بعبارة "تيكميريون" التي تترجم عادة بـ"عرض"، إضافة أنّها كانت تستعمل مصطلحا تقنيا في مدرسة "أبيقراط"، وفي التّفكير البرميندي*[4] رغم أنّ فكرة العلامات لم تتبلور إلاّ مع الرّواقيين** بصفة واضحة.

---

[1]- الجبوري محمد فليح ، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 2013، ص53.

[2]- إيكو أمبرتو السيميائية وفلسفة اللّغة، ترجمة د. أحمد الصّمعي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1 2005م، ص17.

[3]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّة والتّأويل، مدخل السّيميائيّات ش.س.بورس، الدّار البيضاء المغرب، ط1 2005م ص30.

[4] – ينظر: إيكو أمبرتو، السّميائيّة وفلسفة اللّغة، تر: أحمد الصّمعي، ص43.

*- نسبة إلى برمنيدس(Parmenide) فيلسوف يوناني عاش بين القرنين السّادس والخامس قبل الميلاد.

**- الرّواقيّون هم من أصول كنعانيّة فنيقيّة، دخلاء على اليونان، فعرفوا بالعمّال الأجانب في أثينا، تمكّنوا من اكتشاف وجهي العلامة من خلال استنتاجاتهم اللّغوية خاصة أنّهم كانوا يتقنون ثلاث لغات.

فأصولها إذن تعود إلى أيّام الرّواقيين(Le storciens) الذين كانو السّبّاقين إلى استنتاج طرفي العلامة (الدّال والمدلولsignifiant – signifie)، متأثرين في ذلك بثلاثيّة كل من أرسطو(Aristot) وأفلاطون(Aphlatun) (العبارة، المضمون، المرجع) أي لغة التّعبير.

لذلك التحمت اللّغة لدى الرّواقيين بنظريّة العلامات، فكان لهم السّبق للكشف عن وجهي العلامة، متوصّلين إلى الاختلاف الحاصل بين الدّال(signifiant) والمدلول(signifie)، انطلاقا من تجاربهم التي اكتسبوها من الازدواج الثّقافي والحضاري واللّغوي، الأمر الذي جعل دراستهم للعلامة، ليست علامة لغويّة فحسب، وإنّما هي علامة منتشرة في شتّى مناحي الحياة الاجتماعيّة،[1] هذه النّظرة الثّنائيّة للعلامة وردّها إلى مرجعها الاجتماعي، هي نفس ما تناوله لاحقا سوسير(Saussure) في تفسيره للعلامة.

تأسيسا على ذلك فإنّ الرّواقيين (Le storciens) هم أوّل من قالوا أنّ «للعلامة(signe) وجهين دال ومدلول(signifiant-signifie) »[2] وأدركوا الاختلاف بينهما، وضرورة التحامهما في نفس الوقت.

وتلي مرحلة الرّواقيين مرحلة القدّيس الجزائري "أوغسطين" التي تقول عنه فريال غزّول:« إنّ أهميّة القدّيس أوغسطين(354-430هـ) تكمن في تأكيده على إطار الاتّصال والتّواصل عند معالجته لموضوع العلامة»[3] وهو إثبات لوجود العبارة في علوم تفسير وتأويل الدّيّانات.

وتوالت هذه الإشارات السّيميائيّة لركح من الزّمن، عبر حقب زمنيّة متفاوتة، وقد تمّ فيها الإشارة إلى مصطلح السّيميائيّات بعينه، نذكر على سبيل المثال الفيلسوف "هوسرل Husserl" الذي ألّف دراسة كبيرة بعنوان سيميائيّات(sémiotic)، إضافة إلى دراسات أخرى تلت،

[1]- ينظر: إيكو أمبرتو، السّيميائيّة و فلسفة اللّغة،ص 76. وينظر أيضا آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: بن مالك رشيد ، تقديم: عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع ط1 2008، ص26./27.

[2]- آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: رشيد بن مالك، ص26.

[3]- المرجع نفسه، ص 27.

كدراسات برتر اندراسل وفنغشتايش(wittgenstein) وغيرهم كثير الذين تحدّثوا عن السّيميائيّات.[1] ولعلّ أهم هذه المراحل مرحلة (جون لوك) التي « تعدّ المرحلة الحقيقيّة في تمييز السّيمياء عن غيرها من العلوم، التي كانت تحتضنها وتختلط معها في أغلب الأحيان »[2].

إذا كانت الإشارات الغربيّة الأولى سارت على هذا المنوال، فكيف كانت هذه الإشارات عند العرب؟ وهل هي ترجمة حرفيّة مطابقة لبزوغ التّفكير السّيميائي الغربي؟ أم أنّ العرب كان لهم اجتهادهم الخاص؟

ب- السّيميائيّات عند العرب:

لقد عرفت لفظة السّيمياء في معاجم وكتب عربيّة كثيرة بمعاني مختلفة، فالمتتبّع للحركة السّيميائيّة عند العرب يدرك أنّ ظروف ظهورها تختلف اختلافا يكاد يكون جذريا عن تلك التي رافقت ظهورها في البحوث الغربيّة، ذلك أنّها كانت نتيجة مخاض العديد من العلوم على اختلاف مجالاتها.

إنّ تتبّع مسار تراثنا العربي الضّخم بتنوّع علومه من نحو وبلاغة وعلم التّفسير، وعلم الكيمياء و الطّب، أسرار الحروف و خواص الأحرف والأسماء التي استعملت في السّحر و الشّعبذة، فكلّ منها تلميحات سيميائيّة تكاد تكون المؤسّس الأوّل لهذا العلم.

لكن لظهور هذا العلم على حدّ قول فيصل الأحمر كان « لابدّ من تصفيّته من التّراب والشّوائب الأخرى لأنّها كالمعادن النّادرة(...)لا تنتظر إلاّ التّصفيّة والتّرتيب للحصول على سيميائيّات بأصول وقواعد عربيّة خالصة»[3] وهذا إذا دلّ فإنّه يدلّ على ثراء التّراث العربي الذي لا

[1]- آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ،ص28.

[2]- اسكندر غريب، الاتّجاه السّيميائي في نقد الشّعر العربي، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية د.ط 2002، ص07.

[3]- الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، الدار العربية للعلم ناشرون منشورات الاختلاف ط1 2010، ص29.

يستهان به في كلّ العلوم، والحديث في هذا أوسع، لكن سنحاول إضاءة بعض ما جاء عند العرب من إشارات وتلميحات سيميائيّة.

ومن بين علماء العرب الذين تناولوا علم السّيمياء في أعمالهم بصريح العبارة، نجد "ابن سينا" في مخطوط له بعنوان (كتاب الدّر النّظيم في أحوال التّعليم) الذي وجد فيه فصل تحت عنوان "علم السّيمياء"، وكذالك نذكر "ابن خلدون" الّذي يخصّص فصلا في مقدّمته لعلم أسرار الحروف الذي هو كما يقول المسمّى بالسّيمياء.[1] فقد عرف علم أسرار الحروف على أنّه فرع من فروع السّيمياء فتوالت وتعدّدت مسائله في تآليف العرب.

كما ارتبطت السّيمياء عند العرب ارتباطا وطيدا بعلوم التّفسير والتّأويل خاصة علم الدّلالة، وربّما مردّ ذلك أنّ الدّلالة عند العرب «تتناول اللّفظة وأثرها النّفسي، أي ما يسمّى بالصورة الذّهنيّة(Image acoustique)، كما أنّ العرب تحدّثوا عن المرجع من العلامة اللّفظيّة، وهكذا نجدهم اقتربوا كثيرا من موقف دي سوسير الذي يقول: إنّ الحقيقة في وضع الألفاظ، إنّما هو للدّلالة على المعاني الذّهنيّة دون الموجودات الخارجيّة»[2] فردّ العلامة اللّفظية للجانب النّفسي في الدّلالة العربيّة هو يدلّ على تأثر العرب بالفلسفة الرّواقيّة.

كما كان تعريف الجرجاني يبيّن صحّة ارتباط الدّلالة بالعلامة حيث يقول:«الدّلالة هي كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به شيء آخر»[3] والعلامة هي بدورها شيء ينوب عن شيء آخر.

تأسيسا على ما سبق نستخلص أنّ السّيمياء عند العرب تلتصق أحيانا بعلوم السّحر والطّلسمات التي تعتمد أسرار الحروف والرّموز والتّخطيطات الدّالة، وقد ارتبطت خصوصا بعلم

---

[1]– ينظر: آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: رشيد بن مالك ص29/28.

[2]– شرشار عبد القادر، مدخل إلى السيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات) منشورات الدار الجزائرية ط1 2015، ص13

[3]– سالم سليمان الخمّاش، المعجم وعلم الدّلالة (للطّلاّب المنتظمين والمنتسبين)، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، د.ط ص3.

الدّلالة لأنّ « مفهوم الدّلالة عند العرب مفهوما سيميائيّا عاما لانعدام اختصاصه بمجال دون مجال آخر، ولاسيّما أنّه يتموضع في مفترق الطّرق بين علوم عدّة...»[1] كالمنطق والتّفسير والتّأويل والمناظرة، وهي كلّها تلميحات تمثّل أصل سيميائيّتهم وعموم معناها.

على الرّغم من الجهود التي بذلت منذ عصور بعيدة، على أيدي كلّ من الفلاسفة اليونانيين والرّواقيين ومن جاء بعدهم سواء متأثّرا أو ناقدا أمثال جون لوك(John Locke)، دافيد هيوم(David Hume)، وكذلك ما وجد عند علماء وفلاسفة العرب أمثال (ابن سينا وابن خلدون والفرابي)، «إلاّ أنّه لم يظهر وعي بعلم العلامات كامل إلاّ في القرن العشرين، تحت رعاية أبوين مؤسسين»[2] أوجدوا هذا العلم في نفس الوقت دون أن تربط بينهما أي علاقة، أو أفكار متبادلة.

2- بين السّيميولوجيا (sémiologie)والسّيميوطيقا(sémiotique):

أ- سيميولوجيا دي سوسير:

إنّ علم العلامات الحديثة « طفل لأبوين: الأوّل: هو شارلز ساندريس بيرس (1839-1914) والآخر هو فرديناند دي سوسير(1857- 1913)»[3]

ففي بداية القرن الماضي بشّر اللّساني السويسري فردناند دي سوسير(saussure) بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم "السّميولوجيا " الذي سيكون على ارتباط وثيق بالحياة الاجتماعيّة، جاعلا بذلك مهمته دراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية حيث يقول :«يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع ، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النّفس

[1] - بن مسعود محمد العرابي، تخوم الدّلالة بين المحايثة والتّأويل عند المناطقة العرب، مجلّة سيميائيّات مختبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب العدد (5) 2015م ص 68.

[2] - بول كوبلي وليتسا جانز، علم العلامات، تر: جمال الجزيري، المشروع القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1 2005م ص13.

[3] - عياشي منذر ، العلاماتيّة وعلم النّص، المركز الثّقافي الدّار البيضاء، ط1 2004، ص33.

الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النّفس العام وسأطلق عليه علم الإشارات semiology...»[1].

فهو إذن يربط السّميولوجيا بعلم النّفس والاجتماع، خاصة أنّ دي سوسير كان ملما باللّغة وعلم اللّسان لذلك كانت انطلاقته في بناء هذا العلم لغويّة محضة على اعتبار أنّ اللّغة «هي نسق من العلامات التي تعبّر عن الأفكار»[2] محاولا من خلال ذلك النّظر إلى اللّغة وتحديدها من خلال العوامل البيولوجيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، خاصة حين «بيّن أنّ موضوع علم اللّغة هو نظام العلامات وآلية اشتغالها بناء على السّلسلة الصّوتيّة للدّال وانعكاساتها الذّهنيّة و المفهومية التي تحدّد المدلول، ومعنى اللّفظة لا يتحدّد بعلاقتها مع الموضوع الذي تحيل إليه، بل بعلاقتها مع بقية ألفاظ اللّغة»[3].

على أساس ذلك اعتبر دي سوسير هذا «العلم هو دراسة حياة العلامات بشكل عام، ومحيط هذا العلم هو الحياة الاجتماعيّة»[4] رغم أنّ لفظة العلامة ليست غريبة الوجود إذ « هي لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية sémion = الإشارة.»[5].

ولعلّ الأمر الذي جعل دي سوسير(De Saussure) يربط السّيميائيّات بعلم النّفس والاجتماع هو إيمانه التّام أنّ العلامات على صلة وثيقة بالإنسان ولصيقة بحياته وتعايشه، وولوعه بما توصّل إليه كلّ من فرويد (Freud)ودوركايم(Durkheim)، لذلك نجده يلحق

---

[1] الجبوري محمد فليح ، الإتجاه السّيميائي في نقد السرد العربي الحديث ، ط1 ، 2013م، منشورات الإختلاف ،ص 52

[2]– شيباني عبد القادر فهيم ، السّيميائيّات العامة أسسها ومفاهيمها، الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى 2010م ص17.

[3] – عيلان عمر ، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق، ط2 (2008م) ص27.

[4]– الجبوري محمد فليح ، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص53.

[5]– دي سوسير فردينان ،علم اللّغة العام، تر: يؤيل عزيز مراجعة النّص العربي، مالك يوسف المطلبي ص، دار آفاق عربية، د.ط ، د.ت، ص34.

السّميولوجيا بعلم النّفس الاجتماعي، ويعتبره جزء منه وبالتّالي يلحق به أيضا اللّغة، وبما أنّ السّيميولوجيا هي علم يدرس العلامات فما مفهوم العلامة عند سوسير؟

مفهوم العلامة عند دي سوسير(de Saussure):

بما أنّ دي سوسير(Saussure) كانت انطلاقته لغوية محضة، فتميّزت العلامة عنده باتّصالها باللّغة، لأنّه أراد الخروج بها من مفهومها السّطحي الذي يجعل منها مجرّد مسميات للأشياء إلى بناء مفهوم العلامة اللّفظية.

لذلك عمد دوسوسير (de saussure) إلى وضع مستويين للعلامة اللّفظية(مستوى نفسي psychque ومستوى مادي materiel) فيحصل في المستوى الأوّل الصّورة السّمعيّة والمفهوم، أمّا في المستوى الثّاني فيوجد الصّوت او الشّيء الخارجي أي:[1]

المستوى النّفسي: الصّورة السّمعيّة ←—— المفهوم

المستوى المادي: الصّوت المادي ←—— الشّيء (الخارجي)

الملاحظ من هذا أنّ دي سوسير اعتمد النّموذج الثّنائي في فهم العلامة اللّغويّة، وبين هذين الثّنائيين تتحقّق العلامة مع استحالة تحقّق أحد الحدّين دون الآخر.

لكن رغم ذلك فإنّ دي سوسير(de Saussure) في اعتماده النّموذج الثّنائي في فهم العلامة اللّغويّة، فقد سبقه إلى هذا التّقسيم بعض الفلاسفة من أمثال هوثر(1640) وجان لوك(1990)وغيرهم.[2]

[1]– فاخوري عادل ، تيّارات في السّيمياء، ص30/31.

[2]– ينظر: تشاندلر دانيال، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهبة مراجعة، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1 2008 ص64.

انطلاقا من هذه الثّنائية عمد دي سوسير(de Saussure) إلى نزع اللّبس أو الإشكال النّاجم عن اعتبار العلامة هي الصّورة الصّوتيّة، فاعتبر أنّ العلامة تتكوّن من دال(signifiant) ومدلول(Signifie)، وربط كلا منهما بالجانب النّفسي، «فالمقصود بالدّال هو الصّورة السّمعيّة لكن ليس الصّوت المسموع المادي بل هو الأثر النّفسي الذي يتركه الصّوت في المستمع».[1]

نتحصّل على:

الجانب النّفسي: الدّال (الصّورة السّمعيّة) ←المدلول.

انطلاقا من ذلك لا يختلف اثنان أنّ معنيي الدّال و المدلول هما على وجه من العموم يتيح تطبيقهما ليس على الألفاظ أي العلامات اللّغويّة فحسب، بل على سائر العلامات وعليه من وجهة نظر دي سوسير، يصبح تعريف العلامة أية علامة على الإطلاق، بأنّها اقتران بين الدّال والمدلول على النّحو الذي سبق ذكره، وجسّده في الصورة التّاليّ:[2]

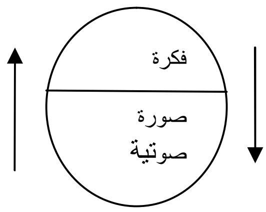

فجعل دي سوسير(de Saussure) في المخطّط سهمين متعاكسين يدلّ على التّفاعل الحاصل بين طرفي العلامة، لكن نزع عنها العنصر الواقعي وجعلها مفهوميّة محضة هو ما اتّخذ عليه من النّقاد؛ فالفكرة هي المدلول والصورة الصوتية هي الدال؛ والعلاقة بينهما اعتباطيّة.

انطلاقا من هذا التّصنيف «اقترح الإبقاء على لفظة sign "الإشارة" للدّلالة على الفكرة بأكملها، واستخدم بدلا من الفكرة concept والصّورة الصّوتيّة sound-image على

[1]– ينظر: تشاندلر دانيال، أسس السّيميائيّة،ص33.

[2]– دي سوسير فردينان ، علم اللّغة العام، ص85.

التّوالي: المدلول signified ‏(signifie) والدّال signifier‏(signfie) ويمتاز التّعبيران الأخيران بأنّهما يوحيّان بالفرق باختلافهما عن الكلّ الذي هما جزء منه».[1]

ولشرح طبيعة العلاقة بين الدّال والمدلول وردّهما بشكل عام للمستوى النّفسي، نأخذ مثالا لسانيا الكلمة "ادفع" (عندما يجدها شخص على باب الدّكان ويحمّلها معنى)، إنّها إشارة تتألّف من دال (ادفع) ومدلول (الدّكّان مفتوح للبيع والشّراء)[2] كما قد اعتبر العلاقة الرّابطة بينهما علاقة اعتباطيّة*، رغم أنّهما ينطويّان تحت مادّة واحدة.

ب- سيميوطيقا شارل سندرس بيرس(**Sharles sanders peirce**):

و في المقابل نجد الفيلسوف الأمريكي بيرس الذي اعتبر السّبّاق إلى التّنبّأ بهذا العلم على المستوى الزّمني، حيث حظي المنهج السّيميائي باهتمام كبير من قبل بيرس(peirce) «إذ قضى جلّ حياته يبحث في أصول العلامات وماهيتها، وله فيها دراسات لا يجمعها جامع واحد»[3] .

الأمر الذي يجعل منه بحق «مؤسس السّيميائيّة الأمريكيّة»[4] خاصة أنّ المنهج السّيميائي هيمن على كلّ أدوات بحثه، فقد صرّح قائلا: «لم أكن في يوم ما قادرا على دراسة كلّ ما درسته رياضيات، ذهن، ميتافيزيقيا، تجاذب(...) ما لم تكن دراسة سيميائيّة»[5] لذلك نجد نظرته للعلامة كانت أوسع ممّا هي عليه عند سوسير.

---

[1]- دي سوسير فردينان ، علم اللّغة العام، ص86.

[2]- ينظر: تشاندلر دانيال، أسس السّيميائية، ص46.

*- الاعتباطيّة: نقصد أنّها علاقة لا ترتبط بالدّافع ، أي أنّ علاقة الدّال بالمدلول ليست صلة طبيعيّة.

[3]- الجبوري محمد فليح ، الاتّجاه السيميائي ص40.

[4] – آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: رشيد بن مالك ، ص133.

[5]- محفوظ عبد المجيد، آليات إنتاج النّص الرّوائي، نحو تصور سيميائي ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2008، ص31.

انطلق من التّقسيم الثّلاثي للوجود الذي بنى على أساسه مفهوم العلامة وعلاقاتها متأثرا في ذلك بالفلسفة وخاصة اليونانيّة منها وعلم المنطق والرّياضيّات، فأخذت العلامة على يده صبغة منطقية فلسفية كما سنتبيّن ذلك.

إنّ بيرس(peirce) استمد معظم مفاهيمه من المنطق والعلوم الفيزيائية ، وكذا الفلسفة يظهر ذلك من خلال تأثره الجلي بكانط(Kant) الذي عدّل بدوره المقولات التي توصل إليها أرسطو من خلال دراسته لبعض الكائنات الحيّة التي وضعها تحت تجارب استخلص منها مقولاته ثمّ عمل كانط بعد استيعابه لهذه المقولات على تعديلها متوصلا إلى اثنى عشرة مقولة التي تأثر بها بيرس، إذ يرى دولودال أنّ بورس تأثّر بالمقولات الكانطيّة بل وهو يصطلح على مرحلة فكريّة من حياة بورس بالمرحلة الكانتيّة ويحدّدها ب(1851-1870) إذ ارتبطت هذه المرحلة بمراجعته للمقولات الكانتيّة في سيّاق المنطق الأرسطي.[1] لذلك أعطى أفقا واسعا لعلامته.

لكن رغم هذا التأثر ثمّة تعارض بين وجهتي نّظر فلسفية لدى كانت وبيرس(فالأوّل يؤمن بالمعرفة التي تسبق الوعي الفكري المتمثّلة في مرحلتي: الحساسية والذّهن والمتولّد عنها التّصوّر الذي يذهب إلى العقل المنظم والمنسق، في حين اعتمد بيرس(peirce) على التّجربة، فهو من التّجريبيين وصاحب الفلسفة البراغماتية التي تقول بحقيقة الأشياء)[2]، وكأنّه كان يبحث عمّا يربط بين حقيقة الوجود وماهية الإدراك.

انطلاقا من فهمه لطبيعة الوجود، اعتمد بيرس التّقسيم الثّلاثي للوجود: الإمكان والوجود والقانون، وما هذه الأبعاد إلاّ تشريح لطبيعة إدراك الأشياء والوعي بها، وهو أولى علامات التّأثير

[1]- ينظر: دولودال، السّيميائيّات أو نظريّة، تر: عبد الرّحمان بوعلي، دار الحوار للنّشر والتّوزيع سورية، ط1 2004م ص19.

[2]- ينظر: الجبوري محمد فليح ، الاتّجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص43.

وأكثرها وضوحا، إذ يعود هذا التّقسيم إلى الرّواقيين ومن قبلهم إلى أفلاطون وأرسطو ولكن بشكل أقل وضوحا.[1] وهو تقسيم يبيّن مراحل إدراك الإنسان لما حوله.

معنى ذلك أنّه يتناول السّيميائية بوصفها علما يستند إلى المنطق والرّياضيّات ولا يحصره في نقطة واحدة، فانطلاقته إذن كانت فلسفية محضة تتضمّن دراسات معمّقة لماهيّة العلامة أدّت بالسّيميائية إلى الاستناد إلى نظرية دلاليّة منعزلة عن البحث الألسني عكس ما تبنّاه دي سوسير الذي ربط العلامات بالعنصر اللّغوي والفعل اللّساني، متوسلا إلى فهم الوجود وترجمته، الذي قسّمه إلى ثلاث مقولات كليّة تعدّ الرّكيزة الأساسيّة في نظريّته وهي:

مقولة الأوّل (الأولانيّة): هي حال وجود ما يوجد بحدّ ذاته، إيجابيا ودون نسبة إلى أي شيء آخر، وتنتمي إلى هذه المقولة الكيفيّات الشّعوريّة(qualities feelings) مثل الأحاسيس كالألم والفرح، وتكون مرتبطة دوما بمقولة أخرى.

مقولة الثّاني (الثّانيانيّة):هي حال وجود ما يوجد بحدّ ذاته، نسبة إلى شيئ آخر ثان، لكن دون اعتبار شيء ثالث، وهي تشكل مقلة الواقع أو الوجود أي كل ما هو موجود في عالمنا الخارجي متجسّدا أو متمثّلا، فهو الملامح والمعالم المشكلة لمفهوم الأولانيّة.

مقولة الثّالث(الثّالثانيّة): هي حال وجود ما يوجد بحدّ ذاته، من حيث أنّه يوقع نسبة بين ثان وثالث، تندرج تحت هذه المقولة كلّ الأشكال والعمليّات الذّهنيّة الواعيّة كالتّفكير والمعرفة.[2]

هذه المقولات الثّلاثيّات التي أوجدها هي أساس بناء العلامة التي تقوم بدورها على ثلاث أطراف منبثقة من هذه المقولات، فكيف بنى بيرس العلامة؟ وما تعرفيها عنده؟

---

[1]- ينظر: الجبوري محمد فليح ، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص44/43.

[2]- ينظر: فاخوري عادل ، تيّارات في السّيمياء، ص48.

يعرّف بيرس العلامة ويسميها المصوّرة، أي أنّها «شيء سواء كان هذا الشّيء محسوسا أو مدركا، مهمتها أن تكون هويّة تعريفيّة لشيء آخر، وهذه العلامة (الشّيء) تخلق في ذهن شخص ما تصوُّرا ذهنيا بإمكانه أن يكون علامة دالة على ذلك الشّيء»[1] خلاصة ذلك أنّ التّعريف الجوهري للعلامة عند بيرس(peirce)هو شيء ما ينوب عن شيء آخر.

عموما يمكن استخلاص كلّ التّعاريف الخاصة بالعلامة في شيئين:

إنّ العلامة بوصفها رموزا صوتيّة ماديّة يصطلح عليها بمختلف التّرجمات الرّكيزة والممثّل والماثول وتقابل الدّال عند سوسير(saussure) والآخر يمثّل الصّورة الذّهنيّة التي يرسمها الذّهن للموضوع وتسمّى المفسّرة أو المؤوّل، وهي تقابل المدلول عند سوسير(saussure)، أمّا الفهم المستقى لما تبقّى من التّعريف فهو يخصّ الشّيء المعبّر عن ذاته، بوصف موضوعه العلامة ويصطلح عليه بالموضوع.[2]

معنى كلّ ذلك أنّ للعلامة ثلاث أطراف منبثقة عن المقولات التّكوينية الثّالثاتيّة، وهذه الأطراف هي: الممثّل، الموضوع، المؤوّل، رغم أنّ الموضوع يشكّل طرف غير ضروري في التّعريف العام للعلامة، وذلك لأنّه يدخل فقط في عمليّة تفسير حدوث عمليّة الإدراك أو بناء المفهوم.

1- الممثل(المثول): هو شبيه في معناه بالدّال عند سوسير(saussure) أي الصّورة السّمعيّة وهو مجرّد احتمال وإمكان غير مجسّد، مجرّد أصوات كلمات مبهمة لكنّه ينقسم بدوره إلى ثلاث أقسام(علامات): [3]

أ- علامة نوعيّة(كيفيّة) qualising.

ب- علامة متفرّدة(تفرّديّة) sinsign .

1- الجبوري محمد فليح، الاتّجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص46.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، ص54.

ج- علامة عرفيّة(قانونيّة) legisign.

2- الموضوع: هو عبارة عن الموضوع الماثل أمام أعيننا فإحالتنا على وجوده مباشرة كإحالتنا على(شجرة) وينقسم بدوره إلى ثلاث علامات:[1]

أ- الأيقونة(iconique): توجد انطلاقا من علاقة العلامة بمرجعها، فإذا كانت العلاقة بين العلامة ومرجعها علاقة مشابهة تكون حينئذ "إيقونة" ذلك لأنّ « كلّ ما يقدّمه لنا الواقع قابل لأن ينظر إليه بوصفه علامة، سواء تعلّق الأمر بشيء واقعي أم بأمر مجرّد كالبيت والحدث والبنية والحركة والصّرخة والصّمت وكلّ شيء يمكن أن يكون علامة أو أن يصبح علامة، بشرط أن يحيل إلى شيء آخر، ولكن هذا ليس ممكنا إلاّ إذا كان من ممكن علاقة ما أن تنشأ بين ما هو حاضر(العلامة) وما هو غائب(مرجعها)، وتعدّ هذه العلاقة علاقة تشابه بشكل أساسي، وذلك لأنّه يجب أن تمتلك العلامة ومرجعها المحتمل شيئا مشتركا.»[2] هذا يبيّن مفهوم العلاقة وكيف تنشأ في الواقع، وهو الذي يجعلها أساسية خاصة في عمليّة التّواصل والتّأويل « فطبيعة العلامة الأيقونيّة القريب دالها من مدلولها تجعل منها علامة سيميائيّة بسيطة الفهم سهلة التّأويل غالبا »[3] فهي عادة ما تأخذ وظيفة لغويّة.

ب- المؤشّر(indice): وهي صيغة ليس الدّال فيها اعتباطيا ولكنّه يرتبط مباشرة وبطريقة ما بالمدلول ومثال المؤشّر الإشارات الطّبيعيّة (الرّعد الصّدى والرّوائح).[4] وهو ينتمي إلى المقولة

---

[1]- الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، ص55.

[2]- عياشي منذر، العلاماتيّة وعلم النص، ص43.

[3]- قوتال فضيلة، أفاق السّيميائيّات البصريّة موضوع السّيميائيّة الأيقونيّة الواصفة مجلّة سيميائيّات مختبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب العدد 5 2015م، ص61.

[4]- ينظر: تشاندلر دانيال، أسس السّيميائيّة، ص81.

الثّانيانية، (ويرتبط ديناميا مع الموضوع الفردي من جهة، وبذاكرة الشّخص ومعاينته من جهة أخرى.)[1]

ج- الرّمز(le symbole): وهي صيغة لا يشبه فيها الدّال(signiant) المدلول(signifie) إنّما هو اعتباطي في أساسه أو محض اصطلاحي[2]، وفي هذه الحالة تكون علاقة العلامة بمرجعها مؤسسة وتواضعيّة.

3- المؤوّل:هو مجموع الدّلالات المسنّنة من خلال سيرورة سيميائيّة سابقة ومثبتة داخل هذا النّسق أو ذاك، وهو تكثيف لممارسات في أشكال سيميائيّة يتمّ تحيينها بالموضوع من خلال فعل العلامة سواء كانت هذه العلامة لسانيّة أو طبيعيّة أو اجتماعيّة.[3] وهو عنصر أساسي من عناصر العلامة، خلاصة كلّ ذلك أنّ بيرس انتهج التقسيم الثّلاثي من المقولات إلى أصغر طرف أحيل له عنصر من العناصر الثّلاثيّة، التي تخضع للتّرتيب الوجودي، فكلّ مكوّن له أولانيّة وثانيانيّة وثالثانيّة، وكلّها تشكّل ترجمة لموجودات.

3- إشكالية تناول المصطلح:

إنّ ما يحدّد استقلاليّة علم ما، هو توفّره على أدوات ونظريّات خاصّة ضمن منهج خاص ملائم، وهذا التّحديد يكون مميّزا بجملة من المفاتيح المصطلحاتيّة، والسّيميائيّة على غرار باقي العلوم التي توخت الدّقة والصّياغة المنطقيّة[4]، لذلك جاءت غنيّة بمصطلحات خاصّة بها وشاملة ومرنة في أدائها، إذ وقع النّقد السّيميولوجي العربي في اضطرابات اصطلاحيّة ومفاهيميّة بسبب تنوّع التّرجمات للمصطلحات الغربيّة.

---

[1]- ينظر: الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، ص55.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص81.

[3]- ينظر: بنكراد سعيد ، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقها، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء،ط1 2003 ص102.

[4]- ينظر: يوسف أحمد ، سيميائيّة جوزيف كورتاس أسسها النّظريّة وآفاقها التّطبيقيّة مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب 2002/ 2003، ص11.

إذ تتقدّم السّيميائيّة كمشروع نظريّة بنواة جديدة وشجاعة مستمدّة أكثر مصطلحاتها ومفاهيمها من علوم مختلفة(لسانية بنيويّة أو منطقيّة فلسفيّة)، وعلى وجه الخصوص من النّموذج البنيوي، فلقد شكلت نظريات سوسير(Saussure) نقطة انطلاق لتطوير منهجيّات بنيويّة متنوّعة تحلّل النّصوص والممارسات الاجتماعيّة[1]، إضافة إلى أنّها استمدّت من علم المنطق و الفلسفة بعض مفاهيمها.

ونظرا لتشعب منبع هذا العلم (السّيميائيّة)، وانتشاره الواسع وانشغال أكبر عدد من النّقاد والباحثين بتفسيره والتّمهيد لفهمه وتطبيقه في مجالات مختلفة، كان تحديد مصطلحه والقبض عليه مستعصيا نوعا ما، ممّا أدى إلى حدوث فوضى مصطلحاتيّة كبيرة جدّا، ومن خلال تتبّع بعض استعمالات هذا المصطلح سنحاول أخذ زوايا نظر متعدّدة، وسرد أهم المصطلحات شيوعا واستعمالا.

تبدأ إشكالية المصطلح من مؤسسي هذا العلم كلّ من (de saussure)سوسير وبيرس(peirce) حيث اصطلح الأوّل " السّيميولوجيا (sémiologie)" في حين استعمل الثّاني "السّيميائيّة (sémiotique)" ، فكان لابدّ أنْ تكون مفردة السّيميولوجيا أكثر إقبالا من طرف الأوروبيين ومتتبعي سوسير من تلاميذ ونقّاد ومتأثرين، فحين استعمل الأمركيون مفردة سيميوطيقا التزاما منهم بالتّسميّة البيرسيّة، هذا فيما تعلّق بالوفاء للإنتماء الجغرافي، أمّا فيما يخص الدّراسات فهناك وجهة نظر أخرى.

إنّ التّداخل بين المصطلحين السّيميائيّة(Sémiotique) والسّيميولوجيا(Sémiologie) قائما، حتّى وإن اختلفا في المنطلقات الإبستيمولوجية والمفاهيم الإجرائيّة، لكنّهما يتفقان –كما أشار إلى ذلك الدّكتور شرشار عبد القادر– حول فكرة تأسيس سيميائيّات لا ينحصر موضوعها في العلامة اللّسانيّة أو البصريّة أو التّصرّفات والقيم.

[1] – ينظر: تشاندلر دانيال ، أسس السّيميائيّة، ص31.

إذ كانت الغاية القصوى من وراء هذا العلم هي دراسة أي شيء حامل للدّلالة.[1] هذا يعني أنّهما متّفقان في موضوع البحث في ماهية العلامة، ومترادفان أيضا على مستوى الدّلالة المعجميّة (فهما يدلاّن في الأصل على الطّب موضوعه دراسة العلامات الدّالة على المرض)،[2] رغم اختلافهما في المنطلق والمفاهيم.

وهو نفس ما يؤكّده تودوروف وديكرو حيث يقدّمان هذين المفهومين في قاموسهما الموسوعي بصيغة العطف والتّمييز: السّيميائيّة أو السّيميولوجيّة هي علم العلامات.[3] إنّ اختلافهما أ0و اتّفاقهما لم يضعا لهذا العلم حدودا أو حاجزا لتطوّره.

لقد عرفت السّاحة النّقديّة العربيّة في مجال السّيميائيّة تخمة مصطلحيّة، إذ كان « اتباع الباحثين لجميع الأساليب العلميّة في قراءة المصطلح السّيميائي الحديث ومحاولة مقاربته مع ما هو شائع في الفكر اللّغوي العربي القديم، من ذلك تقديم مصطلحات في صورتها القديمة أكثر رشاقة وليونة في النّطق مثل: سمة، سيمياء، سيمويّة سيميائية عند عبد الملك مرتاض، وفي المقابل أوجد الباحثان مصطلحات أخرى تقل شيوعا في السّاحة النّقديّة العربية مثل: قون، قونة، ايزوطوبي»[4]

ويمكن تفسير تعدد هذا التّناول وتوضيح ماهيّة هذه الإشكاليّة، «بتعدّد الدّوال لمدلول واحد أو تعدّد المدلولات لدال واحد»[5]، نظرا لرواج التّعدّد الأوّل عند العرب، جعل عمليّة توليد المصطلحات من قبل النّقاد والكتّاب العرب عند التّحليل أو التّعريب، ومن المصطلحات الأكثر رواجا عند العرب مصطلح السّيميائيّة ، ربما بسب قربه من التّراث العربي وحمله للدّلالة القرآنيّة

[1]- ينظر:. شرشار عبد القادر ، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة(نماذج وتطبيقات) ص15/14.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص15.

[3]- ينظر: وغليسي يوسف، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقد العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1 2008 ص 227.

[4]- بوخاتم مولاي حاتم، الدّرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح ديوان المطبوعات الجامعية د.ط 2005 ص240.

[5]- الجبوري محمد فليح، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص149.

على العلامة في بعض السّور، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ سورة الفتح (29).

ومن بين النّقاد والكتّاب الذين استعملوا هذا المصطلح للدّلالة على الإشارات أو العلامات، الدّكتور عبد المالك مرتاض، حيث كتب " دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لنص – أين ليلاي–، كما وكتب "ألف ليلة وليلة دراسة سيميائيّة".

كما نجد الباحث رشيد بن مالك يستخدم مصطلح "سيميائيّة" ونلمح ذلك من خلال أحد مؤلفاته كتاب "مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة"، فقد ارتبط اسعمال السّيميائيّة بالسّرديّة (نظريّة غريماس) خاصة عند العرب، ومردّ ذلك أنّ نظريّة غريماس اعتمدت في تطبيقاتها على السّرد، فتجاوزت الكتابة في هذا المجال ما كتب مجموعا في الأجناس الأخرى.

إضافة إلى أنّ هناك من يستعمل مصطلح "الدّلائليّة" أو مصطلح " العلاماتيّة" مثل : محمد ناصر العجيمي،

واستعملت أيضا لفظة السّيميائيّات من قبل كل من "محمد مفتاح" و"فيصل الأحمر" و" سعيد بنكراد"، ونجد أيضا علم الدّلالة (لمحمد البكري...)، السّيمياء (محمد مفتاح في كتابه —في سيمياء الشّعر القديم) وغيرها من الاستعمالات.

إنّ إشكاليّة تعدّد المصطلح يعدّ أمرا محتملا بالنّسبة لرواج أي نظريّة أو علم مهما كانت انتماءاته، وهذه الاختلافات في تناول المصطلح ليس عند العرب فحسب، لأنّ إشكاليّة المصطلح على حدّ قول عبد السّلام المسدي هي بالنّسبة لأي نظريّة «مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان به يتميّز كلّ منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطلق العلم غير ألفاظه

الاصطلاحيّة»[1]، التي تمثّل المفاتيح الأساسيّة المميّزة له بين الدّراسات والاختصاصات، وهذا ليس أمرا جديدا فقد وجدت منذ القدم خاصة في النّحو والبلاغة وغيرها.

ومردّ ذلك التّنوّع عدّة أسباب يمكن إجمالها في ثلاث نقاط:

الأوّل: يتمثّل في ثقافة المترجم اللّغوية والتّراثية، فهي الخزين الذي ينهل منه مصطلحاته، والثّاني: يعود إلى تمكّن المترجم من اللّغة الذي يترجم منها كالفرنسيّة أو الإنجليزيّة، فمتى ما كان المترجم ملما بمفردات تلك اللّغة ومصطلحاتها، كان أكثر دقة في اختيّار المصطلح، أمّا السّبب الثّالث فهو ثقافة المترجم في الميدان أو الجنس الإبداعي الذي يعمل فيه، فالثّقافة الشّعريّة مثلا هي غير الثّقافة السّرديّة.[2] إضافة إلى انعدام مدارس تعمل على ضبط الجهاز المفاهيمي.

انطلاقا من فرضيّة أنّ «كلّ شيء في الكون هو علامة، والسّيميائيّة هي العلم الذي يعنى بالعلامات عامّة، لذا تشمل السّيمياء كلّ مظاهر الكون والحياة»[3] تفرّعت السّيميائيّات إلى فروع معرفيّة متنوّعة: سيمياء اللّغة، سيمياء الفن، سيمياء الثّقافة، سيمياء الأدب، وإذا قلنا الأدب قلنا الشّعر والسّرد وبالفعل تناولت السّيميائيّة الخطاب السّردي بمساحة أوسع ضمن اتّجاه خاص أطلق عليه اسم "السّيميائيّة السّرديّة.

4- مفاهيم اصطلاحيّة في التّحليل السّيميائي السّردي:

لقد أبحرت السّيميائيّات إبحارا واسعا في الخطابات السّرديّة، منتهجة أساليب وطرق خاصّة، مستنجدة من خلالها الدّلالات وطرق انبثاق المعنى، وأكيد اعتمدت في ذلك مصطلحات ومفاهيم ينبغي على الدّارس الوقوف عند معاينتها حتّى يتمكّن من فهم سبر التّحليل السّردي، فما مفهوم مصطلح السّرد أوّلا؟.

---

[1]- المسدي عبد السّلام ، مباحث أساسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد للنّشر والتّوزيع، ط1-2010م ص43.
[2]- ينظر: اسكندر غريب، الاتّجاه السّيميائي في نقد الشّعر العربي ص153.
[3]- المرجع نفسه، ص159.

فإذا أمعنّا النّظر في هذا المصطلح (السّرد narration) وجدنا أنّه «الجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل، وهو يعني الباحثين أيضا باعتباره حكاية لا تقتصر وظيفتها على مجرّد تعداد».[1] للأحداث إنّما تتعدّاه إلى توفّرها على علاقات استدلاليّة تربط بين عناصر مولّدة معاني أو مباني سابقة عن التّمظهر اللّفظي.

ويرتبط السّرد بالخطاب ارتباطا وثيقا شفهيا كان أو كتابيّا، ولأنّ وظيفته الإخبار وفق طريقة معيّنة، فقد اعتبره جيرار جينيت(Gérard Genette) «الخطاب الشّفهي أو المكتوب الذي يتعهد بالإخبار عن واقعة أو سلسلة من الوقائع ...»[2] فالسّرد حسبه يرتبط بالسّارد أي كلّ ما يصدر عنه باختلاف أنواعه وطرقه.

وردت مصطلحات عديدة تتقابل مع السّرد مثل«المسرود، السّارد، المسروده، السّردانية، السّرديات، وهي شبكة من المصطلحات والمفاهيم المتداخلة في الوقت نفسه».[3] ونعني بالمسرود ما حكي، أي توالي جملة من الأحداث المشكّلة لحبكة القصة، فكانت البداية لدراسة هذا الرّكن على يد الرّوسي فلاديمير بروب دون أدنى شك، الذي تناول بالدّرس جملة من الحكايات الخرافيّة الرّوسيّة بغية التّعرّف على بنية تركيبها الحدثي، ففيما تمثّل الحدث؟

لقد اعتبر كل من أفلاطون وأرسطو في محاكاتهم للقصة أنّ الحدث ما هو إلاّ عنصر مكوّن للمتن الحكائي ذلك أنّ «الكون الحكائي(Diegese) الذي تتعاصر فيه مستويات لعرض وسرد الأحداث والأفعال، وهو ما يكوّن السّرد(Narration) وصيغ لتقديم الشّخصيّات والأشياء»[4] وهو المستوى الذي تتحدد من خلاله مجموع الأعمال المنجزة في النّص السّردي.

[1]- فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – د.ط 1996 ، ص353.
[2]- عثامنة فايز صلاح، السرد في رواية السّيرة الذّاتية العربية ، الورّاق للنّشر والتّوزيع ، ط1 ، 2014 م ، ص17
[3]- مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) دار الغرب ، وهران، د.ط، 2005 ص 247.
[4]- عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، ص120.

وقد عرّف سوريو الحدث على أنّه «تضارب القوى المتعارضة أو المتلاقيّة داخل العمل، فعند ذلك تؤلّف كلّ لحظة في الحدث موقفا للنّزاع بين الشّخصيّات»[1] فالحدث مرتبط بكلّ العناصر السّرديّة، يحدّد بالزّمان والمكان إضافة إلى الفاعلين الممثّل من قبلهم، وهو مرتبط بعمليّة التّحويل النّاتجة عن ملفوظات الحالة، فهو «تغيير في الحالة يعبّر عنه في الخطاب بواسطة ملفوظ فعل في صيغة يفعل أو يحدث»[2] إذ يمكن أن يكون فعلا أو عملا.

أمّا عن أهم اصطلاحات بروب في دراسة الأحداث نذكر: الوظيفة(fonction)، الأفعال(les actions)...

مصطلح الوظيفة عرف حضورا ملفتا للنّظر في الدّراسات السّردية(بروب(Propp)، بريمون(Breimon)، بارت(parthe)، غريماس(Greimas)، سوريو(Souriau))، وقد ارتبط مفهومها بالحدث (الفعل، الفاعل، المفعول)، ذلك أنّ«عمل الفاعل معرّفا من حيث معناه في سير الحكاية، أي أنّ الحدث يعتبر وظيفة مادام رهن سلسلة من الأحداث السّابقة التي تبرز، ومن الأحداث اللاّحقة التي تنتج عنه»[3] لذلك أصبح الحدث وظيفة على وفق منهج بروب(Propp)، التي عرّفها على أنّها عمل الفاعل، فغدت بذلك ركيزة أساسيّة في عمله.

هناك عدّة أنواع عرفت في أعمال العديد من الباحثين نذكر منها ما يمدّ بصلة للمتن السردي، على سبيل المثال:[4]

1- الوظيفة الأساسيّة: تعبّر عن الأعمال التي تقوم بها شخصيّات القصة.

---

[1]- النّعيمي فيصل غازي ، العلامة والرّواية دراسة سيميائيّة في ثلاثيّة أرض السّواد لعبد الرّحمان منيف، دار مجدلاوي، ط1 2009م، ص191.

[2]- برنس جيرالد، قاموس السّرديّات، تر: السّيد إمام، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، 2003 ، ص63.

[3]- المرزوقي سمير و شاكر جميل ،مدخل إلى نظريّة القصة تحليلا وتطبيقا، دار الشّؤون الثّقافيّة بغداد، د.ط 1986. ص20.

[4]- ابن مالك رشيد ، قاموس التّحليل السّيميائي للنّصوص، دار الحكمة، د.ط 2000 ص 78.

2- الوظيفة الثّانويّة: حسب رولان بارت هي تلك التي تعبّر عن أوضاع هؤلاء الشّخوص وأجوائهم.

3- الوظيفة التّنسيقيّة: تتعلّق بالتّنظيم الدّاخلي الذي يقوم به الرّاوي.

4- الوظيفة الإنتباهيّة: يقوم بها الرّاوي للتّأكد من وجود الإتّصال بينه وبين المرسل إليه.

ترتبط الوظيفة في عملها بكل من الفعل والحدث، خاصة أنّ الحدث في حركيّته وعرضه، يبقى مرتبطا بالفضاء الزّمنكاني والممثلين الذين يقع عليهم الفعل في النّص السّردي، كعوامل نحويّة تقوم بالفعل أو تتلقّاه، فارتباط الفعل بالوظيفة لم يكن اعتباطيّا، فالوظيفة «عمل يتحدّد وفقا لدلالته في مجرى الحبكة التي يظهر فيها، عمل يتمّ النّظر إليه طبقا للدّور الذي يؤدّيه على مستوى الحبكة(الفعل)»[1] فالفعل هو تمثّل الوظيفة عبر الممثلين أو الفاعلين.

تبلورت نظرية السّيميائيات السّردية منذ صدور كتاب الدّلالة البنيويّة(1966) على يد مؤسسها ألجيرالد جوليان غريماس(A.J.Greimas) الذي أرسى أولى قواعدها، ثمّ توالت النّماذج السّيميائية بعد ذلك في اتّجاه معيّن، عرف بمدرسة باريس السّيميائية أسست نموذجها النّظري ابتداء على الخرافة والحكاية الشّعبية، مستثمرة العمل الهام لفلاديمير بروب Vladimir Proppفي" مورفولوجية الحكاية"(La morphologie du conte) ، ثم استدراكات كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss وغيرهما، لتنفتح المدرسة بعد ذلك على حقول معرفية أخرى.

لقد عمل غريماس من خلال محاورته للخطابات السّردية بكلّ أشكالها على تكريس نحو سردي شامل، ونعني بالنّحو السّردي سلسلة من المتغيّرات أو الصّيغ التي تصنّف في جملة من

[1]- برنس جيرالد ، قاموس السّرديّات، ص79.

القواعد القادرة على تقديم تمثيل معيّن يوصف سردا،[1] أي هو عبارة عن عناصر وقواعد توجد ضمنيا تسهم في إنتاج السّرد، فينبغي على نحو السّرد أن يكون عامّا يطبّق على كلّ أنواع السّرود الممكنة.

وللوصول إلى بناء النّحو السّردي، اشتملت السيميائيّة السّرديّة على جملة من المصطلحات في تحليلها نذكر منها:

– السّيم(seme): لقد أوضحه كورتيسCourtés بقوله أنّ «الوحدة الأساسيّة للدّلالة هي السّيم، هو أصغر وحدة معنويّة لها التي لا يمكن ظهورها إلاّ إذا ارتبطت بعنصر آخر مغاير بعلاقة ما»[2]وهذه هي التي يتكوّن منها الخطاب، وقد اعتمدت عليها الدّلالة البنيوية، في اكتشاف العلاقات المولّدة للمعاني، وقد عرّفه "جيرالد برنس" على أنّه «ملمح دلالي صغير يستنبط من السّياق الذي يتكرّر فيه، وهو أيضا أحد الوحدات الصغرى»[3]، وقد اعتمدت عليه السّيميائيّة السّرديّة كنواة دلاليّة.

وإذا ذكرنا السّيم فلابدّ من الحديث عن السّيمم(sememe) الذي هو عبارة عن « مجموعة من السّمات(semes) التي يمكن التّعرّف عليها في إحدى الكلمات أو أحد المورفيمات»[4] قد رأى كورتيسCourtés أنّ هذه «السّيمم تظهر نتيجة التّرابط، إذ يكون كافيا تحديد قواعد البناء والتّوظيف مع القوانين التي تتّسم بها»[5] والمورفيمات هي عبارة عن وحدات صوتيّة لسانيّة.

---

[1]– ينظر: برنس جيرالد، علم السّرد،الشّكل والوظيفة في السّرد، تر: باسم صالح، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2012، ص110.

[2]–j. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive ,p45.

[3]– برنس جيرالد ، قاموس السّرديّات، ص33/175.

[4]– المرجع نفسه، ص 176.

[5] – j. Courtés , Introduction à la sémiotique narrative et discursive , p52.

– الملفوظ السّردي(enoncé narratif): الملفوظ هو جزء مكوّن للخطاب، لأنّه« يعتبر بمثابة مقطوعة لغويّة تكوّن كلاّ منتميّا إلى جنس الخطاب، محدّد نشرة جوّيّة، رواية، مقال في جريدة...»[1] وبما أنّه مقطوعة فهو يحوي حادثة ورموز من ضمائر وصفات وظروف، ذلك لأنّه «أحد المكونات الأوليّة "للخطاب" مستقّلا عن الوسيط الخاص لـ"التّمظهر السّردي" ويمكن القول بأنّ "الخطاب" يقدّم قصّة من خلال مجموعة من الملفوظات السّردية»[2] فالملفوظ هو وحدة أساسيّة مكوّنة للخطاب قائمة على حدث، إذ يتولّى الملفوظ نقل مجموعة من الأحداث أو الحالات في عوالم ما بعلامات، وله من ثمّ خاصيّة كونه حقيقيا أو زائفا، وبناء على طبيعة العلاقة التّماثليّة القائمة بين العوامل خاصة بين الفاعل وموضوع البحث، ينقسم الملفوظ إلى شكلين:

ملفوظ حالــة (enoncé d'état):هو ملفوظ يقدّم حالة state، أي بتأسيس وجود الكينونات إمّا بتعيينها أو بوصفها.[3] وهو يتمظهر عبر عنصرين متناقضين (وصلة، فصلة).

ملفوظ الفعلenoncé du faire : ملفوظ حكائي في صيغة يفعل أو يحدث ملفوظا يقدّم حدثا وبالأخصّ"عمل"act،[4] تتمّ من خلاله عمليّة التّحويل إمّا بالإتّصال أو الانفصال.

– المسند أو المحمول(predicte): هو ما يؤكّد شيئا بالنّسبة لفاعل الجملة أو الملفوظ.[5] هذه هذه المسندات هي عبارة عن أدوات نتّكل عليها في الاقناع أو إيراد القيام بالفعل، وتختلف باختلاف طبيعة حصولها وتواجدها، «فهناك محمولات استاتيكيّة(ساكنة قارّة "كانت ماري حزينة)، ومحمولات ديناميّة(حركيّة "شربت ماري فنجانا من القهوة") وعلاوة على ذلك، هناك محمولات قاعديّة(كانت ماري تسير ثلاثة أميال كلّ يوم)، ومحمولات محوّلة(تكون ناتجة لتحويل

---

[5]– باتريك شارودو– دومينيك منعنو، معجم تحليل الخطاب، عبد القادر المهيري، حمّادي صمودن المركز الوطني للتّرجمة، تونس 2008م. ص216.

[2]– برنس جيرالد ، قاموس السّرديّات، ص 131.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص185.

[4]–ينظر: برنس جيرالد ، قاموس السّرديّات، ص 157.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص 156.

بسيط أو معقّد لمحمول ما"كانت حين تعتقد أنّ ماري تسير ثلاثة أميال كلّ يوم")»[1] تتحدّد هذه المحمولات من خلال عناصر الملفوظ.

- الاستدلال(inférence): يستعمل هذا المصطلح في الخطاب «للإشارة إلى عمليّة الاستنتاج المتمثّلة في اعتبار قصيّة صادقة بسبب علاقاتها بقضايا أخرى قد اعتبرت بعد صادقة، فالأمر يتعلّق إذن بعمليّة برهنة يمثّل فيها الاستنتاج والاستقراء حالتين خاصيتين»[2]، وتكون الغاية منه «ترتيب أمور معلومة للتّوصل منها إلى مجهول».[3] فهو عملية ضرورية في التّحليل.

- المسار السّردي(parcours narratif):هو مستوى سردي يتمّ من خلاله تحديد الأعمال التي اضطلعت بها الفواعل داخل البناء النّصي، والمساهمة بشكل جلي في تغيير سيرورة الأحداث أو ثباتها، فهو «يستعمل للدّلالة على سلسلة من البرامج السّرديّة البسيطة أو المعقّدة، إذ يحدّد الفاعل انطلاقا من الوضعيّة التي يحتلّها في المسار وطبيعة مواضيع القيمة التي تدخل في وصلة معه»[4] أو فصلة فيما بعد.

- البرنامج السّردي(Programme narratif):كلّ نص سردي لابدّ أن يحوي برنامجا أو أكثر،يحدّ عبر ما يحدثه عامل أو عاملين من تحوّل أسهم في وصلة أو فصلة بموضوع ما.

لذا غالبا ما «يطلق هذا المصطلح على التّغيير الذي يحدثه عامل في عامل آخر، وتختلف صورة هذا البرنامج تبعا لشكل التّمثيل(قد يتمثّل العاملان بشخصيّة واحدة أو شخصيّتين)»[5] ويمكن للبرنامج أن يتعدّد حسب نجاح أم فشل العامل الذي اضطلع بالفعل، ويتمّ تحديد ذلك عبر تقسيم المتن إلى مقاطع سرديّة.

---

[1]-برنس جيرالد ، قاموس السّرديّات، ص 156.

[2]- باتريك شارودو – دومنينيك منعنو، معجم تحليل الخطاب تر: عبد القادر المهيري – حمّادي صمود، ص300.

[3]- جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار الملايين بيروت، ط1 1979، ص17.

[4]- ابن مالك رشيد ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص، ص127.

[5]- زيتوني لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرّواية- عربي، انجليزي،فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1- 2002م، ص33.

- المقطع السّرديSégment narrtif: تدخل أصناف المقاطع المختلفة هذه في تركيب النّصوص حسب طرق تأليف ثلاث: الاحتضان و التّراكيب والتّسلسل، الإضافيّة الخطيّة، والتّناوب، التّداخل، ويمكن للمقاطع المتآلفة أن تكون من نفس النّوع (ممّا ينتج أثرا بسيطا لـ"نمط النّص" ويمكن أن تكون(وهو الأكثر تواترا) من أنواع مختلفة»[1] تأخذ أشكالا مخلتفة إمّا مقاطع حجاجيّة أو تفسيريّة، ووصفيّة.

تعدّ هذه المصطلحات التي أتينا على ذكرها جزء ضئيل مما احتوته السّيميائيّة السّرديّة في تناولها للنّصوص، إذ كانت تبدي احتراسا كبيرا في التّعامل مع النّصوص، خاصة فيما يخصّ التّأويلات الدّلاليّة، فكانت مجرّد تمهيد للغوص في مطبات السّيميائية السّردية والنّظر في كيفية تناولها للنّصوص نسقيا وإجرائيا.

[1]- باتريك شارودو – دومنتيك منعنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري – حمّادي صمود، ص513.

الفصل الأول

السّيميائيّة السّرديّة ومفهوم الشّخصيّة

1- موضوع السّيميائيّة السّرديّة (sémiotique narrative) :

بعد أن اجتازت السّيميائيّات مرحلة التّناقض والتّناثر، استطاعت أن تخلق لنفسها مناهج وأدوات تحليلية مكّنتها من الإبحار في مجالات متنوّعة، ولأنّها نظرية تطمح للشّموليّة (لا نعني بالشّموليّة هنا إقصاء الزّمن ولا النّظريّات السّابقة) ولا تكتفي باتّجاه معيّن « فهي تختفي في تنوّعات مجالاتها بما تقدّمه من آليات تحليليّة تعمل على وصف الأصناف السّيميائيّة بغية التّنظير لبنية اشتغالها »[1] ممّا مكّنها من التّولّج في عالم السّرد من أبوابه الواسعة، مطبّقة من الأدوات ما يمكّنها من الوقوف على المعنى وكيفيّة تبلوره وتشكّله.

تأسيسا على أنّ علم السّرد هو الجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل، وهو أيضا دراسة القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها[2] وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه، فهو يتداخل مع السّيمياء أو السّميولوجيا.

ولمّا كان الخطاب قد سبق أن حظي بدراسة، كان من السّهل على السّيميائيّات التّوغل في الخطاب السّردي معتمدة في ذلك على ما توصّل إليه سابقيها، خاصة أنّه يتميّز بالغنى والتنوّع وتوليد المعاني اللّامتناهي أكثر من نظيره (الخطاب الشّعري).

ممّا جعل السّيميائيّة السّرديّة تعمل على استنباط المعنى، من خلال إيجاد خطاطة تبيّن مجرى عمق النّص، تمكّنها من اكتشاف تشكّل الدّلالة بكلّ أشكال توافرها، هذه الأخيرة التي يجب علـــــى

[1]- قوتال فضيلة ، أفاق السّيميائيّات البصريّة ورهاناتها مشروع السّيميائيّة الأيقونيّة الواصفة، مجلّة سيميائيّات مختبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب ، العدد (5)2005م ص59.

[2]- ينظر: صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – 1996 ، د.ط ، ص353.

دارسها «أن يخترق الدّال ومعه الذّات والدّليل والتنظيم النّحوي للخطاب»[1] معنى ذلك أنّ الدّلالة لا توجد على مستوى الخطاب وإنّما تتعدّاه إلى ما وراء الخطاب، أي إلى الوحدات المعنويّة الصّغرى.

ولعلّ هذا ما جعل السّيميائيّة السّرديّة تتخذ لنفسها سبلا تبحث من خلالها في المعنى، وفي السّيرورة التي تنتج وفقها الدّلالات وفي أنماط وجودها[2]، وهذا ما تؤكّده مساعي غريماس(Geimas) رائد السّيميائيّة السّرديّة الذي لم يكتفي بالبحث عن المعاني إنّما تجاوزها إلى الكشف عن كيفيّة تشكّلها ونسجها.

بما أنّه لا يمكن دراسة أي نظريّة، واختبار مدى فاعليتها الإجرائيّة من غير التباس ما لم يتم الوقوف على أهم خلفياتها ومنطلقاتها، التي تمدّ أي باحث القدرة على التّوغل في الموضوع المتناول دون تيه، فما هي أهمّ هذه المنابع التي تشبّعت بها السّيميائيّات السّردية؟

2- المنطلقات المعرفيّة لغريماس:

1- الإرث اللّساني:

الذي يعدّ لبنة كلّ الدّراسات اللّغويّة الحديثة، خاصة منها تلك التي على علاقة بالنّشاط الإنساني، ولا سيما الأطروحات السّوسيريّة التي طغت على البحث الألسني فكانت بمثابة الشّرارة الأولى التي وهّجت تفكيره(غريماس) (Geimas) في ماهيّة العلامة اللّغويّة وجرّها من ميدان اللّغة إلى ميدان الأدب،[3] وليس سوسير فحسب، بل وما قال به هلمسليف(Hjelmslev).

---

[1]- كريستيفا جوليا ، علم النّص، تر: فريد الزّاهي مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنّشر المغرب، ط1 1991م، ص9.

[2]- ينظر: بنكراد سعيد ، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقها، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء،ط1 2003 ص8.

[3]- ينظر: الجبوري محمد فليح ، الاتّجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط1 2003، ص68.

إنّ سوسير (Saussure)كان يعتمد على مبدأ الثّنائيّات في دراسته للّغة متأثّرا في ذلك بالفلسفة اليونانيّة، لذلك كان له الدّور الأساسي في سنّ المفاهيم العمليّة الأولى التي اعتمدتها السّيميائيّة فيما بعد للوقوف على البنى الدّلاليّة المولّدة للمعاني مثل:اللّغة(langage)/الكلام(parole)،الدّال(signifiant)/المدلول(signifié)،الوحدة(unité)/الاختلاف(différence)،الاستبدال(paradigme)/ المحايثة(immanence)،[1] وهي كلّها مبادئ اعتمدتها السّيميائيّة في عمليّة التّدليل(بناء المعنى).

بما أنّ هدف غريماس كان إيجاد نحوا سرديّا على غرار اللّسانيات، فكان من الضّروري أن ترتكز دراسته للتّجليّات الدّلاليّة السابقة التّمظهر على بعض المبادئ كمبدأ المحايثة*، أي الاكتفاء بالتّعامل مع النّص كمتن دون العوامل الخارجيّة، متأثّرة في ذلك بالدّراسة البنيوية، وهو نفس المبدأ الذي تبنّاه كل من سوسير(Saussure)، وهمسليف(Hjelmslev) في التّعبير عن استقلاليّة اللّسانيّات عمّا هو غير لساني[2]. أي خارج نطاق اللّسان.

وقد وظّف أيضا مبدأ الاختلاف(différence)، الذي أرسى قواعده سوسير، واستعمله غريماس(greimas) في دراسته الدّلاليّة، من أجل الاقتراب من تلك العناصر الاختلافيّة المولّدة للمعنى،[3] الذي يتشكّل عبر العلاقات الدّاخليّة للبنى الدّلاليّة القائمة في الأصل على ثنائيّات.

لقد كان الهدف وراء تبّنى غريماس(Greimas) الطّرح السّوسيري هو نقل قضيّـــــــــــة الدّال(signifiant) والمدلـــــــــول(signifié) إلى ميدان النّص وقضيّة الشّكل(forme)،

[1]- ينظر: بوشفرة نادية ،مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، د.ط ، د.ت ص10.

*- الدّراسة المحايثة هي النّظر في كلّ العلاقات الدّاخليّة بعيدا عن المؤثّرات والعوامل الخارجيّة.

[2]- ينظر: ابن مالك رشيد ، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة للنّشر الجزائر د.ط 2000 ص9.

[3]- ينظر: المرجع نفسه ص10.

والمحتوى التي كانت بمثابة تحديد وديمومة لذلك الفكر،[1] فنظريّة غريماس تتعامل مع النّص تعاملا خاصا.

وهذا التّعامل ينصبّ على حدّ قول كورتيس(Courtés) على «تناول المعنى النّصي من خلال زاويتين منهجيتين: الزّاويّة السّطحيّة التي يتمّ فيها الاعتماد على المكوّن السّردي الذي ينظّم تتابع حالات الشّخصيّات وتحوّلاتهاّ والمكوّن الخطابي الذي يتحكّم في تسلسل صور آثار المعنى»[2] وهو من خلال هذا التّعامل يظهر أنّ للنّصوص مستويين:

- مستوى لساني يكون ظاهريّا.

- مستوى سيميائي يكون سابقا عن المستوى اللّساني ينظر في تجليّات الدّلالة، وهذا ما تدعو إليه طبيعة السّرديّة في حدّ ذاتها التي «هي كيان منظّم بشكل سابق على تحليلها في مستوى غير مرئي من خلال التّجلّي النّصّي».[3]

مفاد ذلك «أنّ السّيميائيّة في استنادها إلى القواعد اللّسانيّة، تسعى إلى بناء الدّلالة من داخل النّص ومن مستويات محدّدة تحكمها بمجموعة من العلاقات والعمليات ندركها بكل وضوح في الصّعيد العميق»[4] خاصة بعد حصر السّيميائيين موضوع بحثهم في السّردية ودفاعهم عنه بإبرازهم لأهمية انبثاق الدّلالات، حيث عرف مجال البحث في السّرديات توسعا كبيرا ممّا أدّى إلى ظهور أراء مخالفة لما ذكرناه حول اتجاهات السّيميولوجيين في تركيزهم على المحتوى، في حين يهتم السّرديّون بالتّعبير باعتباره الصّورة التي يتجلى أو يتحقق من خلالها المحتوى، وبالتالي يمكن أن يقدم محتوى من خلال خطابات متعددة لكل منها خصوصيته .

---

[1]-ينظر: العجيمي محمد النّصر ، في الخطاب السّردي، نظرية قريماس الدّار العربيّة للكتاب، د.ط 1991، ص108.

[2]- كورتيس جوزيف، مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابية ترجمة: جمال حضري منضورات الاختلاف ط1 2007، ص12.

[3]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، مطبعة النّجاح الجديدة الدار البيضاء، د.ط 2001، ص38.

[4]- ابن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص16.

كما سلف أن رأينا أنّ غريماس جعل نتائج اللّسانيات جسرا للعبور إلى داخل النّص، على غرار ذلك، فقد استفاد غريماس أساسا في بناء تصوره للنّموذج العاملي من مفهوم العوامل في اللسانيات، ومن بين الذين اعتمدوا النّموذج العاملي في معالجة النّصوص : تسنيير(Tesniére) وسوريو(Saurion)

2- نموذج تسنيير Tesniére:

حيث انطلق غريماس من ملاحظة تسنيير(Tesniére)، التي تكاد تكون اللّبنة الأساسيّة في بناء نموذجه « التي شبّه فيها الملفوظ البسيط(l'énonce élémentaire) بالمشهد، والملفوظ(énoncé) عنده متمثّل في الجملة،»[1] والملفوظ هو وحدة دالّة مرتبطة بالسّلسلة الكلامية، مشكّلا من الوظيفة، يكون الفعل نواته ويتحدّد عبر العلاقة النّاتجة بين الفاعل والمفعول به.[2] وقد ارتبطت لفظة "الملفوظ (énoncé)" عند غريماس بتحديد المسار السّردي(parcours narratif)، الذي تتمظهر من خلاله أفعال الفواعل والممثّلين.

كما قدّم تسنير(Tesniére) تعريفا شاملا للملفوظ اسفاد كثيرا منه غريماس في بنائه وتوزيعه للأدوار العامليّة، خلاصة ذلك التّعريف «أنّ الملفوظ فرجة دائمة: هناك فاعل(sujet)، وهناك فعل(faire) وهناك مفعول به، إنّ هذه الفرجة تتميّز بأنّها عنصر بالغ الأهميّة، يتمثّل في التّوزيع الثّابت والدّائم للأدوار، فقد تتغيّر المحافل التي تقوم بالفعل، وقد يتنوّع الفعل، كما قد يتغيّر المفعول به، لكن العنصر الضّامن لاستمرار الفرجة هو هذا التّوزيع»[3] حيث تمكّن غريماس انطلاقا من هذه الأدوار وعلاقة الفعل بفاعله، من معرفة أنّ الفاعل يمكن أن يكون إنسانا أو حيوانا أو جمادا أو معنويّا (الأيّام).

---

[1] -Greimas Algirads julien Sémantique structurale Ed larousse paris 1976 p173 .

[2]- ينظر: ابن مالك رشيد ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، دار الحكمة، د.ط 2000، ص66/65.

[3] -Greimas Algirads julien Sémantique structurale p173.

وبتتبّع هذه الأدوار يمكن تحديد العوامل التي تساهم في بناء المسارات داخل القصّة من خلال ما يسند لها من أفعال التي على أساسها تعامل كعامل، ومن العلاقات التي تربط العوامل داخل المتن كوّن خطاطة عامليّة عامّة.

ويرى تسنيير(Tesniére) من خلال تطبيقه للنّموذج العاملي أنّ «الخطاب الطّبيعي لا يمكنه زيادة عدد العوامل، ولا يمكنه توسيع دائرة الامساك التّركيبي بالدّلالة إلى ما هو أبعد من الجملة وهذا ينطبق على الكون الدّلالي الصّغير، الذي لا يمكن تحديده ككون، أي ككلّ دلالي إلاّ في حدود قدرته في المثول أمامنا كفرجة بسيطة أي بنية عامليّة»[1] لكنّ غريماس عمل على توسيع دائرة البنية العاملية، متجاوزا حدود الجملة إلى الخطاب السّردي (بناء بنية دلاليّة كبيرة)، الأمر الذي جعل نظريّته تمتاز بالشّموليّة.

3- نموذج سوريو: (Saurion)

تكمن أهميّة سوريو في أنّه استطاع إيجاد بناء عاملي يلخّص توالي مجموع التّطورات والتّحوّلات المكوّنة للنّص، وخصوصا النّص المسرحي، وقد ظهرت نتائجه من خلال تطبيقه للنّموذج على مختلف النّصوص المسرحيّة، بغية اختزال مجموع الوظائف وتكثيفها في نظام عام، سمّاه بالنّظام العاملي، الذي يتكوّن من ستّ خانات على التّوالي كما ذكر ذلك غريماس في كتابه (الدّلالة البنيويّة)، يحدّدها في المواقع التّاليّة:[2]

الأسد:القوّة الثيميّة الموجّهة.

الشّمس: ممثّل الخير المنشود للقيمة.

الأرض: المستفيد المحتمل من هذا الخير.

---

[1] Greimas Algirads julien Sémantique structurale p173..

[2]-Ibid , p :176.

المرّيخ: المعيق.

الميزان: الحكم، الواهب.

القمر: الهجوم المعاكس.

وإذا قارنّا بين عوامل غريماس وما جاء به "سوريو" وجدنا أنّ الفاعل عند غريماس مطابق (للأسد) عند سوريو والموضوع يتطابق مع الشّمس عنده، إذ تعدّ هذه العلاقة أساسيّة في البنية العامليّة، في حين علاقة المرسل والمرسل إليه تقابل القاضي أو المكافئ والمحسن الكبير عند سوريو، أمّا المساعد والمعارض فقد ظهرا بصورة مضخّمة عند سوريو، فهناك الواهب والمعارض.[1]

لقد اعتمد سوريو فيما توصّل إليه على دراسة الهيكل المجرّد، لكن غريماس تجاوز هذا المجرّد إلى ما هو أكثر تجريدا وعمقا، مع الحرص على أن يكون هذا النّموذج المجرّد أكثر شموليّة في التّطبيق على النّصوص السّرديّة،[2] فخرج بخطاطة عامّة مغربلة من أعمال سابقة، تتميّز بالتّفاعل والانفتاح والمرونة التي اكتسبته من مدّ جسور التّحاور مع نظريّات عديدة، تتقاسم معها موضوعا واحدا للدّراسة كما رأينا ذلك آنفا ولو بتلميح بسيط، فأصبحت تطبّق على النّصوص السّرديّة باختلافها التّصويريّة وغير التّصويريّة.

4- الإرث البروربي:

ممّا لا شكّ فيه أنّ التّحليل المحايث للأعمال السّرديّة الحكائيّة، عرف النّور بشكل جدّي ولأوّل مرّة على يدي الشّكلانيين، ثمّ توسّع فيما بعد مع جهود البنيويّة والدّلاليّة، فقد عبّد التّحليل الشّكلاني الطّريق أمام منهج جديد، قائم على كشف العلاقات التّركيبيّة والمنطقيّة للنّصوص استفاد منه النّقد الرّوائي كثيرا.

[1]- ينظر: روبرت شولز ، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب د.ط 1984. 121.

[2]- ينظر: الجبوري محمد فليح ، الاتجاه السّيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص72.

إذ يعدّ عمل بروب(Propp) أولى الأعمال التّحليليّة التي تناولت النّصوص السّردية بشكل جدّي، يظهر هذا من خلا ل كتابه المشهور(مروفولوجيا الحكاية Morphologie du conte)، الذي يعدّ إنجيل الدّراسات السّرديّة الحديثة، فكان من غير الممكن الوصول إلى وضع خطاطات تجريديّة كبرى للنّصوص السّرديّة، لولا جهوده.

خاصّة أنّه أخضع «الخطاب السّردي(الحكايات العجيبة) لأوّل مرّة، لدراســة لا تقف عند حدود تعيين مواضيعه أو تصنيف وحداته المضمونيّة، بل تهدف إلى مساءلة النّص في ذاته ولذاته من خلال بنيته الشّكليّة».[1] بعيدا عن العناصر المكوّنة للجملة التي هي أصغر وحدة خطابيّة.

انطلق بروب(propp) في بناء نظريّته من دراسة متن يستغرق مائة حكاية خرافية روسيّة، حاول عبرها تكشّف ميكانيزمات اشتغال الحكاية، متحاشيّا صيرورتها التّاريخيّة، وعلاقتها بالمؤلّف أو وسط القارئ، مكتفيا بالنّظر في نصيّة النّص، فاستطاع تقديم الثّابت البنيوي الذي سمح للعديد من الدّراسات تجاوز عتبة التّعدّد النّصي الهائل، إلى ما بعد التّمظهر النّصي، أي إلى الأفعال(Actions) والوظائف(fonctions) التي شكّلت في أعماله عنصرا ثابتا كما سنتبيّن ذلك.

اعتمد بروب(propp) أثناء استقرائة للمتن الخرافي على مبدأ الاختلاف، ونظرا «لتغيّر الحبكات واختلاف العقد في مضامين الحكي(récit)»[2] كان لابدّ عليه من تحليل عدد هائل من الحكايات وتقسيم مضامينها إلى أجزاء بغية استئصال العناصر المشتركة، عبر رصد «سلسلة كبيرة من الأفعال الملموسة والموصوفة داخل الحكاية الشّعبيّة»[3] متوصّلا منها إلى النّقطة الجامعة

[1]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، ص17.

[2]- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص20.

[3]- بنكراد سعيد، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، ص24.

بين كلّ أنواع الحكايات، فقد عمل بروب «على احصاء الحكايات العجيبة (Les contes mervrilleux) في إطارها النّوعي، باختزالها في نوع واحد مثالي»[1].

انطلاقا من ذلك الإحصاء توصّل إلى إيجاد العناصر الثّابتة التّي تعدّ كمبدأ للحكي والعناصر المتغيّرة، حيث تمثّلت الثّوابت(invariantes/constantes) في مجمل الأفعال المتحصّل عليها من الشّخوص، «كيفما كانت طبيعة هذه الشّخصيّات(personnages)، أو الطّريقة التي تمّت بها هذه الوظيفة(fonctions)»[2] أمّا المتغيّرات(Variantes) فتمثّلت في الشّخصيّات التي اعتبرها عنصرا ثانويّا، لهذا «يمكن اعتبار كلّ الحكايات الرّوسيّة المشكّلة للمتن المدروس تنويعا لحكاية واحدة»[3] تتشابه في الوظائف وتختلف في الشّخصيّات التي اضطلعت بالفعل.

لقد أطلق بروب مصطلح "الوظيفة(Fonction)" على كلّ الوحدات التّركيبيّة التي تبقى ثابتة، رغم تنوّع الحكايات،[4] والوصول إلى هذه الوحدات مرهون بوصف العلاقة الرّابطة بين أجزاء المادة بعضها ببعض، ثمّ علاقتها بالمجموع، فجعل تحديد الوظيفة قائما على شرط محدّد إذ قال «لا يجوز أبدا للتّحديد أن يقيم أي اعتبار للشّخصيّة المنفذة، وفي معظم الحالات ستتم تسمية الوظيفة باسم يعبّر عن الفعل كـ (الخطر والاستجواب والهرب)، ومن ثمّ فإنّه لا يمكن للفعل أن يتحدّد خارج موقعه في مجرى المقصوص، فلابدّ من الاهتمام بما للوظيفة من دلالة في سير الحبكة»[5] فهو بهذا ينفي أي أهميّة للشّخصيّة التي حصرها في الفعل.

[1] - Vladimir Propp Morphologie du conte éd lacob paris 6 1973, p33 .

[2] Vladimir Propp Morphologie du conte,p :31.

[3]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، ص21.

[4]- ينظر: ابن مالك رشيد ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص78.

[5]- بروب فلاديمير ، مورفولوجيا القصة، شراع للدراسات والنّشر والتّوزيع دمشق ط1 1996، ص38.

أثناء تحليله لهذه الأجزاء توصّل إلى عدد من الفرضيّات:[1]

1- إنّ العناصر الثّابتة، الدّائمة، للحكاية هي وظائف الشّخصيّات(les fonction des personnages) كيفما كانت هذه الشّخصيّات، وكيفما كانت الطّريقة التي تمّت بها هذه الوظيفة.

2- عدد الوظائف المكوّنة للحكاية العجيبة محدود(Limité).

3- توالي الوظائف داخل المتن يكون دائما وفق نمط معين، أي متطابق في جميع الحكايات.

4- كلّ الحكايات العجيبة تنتمي إلى نفس النّوع من حيث بنيتها.

مثل هذه الفرضيّات هي أساس كلّ العمل الجبّار الذي قدّمه بروب، فقد طوّر بروب عنصر الوظيفة من حيث المعنى الذي تؤدّيه الأفعال، فاستطاع الإقرار بأنّ عدد الوظائف التي تتحكّم في الحكايات الرّوسيّة تبلغ إحدى وثلاثين وظيفة،[2] وشدّد على أنّ هذه الوظائف لا يستبعد أي منها الأخرى، وأنّها جميعها قد تظهر في الحكاية الواحدة وبالتّرتيب نفسه، كما يمكن لهذه الوظائف أن تتشكّل في المتن وتتمظهر في تشكيلات مختلفة ومتعدّدة.

لتوضيح ذلك يقدّم بروب جملة من الأمثلة، يمكن من خلالها ملاحظة العناصر الثّابتة والمتغيّرة وهي:[3]

- يعطي نسرا للبطل، النّسر يحمل البطل إلى مملكة أخرى.
- يعطي الجدّ فرسا "سوتشينكو" يحمل الفرس "هذا" إلى مملكة أخرى.
- يعطي ساحرا قاربا "لإيفان" القارب يحمل هذا إلى مملكة أخرى.

---

[1] - Vladimir Propp Morphologie du conte p31/32.

[2]- ينظر: ابن مالك رشيد ، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص29.

[3] - Vladimir Propp Morphologie du conte p28/29 .

الواضح من خلال هذه الأمثلة أنّ أسماء الشّخصيّات وأوصافها هي العناصر المتغيّرة(ساحر، جدّ، نسر)، في حين أنّ العناصر الثّابتة تمثّلت في الأفعال(Actions) أي الوظيفة(Fonction)، أي أنّ «كلّ حكاية تتشكّل من نفس الوظائف لكن بشخصيّات مختلفة»[1] فالشّخصيّة إذن عنصر ثانوي لا أثر له في تغيّر المتن، إلاّ أنّ بروب ربط فعلها بالوظيفة، التّي يعرّفها على أنّها «فعل الشّخصيّة المحدّد من حيث دلالته في تطوّر الحبكة»[2] مكثّفا بذلك أهمية دور الشّخصيّة على حساب أهميّتها.

لقد لاحظ بروب(propp) بعد معاينته وتحليله الوظائف، أنّ هناك بعض التّشابه بين هذه الوظائف، فعمل على تقليصها وبالتّالي "تحديد ما يسمّيه ب:(دائرة الفعل)،"[3] من خلال تقليص عدد من الوظائف في دائرة واحدة تؤدّى من قبل شخصية واحدة، أي كلّ دائرة فعل مرتبطة بشخصية معيّنة، وعددها سبع دوائر تتناسب مع عدد الشّخصيّات القائمة بالفعل (معنى ذالك كلّه أنّ الوظيفة هي الخالقة للشّخصيّة وليس العكس)، أي أنّ كل الحكايات هي في حقيقة الأمر صور لحكاية الأم واحدة.

رغم الدّور الذي لعبه تحليل بروب(Propp) للحكايات العجيبة، في دفع عجلة تحليل الخطابات السّرديّة بكلّ أنواعها جاعلا منها لعبة العصر، إلاّ أنّ منهجه لقي بعض الاعتراضات والمآخذ، خاصة مع ليفي ستروس(Lévi-Straauss)، الّذي رأى أنّ بروب قد أضاع المضمون في رحلته من الملموس إلى المجرّد، أي أنّه لم ينجح في بلورة أدوات إجرائيّة منفصلة عن المتن وعاملة فيه في نفس الوقت، فقد اكتفى بالنّظر في المستوى السّطحي دون اعتماد الإسقاطات الاستبداليّة الّتي ترصد ما وراء التّجلي(البنية العميقة)[4].

---

[1] Vladimir Propp Morphologie du conte p29 .

[2] Ibid , p :31.

[3]- بنكراد سعيد ، السيميائيّة السّردية مدخل نظري ، ص22.

[4]- ينظر: بنكراد سعيد ، مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة، دار تينمل للطباعة والنّشر مراكش، ط1 1994، ص17/15.

كذلك نجد رائد الدّلالة البنيويّة (غريماسGreimas)، الذي عتب على بروب أنّه «لم يقدّم تعريف نظري محدّد للوظيفة، ذلك أنّ ربطه للوظيفة بدائرة فعل الشّخصيّات، سيضع الدّارس في حيرة»[1]، وعمل أيضا على تغيير بعض المفاهيم إمّا بتقليصها أو بتغيير الصّيغة.

من بينها مثلا عوض الحديث عن الوظيفة، يجب الحديث عن الملفوظ السّردي، وبالتّالي تأخذ الصيغة التّاليّة:

مس= و(ع1، ع2، ع3)*

استعمل العامل عوض دائرة الفعل، أمّا التّتابع الوظيفي جعله عبارة عن خطاطة سرديّة[2] رغم هذه المآخذ، إلاّ أنّ جهود بروب شكلت شعاعا فكريا أنار درب الباحثين من بعده، كونه لعب دورا كبيرا تمثّل في رصد تلك العلاقات المتبادلة بين أجزاء الحكاية التي سمّاها "الوظيفة".

– الجهود الغريماسيّة السّيميائيّة:

لم يكن الخطاب السّردي من اهتمامات غريماس في بداية مشواره العلمي، إذ انطلق من الدّراسات اللّغوية والمعجميّة،كما كان للأطروحات الألسنية سواء السّوسيرية أو ما قال به هلمسليف نصيبها في إثراء رصيده الثقافي ونتاجه العلمي، إذ يعود لها الفضل في توجيه تفكيره في ماهية العلامة اللّغوية وجرّها من ميدان اللّغة إلى ميدان الأدب.

استطاع غريماس استيعاب جهود سابقيه من لسانيين وشكلانيين وبنيويين، خاصة منهم فلادمير بروب، حتّى قيل «أنّه ما كان للمشروع [الغريماسي] أن يرى النّور لولا وجود العمل الجبّار الذي قام به بروب»[3] وأوّل ما فكّر غريماس في تكريسه هو النّحو السّردي، تيقّنا منه أنّه من «

[1]– ينظر: بنكراد سعيد ، مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة،ص: 21

*– م.س ملفوظ سردي، و: وظيفة ، ع: عامل. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– ينظر: بنكراد سعيد ، مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة ص24/22.

[3]– المرجع نفسه، ص20.

الجيد أن تبدأ الدّراسة العلاماتيّة (...) بإقامة النّحو، وذلك لكي تمر بعد ذلك إلى أبحاث ذات نظام دالي وتداولي» لكن رغم اتّساع اطّلاعه واستيعابه، إلاّ أنّه كان ينشد الدّقة والتّفرّد فيما يقدّمه.

لقد انطلق غريماس في تعامله مع الخطاب من تقسيم هذا الأخير إلى مستويين يولّد ويتمظر الواحد منهما عبر الآخر، فقد أورد محمّد ناصر العجيمي في كتابه الموسوم بـ: "في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)" أنّ « النّظام عند غريماس ينتظم في مستويين:

1- مستوى سطحي: يتشعّب بدوره إلى مكونيين:

- مكوّن سردي: ويقوم أساسا على تتبّع سلسلة التّغيّرات الطّارئة على حالة القواعد.

- مكوّن تصويري(أو بياني) ومجاله استخراج الأنظمة الصّوريّة المبثوثة على نسيج النّص ومساحته.

2- مستوى عميق: ويختص بدراسة البنية العميقة استنادا إلى نظام الوحدات المعنويّة الصّغرى»[1] ووضع لكلّ مستوى مخطّط عمل خاص رغم أنّهما مرتبطان، إذ لا نجد مستوى دون الآخر.

1- المربع السّيميائي :

يرى غريماس أنّ الدّراسة التّحليليّة الدّقيقة للنّص تتم عبر مستويين: المستوى السّطحي الذي تخضع فيه النّصوص إلى المواد اللّسانية الخاصة، أي المعنى الظّاهري المستقى من الملفوظ السّردي الذي يغطي النّص، والمستوى العميق (المحايث) الذي يختفي وراء الملفوظ، ويكون سابقا على النّص ومضمرا فيه ويصلح أن يكون فعّالا على كلّ النّصوص بغض النّظر عن اللّغة التي يقال

[1]- العجيمي محمد النّاصر ، في الخطاب السردي، نظرية غريماس الدار العربية للكتاب تونس 1991، ص31.

فيها، فإذا كان هذا الفكر القبلي متوافرا في اللّغة، فإنّه لا يبعد أن يكون مثل هذا الفكر متوافرا في السّرد[1]، لذلك وجب معرفة هذه العناصر البسيطة السّابقة عن المستوى الظّاهر.

على أساس ذلك ذهب غريماس يقيم المربّع السّيميائي انطلاقا من فكرة أنّ «جذور الدّلالة لا تمرّ بإنتاج الملفوظات وعلاقاتها بالخطاب بل هي موصولة في خطابها بالبنيات السّرديّة المنتجة للخطاب الممفصل إلى ملفوظات»[2] فالبنية العميقة هي النّاتجة لمستويات البنية السّطحيّة (المكون السردي والمكون الصّوري الخطابي)، أي هناك بنية دلاليّة عميقة منظّمة، تتمظهر عبرها العمليّات.

إنّ فكرة بناء مربّع عام لرصد البنى الدّلاليّة، استلهمها غريماس من جهود سابقة(منطقية بيرس، أسطورة ليفي شتراوس)، حيث صرّح غريماس قائلا «إنّ التّمييز الذي قام به ليفي ستراوس منذ دراسته الأولى حول الأسطورة بين الدّلالة الظّاهرة للأسطورة المكشوفة في النّص القصصي، ومعناها العميق(...) قرّرنا بالتّالي إعطاء البنية التي طورها ستراوس مرتبة البنية القصصيّة العميقة»[3] مبنية على التّناقض والتّضاد ذلك أنّ المعنى عند غريماس «يقوم على أساس اختلافي(...) فتحديده لا يتمّ إلاّ بمقابلته بضدّه وفق علاقة ثنائيّة متقابلة»[4] فاستئصال المعنى يتمّ إذن عبر عمليّة الاستبدال.

ثمّ إنّ المربّع السّيميائي(Le carré sémiotique) في الأصل يعمل في البنية العميقة على توجيه العلاقات وضبطها بشكل منطقي بين تلك الوحدات المعنويّة الصّغرى(Les unités minimales de la significations) حيث «يظهر وكأنّه شكل عام لتنظيم المضامين على محور القيم النّقيضة».[5]

---

[1] – ينظر: شلوميت ريمون كنعان التّخييل القصصي الشّعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع الدّار البيضاء ط1 1995، ص19/18.

[2] -Greimas Algirads julien Sémantique structurale p159.

[3] – شلوميت ريمون كنعان التّخييل القصصي، الشّعريّة المعاصرة، ص24.

[4] – الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، الدار العربية للعلم ناشرون منشورات الاختلاف ط1 2010 ص229.

[5] – A .J .Greimas , Sémantique structurale, p212.

وما كان يصبو إليه غريماس من خلال هذا المربّع هو رصد المعنى، فرأى أنّ « التّتابع البسيط للملفوظات السّردية، لا يعدّ معيارا كافيا للأخذ بنظام المحكي، مالم يتم كشف الإسقاطات الاستبداليّة التي تسمح بالحديث عن وجود البنيات السّردية»[1] فرأى أنّ ذلك لا يتمّ إلاّ عن طريق تقطيع النّص السّردي إلى وحدات صغرى(المعانم sémes) مبنيّة على مبدأ منطقي استخلصها في خطاطة.

وقد وضّح ذلك أنور المرتجي بقوله:« إنّ منظومة البنية البسيطة للمعنى والّتي توجد على مستوى البنية العميقة، تأخذ عند قراءتنا للنّص اسم: - المربّع السّيميائي- Le carré sémiotique »[2] هذا الأخير «الذي يمثّل بنية عميقة ثابتة، ومنطقيّة لأي منظومة دلاليّة مهما كانت أدوات التّعبير مختلفة»[3] فهو يصلح أن يطبّق على كلّ الأشكال التّعبيرية السّرديّة وغير السّرديّة، وهو أداة فعّالة ومرنة.

إنّ المربّع السّيميائي(Le carré sémiotique) لا يقيم علاقاته إلاّ على وحدات صغرى، فهو محصور في « الذّرّات المعنميّة أو المعاني الذّرّية، إلاّ أنّ هذه المعانم غير مستقلّة الدّلالة في حدّ ذاتها بل تكسبها عن طريق العلاقة التي تجمع بين أكثر من معنم واحد، ويذهب غريماس إلى أنّ وظيفة هذه المعانم خلافيّة أساسا.»[4] فكلّ معنم يفضي إلى وحدتين متضادتين مثلا: الأمر

---

[1]- Joseph courtes introduction à la sémiotique narrative et discursive Ed Hachette paris 1976 p8.

[2]- آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: رشيد بن مالك، تقديم: عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع ط1 2008، ص48.

[3]- لحميداني حميد ، بنية النص السّردي من منظور النّقد الأدبي المركز الثّقافي العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع ط1 1991 ص116.

[4]- تشاندلر دانيال، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهبة مراجعة، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1 2008 ص88.

(طلب / نهي)، سنكون حينئذ أمام نموذج تكويني باعتباره تأليفا تقابليّا لمجموعة من القيم المضمونيّة:[1]

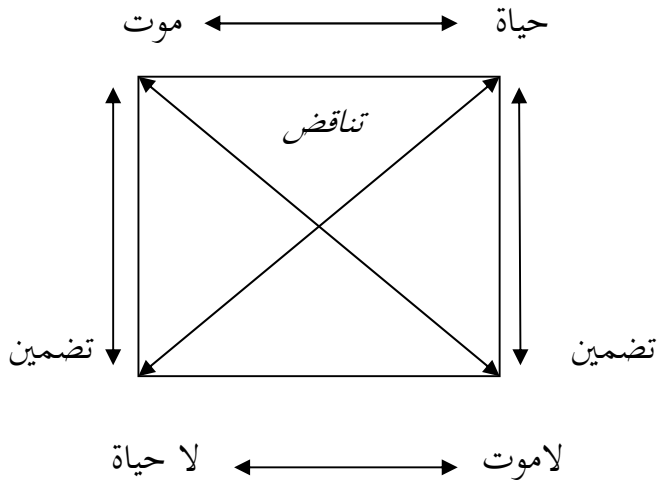

المربّع السّيميائي مبني على عمليّات النّفي والتّثبيت يتمّ ذلك عبر مراحل (وضع أولي- تحويل- وضع نهائي) مسيّر بشكل قبلي لسير الأحداث والملفوظات السّرديّة التي تتمّ عبر عمليّات الوصل والفصل، والمربّع مؤسس على مسارين كما سنرى عبر المخطّط المصاغ في الشّكل الآتي:[2]

-------علاقة تضاد(Contrariété)

ـــــــــ علاقة التّناقض(Contradiction)

.....علاقة التّضمين(Implication)

إنّ هذه العلاقات التي تقوم على عمليّة الاستبدال بين العناصر البسيطة(المعانم) إمّا بالنّفي أو الاثبات، يتمّ من خلالها استكمال الوجه العام للمربّع واشتغال الدّلالة، فمثلا في علاقة التّناقض تنفي إحدى الوحدتين الأخرى وتنقضها، فلا مجال للجمع بينهما أو إيجاد لفظ وسيط بينهما، في حين تكون العلاقة الضّديّة عبارة عن تقابل أو تعاكس بين الوحدتين، ويفترض وجود أحدهما

[1]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّات السّرديّة مدخل نظري، ص54.

[2]- ابن مالك رشيد ، مقدّمة في السّيميائيّة السّردية، ص 14.

وجود الآخر، أمّا علاقة التّضمين فتسمح بوجود معانم وسيطة تأخذ بطرف من حالات المتقابلين.[1]

لتوضيح أكثر نظيف القول أنّ هذه العلاقات(التّناقض والتّضاد والاستتباع) هي علاقات توجد «على الصّعيد التّحتي-العميق- ممثّلة على الصّعيد الفوقي- البنية السّطحيّة- بشبكات صوريّة محدّدة المعالم، في تجليّات للأدوار الموضوعاتيّة وللمسارات الصّوريّة، القائمة أساسا على الانزياح والاختلاف»[2] معنى ذلك أنّ الجانب المنطقي للنّص يعكس لنا نمطين للنّص ممثلين في حالة وتحوّل(فعل).

إنّ عمليّة النّفي هي الأساس في هذا المربّع، فمن خلالها يتمّ الانتقال من طرف إلى آخر مثلا من د1 إلى د1¯، فإذا كان « التّدليل [د] (الكون باعتباره دالا في كليته أو نظاما سيميائيا ما) يبدو في مستوى التقاطه الأوّل كمحور دلالي، فإنّه يقابل[د¯]المأخوذ كغياب مطلق للمعنى وكنقيض للعنصر [د]، وإذا اعتبرنا أنّ المحور الدّلالي[د] (جوهر المحتوى) يتمفصل في مستوى شكل المحتوى إلى سيمين متضادين:

د1 ◄——————► د2

فإنّ هذين السّيمين(sémes) مأخوذان على حدة، يشيران إلى وجود عناصر متناقضة:

د1¯ ◄——————► د2-3

إنّ هذه العلاقات تعتبر عمليات قائمة على الانفصال والاتّصال، إذ تتصارع ذاتين ما من أجل احتواء موضوع القيمة، إمّا بالنّفي أو الإثبات، ذلك أنّ «عمليّة الإثبات والنّفي الخاصّة بالمضامين تشير إلى أولى العلاقات التّحويلية الممكن إنجازها وطرحها على شكل ملفوظ سردي

[1]- ينظر: العجيمي محمد الناصر ، في الخطاب السّردي، ص96.

[2]- بوشفرة نادية، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص106.

[3]- كورتيس جوزيف ، مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابية ص91.

بوجهيه الانفصالي والاتّصالي»[1] والمقصود بالانفصال هنا التّحوّل الخاص بالنّفي والاتّصال التّحوّل الدّال على الإثبات.

خلاصة كلّ ذلك أنّ المربّع السّيميائي خصّصه غريماس(Greimas) لتجسيد المعنى الكامن وراء التّمظهرات السّطحية، لكن هذا لم يكن من العدم وإنّما كان ذلك نتيجة جملة من الملاحظات:

-كان يجب على السّيميائي الخروج بنظام يبرز التّنظيم الدّلالي، من خلال جملة من التّقابلات والثّنائيّات.

-اعتماد النّفي والإثبات، خاصة في وصف تسلسل هذه العمليّات الممفصلة للمعنى.

- التّطور المعارفي الذي يسمح لنا بالعبور من النّقيض إلى بلوغ الضّد.

- اعتماد المنطق الدّلالي في بلورة المقابلة الثّنائيّة[2] القائمة على التّضاد والمولّدة لعلاقة الافتراض المتبادلة بين سير المسارين المشكلين للمربّع السّيميائي، فاستطاع توضيح أنّ الانتقال من العمليّات إلى التّركيب السّردي يتمّ عبر الفعل التّركيبي، أي الانفجار في شكل تمثيلي(أدوار).

خلاصة ما تقدّم أنّ البنية العميقة هي مستوى قائم على علاقات الاختلاف والتّقابل بين الوحدات المعنميّة، التي تشكّل فيها عمليّة النّفي والإثبات لب التّحوّل، هذا التّحوّل الذي أطلق عليه غريماس مصطلح القلب، يعني «قراءة المستوى الأوّل من خلال المستوى الثّاني»[3] أي أنّ النّفاذ من عمق النّص إلى ظاهره يتّم عبر عمليّة القلب(الانتقال من العلاقات إلى العمليّات وهذا لا يحدث إلاّ بحضور فعل وذوات، أطلق عليهم غريماس مصطلح العوامل.

---

[1]- بنكراد سعيد ، السّيميائيّات السّردية مدخل نظري، ص58

[2]- ينظر: كوكي جان كلود ، السّيميائيّة مدرسة با ريس، تر: رشيد بن مالك، دا ر الغرب للنّشر والتّوزيع، د.ط د.ت ص100/99.

[3]- بنكراد سعيد، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، ص61.

2- النّموذج العاملي(le modèle actantielles):

أ- كنسق(sysstéme):

ننطلق من فرضية مفادها أنّ العناصر الدّلاليّة تتمظهر وتتجلّى في الجانب الحسي للملفوظات عبر"الفعل"، لأنّ الجانب المنطقي لهذه الوحدات الدّلاليّة في العمق يعكس لنا «تلازم ضربين ضروريين لكلّ محكي، مشار إليهما بـ"حالة" و"فعل"على سطح النّص السّردي»[1] فقد استفاد غريماس أساسا في بناء تصوره لهذا النّموذج من مفهوم العوامل في اللّسانيات، حيث انطلق من ملاحظة "تسنير tesniére " حول الملفوظ البسيط (l'enoncé élémentaire)، وفهم نموذج سوريو في المسرح، بناء على جملة من الملاحظات استنتجها من سابقيه، شكّل نموذجا عامليّا مكوّنا من ستّ عوامل تنتظم في ثلاث ثنائيّات، يصلح أن يطبّق على كلّ الأنواع السّرديّة، التّصويرية وغير التّصويرية .

لقد رسم غريماس(Greimas) خطاطة عامليّة مجرّدة استخلص فيها، كلّ العمليّات النّاتجة عن جملة من العلاقات الدّلاليّة (النّموذج التّكويني) فهي تمظهر لما هو باطن.

فجعل هذه العوامل تتعالق في ثلاث محاور أساسيّة تربط بين العوامل، أيّ كلّ زوج من أطراف النّموذج العاملي تربط بينهما علاقة معيّنة تفضي مباشرة إلى علاقة أخرى، وانطلاقا من تلاحم هذه العلاقات يكتمل الوجه النّهائي للنّموذج العاملي، الذي وضّحه غريماس في المخطّط التّالي:[2]

[1]- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص107.

[2] - Greimas Algirads julien Sémantique structurale p 180.

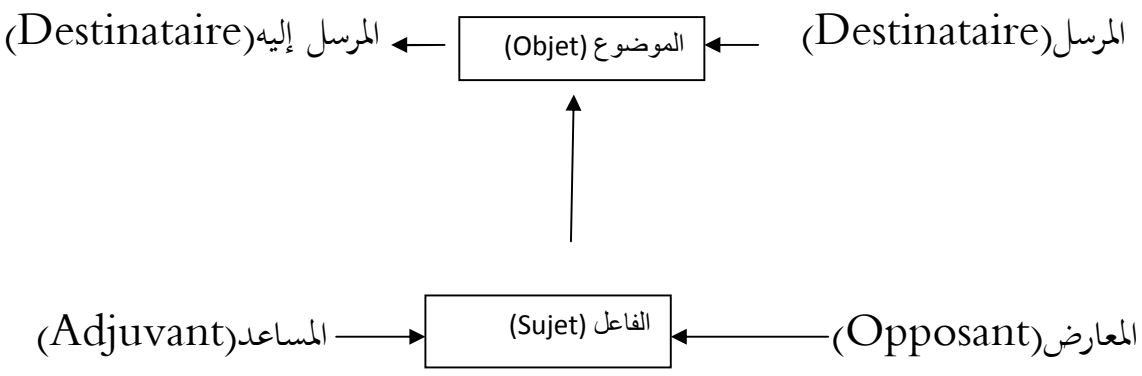

1- علاقة الرغبة relation de désir:

وتجمع هذه العلاقة بين عاملين أساسين في النّص، بين من يرغب في الموضوع المتمثل في الذّات (sujet)، وما هو مرغوب فيه (الموضوعobjet)، إذ «يمثّل مستوى الفاعل/الموضوع حيّزا يشمل مسارات هويّة الفاعل وتنقّل مواضيع القيمة»[1]، وهما يمثلان العاملين الأساسين اللّذان ينهض عليهما النّص بصفة وجوديّة ولعلّ هذا ما جعل غريماس يوليها أهميّة، فقال:«تعدّ هذه العلاقة بؤرة النّموذج العاملي، بل تمثّل العنصر الحيوي فيه، لأنّ هذه العلاقة تستقرّ في وضع غائي(Téléologique) موافق لعمل القدرة على فعل الفاعل»[2] فالعلاقة الرّابطة بينهما علاقة استتباعيّة(Relation d'implication) أي لا فاعل بدون موضوع والعكس صحيح فكلّ طرف يستدعي حضور الآخر.

فالعلاقة الرّابطة بين الذّات والموضوع توجد في أساس الملفوظات السّرديّة البسيطة(Les énoncés narratifs élémentaires)، وهكذا يكون من بين ملفوظات الحالة(Les énoncés d'état) ذات يسمّيها هنا ذات الحالة(Sujet d'état)، وهذه الذّات إمّا أن تكون في حالة اتصال∩، أو في حالة انفصال∨ عن الموضوع0[3] ففي حالة الاتّصال(état de conjonction) تكون الذّات ترغب في الانفصال، أو يمكن القول أنّ الذّات هنا تسير على

[1]- كوكي جان كلود ، السّيميائيّة مدرسة با ريس ص77 /78

[2] - Greimas Algirads julien Sémantique structurale p181 .

[3]- ينظر: لحميداني حميد ، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص34.

نفس الوتيرة مع النّمط الدّلالي للموضوع بحيث لا يتأثر الفاعل بأداء المعارض، وفي حالة الانفصال(état de disjonction) يحدث انقطاع بين الفاعل والموضوع يجعل الذّات ترغب في الاتّصال بالموضوع.

حالة الإتصال :

الفاعل (الذّات) ⟵ الموضوع

حالة الإنفصال :

الفاعل(الذّات) ⟵ الموضوع

علاقة التّواصل relation de communication :

تتمّ العلاقة بين المرسل(Distinateure) والمرسل إليه(Distinataire)، فالذّات لتحقق الرّغبة، لا بدّ أن يكون من ورائها دافعا أسماه غريماس المرسل (Destinateur) يوكلها بالمهمّة، وقد عرّفه بأنّه « الموكل بالمحافظة على منظومة القيم وصيانتها وضمان استمرارها »[1]، وبطبيعة الحال فإنّ تحقيق الرّغبة والوصول إلى المبتغى لابدّ له من عامل آخر مستقبل ومقيّم، أطلق عليه غريماس اسم المرسل إليه (Destinataire) وجعل له دلالتين:

الأولى الفاعل المرتبط بحكم العقد أي طالب الحاجة، والأخرى المستفيد بالأمر مهما كانت هويته، سواء كان المرسل أم الفاعل .

وهكذا فإنّ علاقة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه، تمر بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة (الذّات والموضوع)، إذ جعل غريماس «هاتين المقولتين: المرسل والمرسل إليه إلى حدّ الآن، مكونتين لنموذج

1 – كوكي جان كلود ، السّيميائيّة مدرسة با ريس ، ص 75

بسيط، يتمحور في مجمله على الموضوع الذي هو موضوع الرّغبة وموضوع الاتّصال في الوقت ذاته»[1] فالموضوع هو فاتح قناة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه.

تمثيل علاقة التواصل :

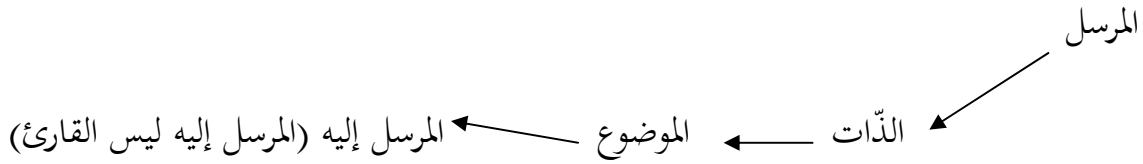

علاقة الصّراع relation de luttre :

تحدث هذه العلاقة بين المعارض (l`opposant) والمساعد (adjuvant)، وقد اعتبرهما غريماس مجرّد « إسقاطات لعمل الإرادة، ولمقوّمات خياليّة للفاعل نفسه، تعود على رغبته إمّا بالنّفع وإمّا بالضّر »[2] فهي على ارتباط وثيق بالفاعل والموضوع، لأنّ فحوى هذه العلاقة إمّا منع حصول العلاقتين السّابقتين (تعطيل عمل الذّات)، أو العمل على تحقيقها، ففي هذه العلاقة يتعارض عاملان أحدهما يقف إلى جانب الذّات (المساعد) والثّاني يتعارض مع الأول فيعمل على عرقلة عمل كلّ من الذّات والمساعد في الوصول إلى الموضوع.

ب – كإجراء(**Procés**):

لقد ارتكز تناولنا السّابق على تناول المكوّنات العامليّة كعناصر نحويّة، والعلاقات الرّابطة بينهم وبما أنّ هذه العلاقات قائمة على عاملين(الذّات والفعل) اللّذان من خلالهما يتمّ التّحليل السّردي الذي يكون «أساسه التّمييز بين الحالات والتّحويلات، بمعنى بين الحالة للدّلالة على

[1]- Greimas Algirads julien Sémantique structurale p178.

[2] -Greimas Algirads julien Sémantique structurale p180.

الكينونة(Etre) أو الملك(Avoir) وبين الفعل(Faire) المنجز.»[1] والتي تتجسّد من خلال الملفوظ البسيط بنوعيه(الحالة والفعل).

إنّ هذا التّحويل(transformation) القائم على الحركة واللّاثبات النّاتج عن مجرى ملفوظ الفعل نحو تغيير ملفوظ الحالة، ليتشكّل البرنامج السّردي الذي أطلقه غريماس(Greimas) على «جملة الإنجازات الهادفة إلى تحقيق تحويل رئيسي»[2] فهو مشروع عملي يعيّن الصّلة بين ذات الفعل وموضوع القيمة، وهذا أكيد له شروط ومراحل يتقيّد بها، ويحكم بها الذّات، فما هي هذه المراحل؟

توجد أربع مراحل يتمّ من خلالها اكتمال الخطاطة السّرديّة والتي يمرّ بها البرنامج السردي (programme narrative) هي:

التّحريك أو المناورة(Manipulation):

هي عمليّة ضرويّة في الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثّانيّة، ويجب التّعامل معه على أنّه «مجموعة من اللّحظات السّرديّة المرتبطة فيما بينها وفق منطق خاص.»[3] يكون فعل إقناعي يقوم به المرسل نحو الذّات التي تضطلع بالفعل، فيكون المرسل هو الدّافع والمحرّك والذّات هي العنصر المدفوع.

والتّحريك هو عنصر ضروري في تحديد الخطاطة السّرديّة، خاصة أنّه «يتميّز بكونه نشاطا يمارسه الإنسان اتّجاه آخر، بهدف الدّفع به إلى القيّام بانجاز ما»[4] بهذا تتضّح الرّؤية ونستخلص أنّ التّحريك يرتبط بفعل الفعل أي أنّ المرسل يعيّن الفاعل ويدفعه للقيّام به.

---

[1]- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة،ص52.

[2] - المرجع نفسه، ص54.

[3]- بنكراد سعييد ، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة، ص55.

[4]- المرجع نفسه ، ص57.

الكفاءة(La compétence):

هي عنصر لابدّ من توفّره في الذّات الفاعلة، ومن خلالها يحكم المرسل على الفاعل إذا كان أهلا للقيّام بالفعل، فهي «تلك الشّروط الضّروريّة لتحقيق الإنجاز المتعلّقة بالذّات الفاعلة»[1] ولا يتحقّق الإنجاز إلاّ بتوفّرها.

وهذه الأهليّة تتطلّب وتنبني على موجّهات الفعل (les modalités de faire) التي تساهم في تمييز العلاقة بين الفاعل والفعل وهي المعتزم القيّام به، وهي أربع وضعيّات:[2]

- معرفة الفعل Savoir-faire.
- قدرة الفعلPouvoir-faire.
- إرادة الفعلVouloir-faire.
- وجوب افعلDevoir-faire.

ولتوضيح هذه الموجّهات تورد نادية بوشفرة جملة من الأمثلة للملفوظات السّرديّة(les énonces narratifs):[3]

أ- أريد أن أذهب إلى المكتبة لاقتناء المراجع.

ب- يجب أن أذهب إلى المكتبة لاقناء المراجع.

ج- أستطيع أن أذهب إلى المكتبة لاقتناء المراجع.

د- أعلم أنّي سأذهب إلى المكتبة لاقتناء المراجع.

---

[1]- بن غنيسة نصر الدين ، فصول في السّيميائيّات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، ط1 2011، ص45.

[2]- ابن مالك رشيد ، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص20.

[3] -بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص61.

تحتوي هذه الملفوظات على فاعل، أداء، المشتركين، تشترك في ضمير المتكلّم، وتختلف في الدّلالة من ملفوظ إلى آخر، اختلافا واردا من طبيعة العلاقة بين أطراف تلك الوحدات العامليّة[1]، أي تلك التي تربط الفاعل بفعله.

الإنجاز(Performance):

هو مرحلة تلي مرحلة الكفاءة أو الأهليّة، وتتطلبهما في نفس الوقت، فإذا كان «التّحريك يحيل على كلّ فعل الفعل(Faire faire) وتحيل الأهليّة على كينونة الفعل(être du faire)، فإنّ الإنجاز يحدّد فعل الكينونة(Faire être)»،[2] فيتّم من خلاله تحويل فاعل الحالة نحو موضوع القيمة.

يعتبر الإنجاز وحدة سرديّة تتكوّن من سلسلة من الملفوظات، وهو مرحلة حاسمة يتحقّق فيها فعل الفاعل «من خلال أداء أساسي محوّل للحالات»[3] والتي تتمّ عبر تتابع الملفوظات على الشّكل التّالي:[4]

مس= مواجهة: (ذ1 ⟺ ذ2).

مس= هيمنة: (ذ1 ⟸ ذ2).

مس= منح: (ذ1 ⟹ ذ2).

---

[1]- ينظر: ابن مالك رشيد ، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص20.

[2]- بنكراد سعيد، مدخل إلى السّيميائيّات السردية ص64.

[3]- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص63.

- بنكراد سعيد، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة، ص63.

[4] مس=الملفوظ السردي/ذ= الذات.

في لمرحلة الأولى تتواجه الذّات الفاعلة مع الذّات المضادة حول موضوع القيمة، كوحدتين متناقضتين، في حين تمثّل المرحلة الثّانيّة(هيمنة) نقطة العمل حيث تنطلق الذّات في تحقيق الإنجاز إمّا بالسّلب إو الإيجاب، أمّا المرحلة الثّانيّة فيتحقّق فيها الإنجاز بحصول الذّات على الموضوع.

في هذه المرحلة من المار السّردي تدخل الذّات المنجزة في علاقة مع موضوع القيمة، تصبو من خلالها إلى تحويل حالة الفصلة أو الوصلة إلى ما يعكسها(ف1∨م)أو(ف1∧م).

هذه الحالات والتّحوّلات تجري في خضم ملفوظين يتضحان من خلال المخطّط التّالي:[1]

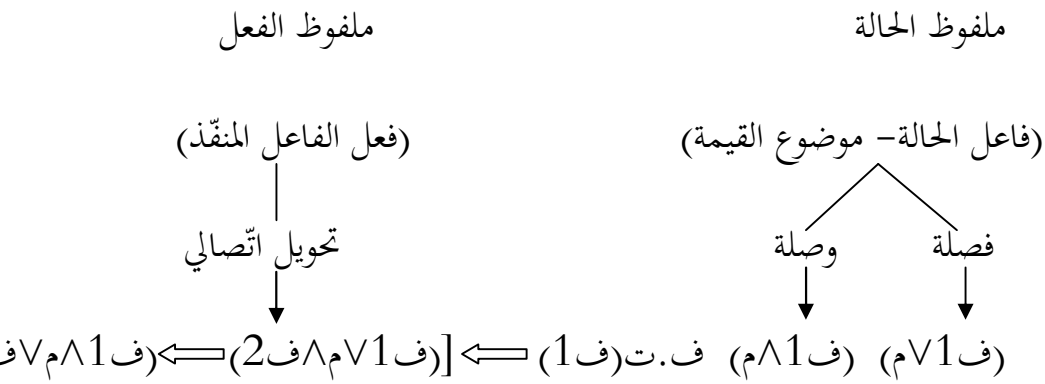

نلاحظ من خلال هذا المخطّط في القطب الذي يمثّل ملفوظ الحالة، يكون الفاعل في علاقة بالموضوع إمّا في وضعيّة وصليّة أو فصليّة، وهذه الوضعيّة تتطلّب ذات فاعلة تدخل بالفعل مع الموضوع فيحدث التحوّل الذي هو «الانتقال من شكل حالة إلى آخر».[2]

ومن ثمّ يتحقّق ملفوظ الفعل(enoncé du faire)، الذي يقدّم لنا الفاعل المنفّذ الذي ينتج تحويلا انفصاليّا أو اتّصاليّا، لكن إذا ضمّ الملفوظ ذاتين ترغبان في الاتّصال أو الانفصال نكون حينا أمام برنامج سردي مكثّف أو مضاعف.

إنّ هذا التّحويل على مستوى المسار السّردي يمكن التّمثيل له بصيغتين هما:

[1]–ا بن مالك رشيد، مقدّمة في السّيميائيّات السّرديّة، ص24.

[2]– بن غنيسة نصر الدين، فصول في السّيميائيّات، ص42.

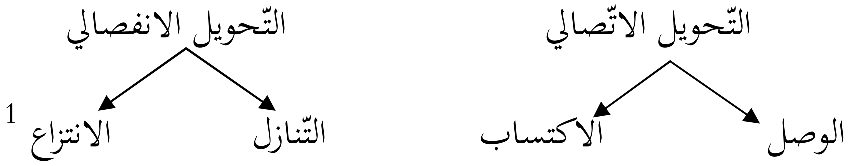

يكون التّحويل في حالة وصل إذا لم تكن الذّات في اتّصال بالموضوع من قبل، بينما تحقق الذّات الاكتساب فيما كانت في تقابل مع ذات أخرى على صلة بالموضوع، في حين يتّخذ التّحويل وضعيّة التّنازل ما إذا كانت الذّات ترغب في الاتّصال بالموضوع لكنّها لم تظفر بذلك، أمّا في وضعيّة الانتزاع فتكون الذّات في حالة وصلة بالموضوع، ثمّ تنفصل عنه.

الجزاء(Sanction): هو ذروة الخطاطة السّرديّة، لأنّه يوجد في مرحلة نهائيّة من السّرد، «فبعد حدوث تحوّل للحالات بفعل الذّات الفاعلة، يجب تقييم الحالة النّهائيّة لهذه العمليّة والإقرار بأنّ التّحوّل حدث فعلا، ومكافأة الذّات الفاعلة»[2] بإعطائها تقويم نهائي للإنجاز الذي قامت به وهي مهمّة تقويميّة يتولاّها المرسل إليه.

رغم أنّ الإحاطة بهذه النّظريّة الشّاملة ليس بالأمر الهيّن سواء من حيث مرجعيّتها العلميّة أو مفاهيمها النّظريّة أو الإجرائيّة، فإنّ جلّ ما استخلصناه أنّ البنية العميقة تستدعي البنية السّطحيّة، «فالنّفي والتّوكيد مثلا المستخدمان في "النّحو العميق" يوافقهما الفصل والوصل في "النّحو السّطحي"»[3] إذ يستحيل البحث في أحد المستويين دون الآخر، كما أنّ «تحليل الملفوظ السّردي يسمح بالانتقال إلى الكشف عن البنيات الفاعليّة والمسار الغرضي ثمّ البنية العميقة»[4] فالبنية السّطحيّة تستدعي البنية العميقة لفك شفراتها(Codes) وإشاراتها(Les idices).

[1]– ينظر: بنكراد سعيد، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، ص51.

[2]– بن غنيسة نصر الدين، فصول في السّيميائيّات، ص48/47.

[3]– كورتيس جوزيف، مدخل إلى السّيميائية السردية والخطابية، ص137.

[3]– بورايو عبد الحميد، التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي(دراسة لحكايات من "ألف ليلة وليلة) دار الغرب لانشر والتوزيع، د. ط، د. ت ص9.

2/مفهوم الشّخصيّة:

تعدّ الرّواية من أكثر الفنون الأدبية ارتباطا والتصاقا بالمجتمع، فهي مصباح سحري يظهر من خلاله الوجه المخالف للواقع، بصبغة خياليّة محضة تارة، وتارة نقل ما هو واقعي بوجه لاواقعي قصد التّأثير في القارئ وتوعيّته.

ونظرا للأهمية التي يكتسحها هذا الجنس التّعبيري، أضحت الرّواية اليوم تحتل نصيب الأسد من اهتمامات النّقاد والباحثين، ولا سيّما السّيميائيين منهم الذين تناولوا مختلف أركان هذا الملفوظ السّردي بالبحث والتّحليل، ومن بين أهم العناصر المتناولة بالبحث والتّحليل، عنصر الشّخصية «هذه الأخيرة التي تشكل إحدى دعائم العمل الرّوائي الأساسية»[1] الذي تستند إليه بعض أركانها.

فهي التي « يبتدعها القاص لتشكيل عمله، كما يبتدع المكان والزّمان والحوار واللّغة والرّمز والصّورة وباقي التّقنيّات المسهمة في تشكيل العمل القصصي والمتظافرة لتصنع منه نسيجا فنّيا متراصا»[2] فمثلا الزّمن لا يمكن أن نتصوره مجرّدا من مجموعة من الأفراد الذين يسومونه بعلامات تجعله متباينا عن غيره من الأزمنة، والشيء نفسه بالنّسبة للمكان فدلالته مرتبطة بالشّخصيات التي تشغله من خلال ما تقدّمه، إضافة إلى أنّ هذه الشّخصيّات يعمد الرّاوي إلى توظيفها كعنصر خيالي يثبت به ذاته بعيدا عمّا هي عليه في الواقع.

فما مفهوم الشّخصية ؟ وما هي أشكالها في الدراسات السّرديّة المعاصرة؟

---

[1]- بويجرة بشير محمد، بنية الزّمن في الخطاب الرّوائي الجزائري(1970-1986)، منشورات دار الأديب الجزء الثّاني طبعة 2008م.

[2]- ملاح بناجي، آليات الخطاب النّقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائريّة (دراسة في قراءة القراءة)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع د.ط 2002، ص70.

قبل البدء في الحديث عن مفهوم الشّخصية، والإشارة إلى أبعادها ودلالاتها يجب أن نتبيّن الفرق بين الشّخص والشّخصية، ونوضح الرّؤية حول هذين المفهومين.

– الفرق بين الشّخصية والشّخص:

إنّ الشّخصية لا تعني الشّخص بحدّ ذاته، حتى في العرف الاجتماعي نجد النّظرة إلى لفظ الشّخص تختلف نوعا ما عن لفظ الشّخصية فالشّخص يمثل كيان له وجود وكينونة تميّزه، في حين أنّ الشّخصية تطلق عند العامّة على الذي تكون له ميزة تجعل منه شخصية لها مكانة وميزة تميّزها وتجعل لها وزن في بيئتها، أي هي صيغة تفهم من مدلولها، وهذه الرؤية هي واقعية متداولة، لكن في الفعل السّردي أيضا نجد بطبيعة الحال فرقا واضحا بين الشّخص والشّخصية، وإن كان من غير الممكن فصل أحدهما عن الآخر.

وذلك ما يوضّحه عبد الملك مرتاض حين ينظر إلى الشّخصية على أنّها «كائن حركي حيّ ينهض في العمل السّردي بوظيفة الشّخص دون أن يكونه وحينئذ تجمع الشّخصية جمعا قياسا على الشّخصيات لا على الشّخوص الذي هو جمع الشّخص»[1]. أي أنّه من النّاحيّة الصرفيّة لا يصح أن نقول أنّ الشّخص جمعه الشّخصيات ، ولا الشّخصية جمعها أشخاص أو شخوص.

لكنّ محمد عزّام يرى الفرق بينهما من زاوية أخرى فنجده «يعتبر الشخصية في مفهومها العام لها قوانينها التي تقننها، أمّا الشّخص فلا يعني سوى شخصا معينا في رواية معينة ، له خصائصه الجسمانية والنّفسية، وصفاته المحددة، ويحمل اسم يثبت كينونته، ومع ذلك فهما يتلامسان تلامس الخاص ضمن العام».[2]

[1]– مرتاض عبد المالك، تحليل الخطاب السّردي،معالجة تفكيكية سيمائية: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن" د.ط 1995، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ص126.

[2]– الأحمر فيصل، معجم السّيميائيّات الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط1 2010، ص215.

فالشّخصية حتى نحكم عليها بالنّبل وغيرها من الصّفات لايتم ذلك ظاهريّا، وإنّما من خلال دلالاتها التي نقف عليها من مستويات اللغة المتلفّظ بها الضّمنية والظّاهرية، أي أنّ الشّخصية علامة تقبل الوصف مثلما تقبل التّحليل[1].

أمّا الشّخص فليس له قوانين تحكمه وتحدّده لأنّه أساسا هو خاص بالملفوظ السّردي المذكور فلا تتقاسمه الملفوظات باختلافها أي أنّ الشّخص خاص بالرّواية الواحدة لا يمتلك صفات عامة يحكم عليه من خلالها ضمن ثقافة اجتماعية محدّدة فهو يختلف عن الشّخصية الّتي يحكم عليها بالنّبل أو الخبث بالنّظر إلى ما وراء ظاهرها.

وهذا الحكم يأتي بناء على مواصفات تظهر من خلال مجموع السّلوكات التي يقف عليها القارئ من خلال معاينته لدلالات الألفاظ، وهذا ما أشار إليه هامون(Hamon) في دراسته للنّظام السّيميولوجي للشّخصية، لكن رغم هذا وذاك تبقى الشّخصية تتجاوز الشّخص وتحويه في نفس الوقت.

خلاصة ذلك أنّ الشّخص يحمل السّمات المميزة للإنسان كمخلوق له صفات عضوية بيولوجيّة تميّزه عن غيره من المخلوقات، وكينونة مسؤولة أخلاقيا وقانونيا، واجتماعيا في حين أنّ الشّخصية تمثل الجانب المعنوي (هيئتها وسلوكها)، «فالشّخصية حسب قول فيصل الأحمر أقرب ما تكون التّمثّل المعنوي للشّخص على عكس الشّخص الذي هو التّمثل الحقيقي للفرد أو الإنسان»[2]. إذن فالشخصيّة لا يمكن أن نميّزها إلاّ من خلال ما يصدر عنها أو ما توصف به ونقف على ذلك عبر خبايا الملفوظ السّردي.

إنّ الأهمية القصوى التي يستوجبها هذا المكون الرّوائي جعلت العديد من البحوث والدّراسات التي عنيت بتحليل الأعمال السّردية تركز على تناول الشخصية الرّوائية وبنيتها في

[1] – أحمد النّاوي بدري، خصائص الكتابة الرّوائية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1 2015 ص101.

[2] – الأحمر فيصل، معجم السّيميائيات، ص215.

الخطاب السّردي العربي، بالتّحديد عبر مستوييها في مقاربة النّص السّردي الممثلين في البنيتين السّطحية والعميقة بمختلف مكوناتها.[1]

فما مفهوم هذا العنصر الحيوي وما مدى تأثيره وتأثره في الرّواية؟

مفهوم الشّخصية:

تعدّ الشّخصيّة من المواضيع التي استأثرت جهود عدد كبير من علماء النّفس وعلماء الاجتماع بصفة عامة، والأدب بصفة خاصة سواء فيما يخص الرّواية أو المسرحيّة وكلّ أنواع الفعل السّردي، رغم أنّ الشّخصيّة الرّوائية تختلف كليّا عن الشّخصية في الواقع، ذلك أنّها عنصر يولد كمعنى ضمن علاقة تركيبية تنظيمية للأنساق اللّغويّة السّردية.

أ– لغة:

اشتقت كلمة (personnalité) من اللاّتينية (personna) وتعني أصلا القناع الأصلي.[2]

وتستعمل كلمة personna (الشّخصيّة) عادة بعدّة معاني ففيها أوّلا العنصر الإنساني، وفيها أيضا معنا إيجابيّا فمثلا يقال فلان ذو شخصية أو عديم الشّخصية، كما استعملت للإشارة إلى النّواة المركزية والعميقة للكائن الحيّ.[3]

[1] – عقاق قادة الخطاب السّيميائي السّردي في النّقد المغاربي دراسة، دار الألمعيّة للنّشر والتّوزيع ط1، 2014، ص10.

[2] – وين فريدرهوبر، مدخل إلى سيكولوجية الشّخصية، ترجمة مصطفى عشري، ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر–دط–1995–ص12.

[3] – سيمون كلابيه فلادوم، نظريات الشّخصية، ترجمة علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط2،1993م، ص05.

أمّا في اللّغة العربيّة فقد "اشتقت كلمة الشّخصية من شخّص شخوصا...أي ما يدلّ على الإنسان من خصائص فردية وذاتية مميّزة."[1]

وقد عرّفت أيضا في مختلف القواميس العربية، ففي كتاب العين جاء:

الشخّص: سوادُ الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكلّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمعه الشّخوص والأشخاص، والشّخوص السّير من بلد إلى بلد، وقد شخص يشخص شخوصا وأشخصته أنا، وشخص الجرح: وَرِمَ.

وشخص ببصره إلى السّماء: ارتفع، وشخصت الكلمة في الفم: إذا لم يقدر على خفض صوته بها والشّخيص: العظيم الشّخصِ، بيِّن الشّخاصة[2]

والشّخصية عند "فيروز آبادي" معناها:

"ارتفع عن الهدف شخص بصوته لا يقدر على خفضه وشخص به أتاه أمرا أقلقه."[3]

هذا معناه أنّ الشّخصية لا ينظر إليها على أنّها عنصر منفصل تماما عن الفرد (الشّخص)، ذلك أنّ الشّخصيّة قبل كلّ شيء «هي مقولة من مقولات القيمة، وهي تحقيق لغاية وجودية، أمّا الفرد فلا يفترض بالضّرورة مثل هذه الغاية، وهي أيضا رمز على التّكامل الإنساني والقيم الدّائمة، وهي شاملة، إذ تستوعب الرّوح والنّفس والجسم جميعا».[4] فالشّخصية والشّخص عنصران يحيل أحدهما على الآخر.

---

[1] – حسن عبد الحميد أحمد رشوان، دراسة في علم الإجتماع النّفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د.ط، 2006م، ص25.

[2] – الفراهيدي الخليل أحمد، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة لبنان، ج2، ط1 2003، ص314.

[3] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية الأردن، ط1،ص 243.

[4] – فضل صلاح ، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء– المغرب– ط2003،1م، ص99.

ب- اصطلاحا:

إنّ المفهوم الشّائع عن الشّخصية بعيدا عن ارتباطها بالرّواية، هو أنّها ذلك النّظام المتّحد والمتكامل والمتفاعل من عوامل جسمية ونفسية واجتماعية وهو مفهوم شائع عند النّاس وعند جميع المختصين والدّارسين والعلماء كعلم الاجتماع والنّفس «ففي النّظريّات السّيكولوجيّة تتخذ الشّخصيّة جوهرا سيكولوجيا، وتصير فردا أي ببساطة "كائنا إنسانيّا" وفي المنظور الاجتماعي تتحوّل الشّخصيّة إلى نمط اجتماعي يعبّر عن واقع طبقي، ويعكس وعيا إيديولوجيّا»[1] لكن هل هذا المفهوم ينطبق على الشّخصية في عالم الأدب عامة والرّواية كخطاب سردي خاصة؟.

إنّ الشّخصيّة في اللّغة والأدب هي «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة والمسرحيّة »[2] وتعدّ من أهم العوالم المساهمة في تشكيل الرّواية.

إنّ الرّواية هذه العجائبية كما وصفها عبد الملك مرتاض في مقدمة كتابه "في نظرية الرّواية" أي ذلك العالم العجيب الذي يفوق هذه الكلمة بعناصره السّحرية من لغة وشخصية وزمن ومكان والذي يحمل بين طياته عالم ملغّز ثري يسحر القارئ ويدفعه إلى فك هذه الشّفرات والرّموز للمرور إلى ما وراء الملفوظ السّردي.

وبما أنّ الشّخصية تعدّ من أهم عناصر الفعل السّردي عامّة والعمل الرّوائي خاصة باعتبارها «تعدّ أهم ركائز العمل الرّوائي(...) ومركز استقطاب مجمل أبعاده الفنّية»[3] فهي كوحدة سردية أو كعلامة، تستحق أن يتناولها الباحثون بالدّرس والتّحليل، شأنها في ذلك شأن باقي عناصر السّرد، فكيف هي الشّخصية إذن في عالم السّرد؟.

---

[1]- بوعزّة محمد، تحليل النّص السّردي (تقنيّات ومفاهيم)، الدّار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2010، ص39.

[2]- داوود حنا الشّخصيّة بين السّواد والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، د.ط 1991 ص7.

[3]- نفلة حسن أحمد، التّحليل السّيميائي للفن الرّوائي دراسة تطبيقيّة لرواية الزّيني بركات، "كلية التّربية جامعة كركوم، دار الكتب والوثائق القوميّة د.ط 2012، ص37.

بما أنّ مصطلح الشّخصية(personnage) شائع في اللّغة العربية وبين عامة النّاس، وفي مختلف العلوم خاصّة علم النّفس و علم الاجتماع، وإن كان يختلف فهمها عمّا هي عليه في علم السّرد (Narration).

فإنّه من النّاحية الفنية يجب استبعاد الجانب الفلسفي وعلم النّفس في دراسة الشّخصية الفنّية ذلك أنّ نزع الفردية عن الشّخصية يجعل منها عنصرا فنّيا مشوّقا، وهو نفس ما نادت به البنيوية في تعاملها مع مفهوم الشّخصية في العالم السّردي، فالفنّ عادة لا يستوجب ربطه بالواقع لأنّه ممزوج بالخيال، لهذا فالشّخصية يجب أن تعلن ذاتها إعلانا واضحا وصريحا خاصة أنّ الرّواية نص خال من الإحالة على الواقع.[1]

فالوجود التّخيلي للشّخصية السّردية في العمل الأدبي ينفي وجودها الواقعي نسبيا وذلك بفعل الملفوظات الدّالة عليها «فهي كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية وله صفات»[2] وإن كان هذا الكنه لا يفيها حقّها، كونه أضيق ممّا تتّخذه هي من معنى يفوق أوصاف الفرديّة.

الأمر الذي جعلها في السّرديات تدلّ على «العنصر الأدبي الذي يظهر ضمن عطاءات اللّغة التي يغذوها الخيال للنّهوض بالحدث، وللتّكفّل بدور الصّراع داخل اللّعبة السّردية العجيبة»[3] فالرّاوي أثناء بنائه شخصيات روايته يمنحها نوعا من التّميّز عبر ما يصطنعه من خيال يجعل من هذه الشّخصية كيانا مبهما لا يفهم إلاّ مما يمنحه له السّياق من معاني.

فالشّخصية لها دورها الفعال في الرّواية حتّى قيل «لا يمكن تصوّر رواية بدون شخصيّات»[4] فهي التي تثري العمل السّردي وتبعث فيه الحيوية والنّشاط عبر حركيّتها وتفاعلها مع غيرها من

[1]- ينظر: أحمد النّاوي بدري ، خصائص الكتابة الرّوائية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1 2005، ص129.

[2]- جيرالد برانس، قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م،ص30.

[3]- مرتاض عبد الملك، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد دار الغرب للنّشر والتّوزيع د.ط 1995. ص110.

[4]- بوعزّة محمد، تحليل النّص السّردي (تقنيات ومفاهيم)، ص9

الشّخصيات، أو مع عنصري الزّمان والمكان دون أن تمثّل الواقع بذاته لأنّ طابعها الفنّي هو الذي يكسبها هذا التميّز.

حيث كان الرّاوي يوليها اهتماما جليلا جعل منها ملكة الرّواية، فكان يعمد إلى وصف ملامحها وتصرفاتها وكلّ ما يجوب في خاطرها، «فقد كانت الرّواية التّقليدية تعوّل على التّنوع والكثرة في الشّخصيات، فتقترب بذلك من الملحمة دون أن تكونها بالفعل ذلك أنّ الشّخصيات في الملحمة أبطال وفي الرّواية كائنات عادية، وهي تستميز بالتّعامل اللّطيف مع الزّمان والحيز والحدث...»[1] معنى ذلك أنّ مفهوم الشّخصية في الرّواية التّقليدية مقترن بمفهوم الكائن الحي الذي له وجود ومكانة في الرّواية التي تنهض عليه وبه.

وقد استمر هذا الرّأي حول الشّخصية مدة طويلة خاصة مع عصر بالزاك وزولا، ممن رسموا في رواياتهم شخصيات تلفت إليها الأنظار[2] وهذا الرّسم للشخصية والتّفاني في معاملتها ومسايرتها في الرّواية هو الذي جعل منها تتربّع على العرش دون منافس، ربّما لأنّ «المستوى السّردي هو حالة توسّط بين الحد المفهومي والحد المشخص ، فانتقال النص إلى الحالة التشخيصية يتطلب أدوات تمثل الفعل السّردي المفهومي المجرد ، ومن هذه الأدوات "الشخصية" التي تمنح النّص بعدا إنسانيا محسوسا يلتف حولها عدد من القيم الدّلالية التي تشكلها بصورة كيان مستقل وتمنحها بعدا إيديولوجيا»[3].

أمّا عن طبيعة وجودها النّصيّة فقد ارتبطت الشّخصيّة بالجانب الشكلي(السّطحي) للنّص الرّوائي إذ يرى جورج لوكا تش أنّ «الشّكل هو الشّخصية في اعتباراتها وأبعادها الفنية..»[4] وهذا يعني أنّ للشّخصية صفة العمومية، فهي تمثل وجه الرّواية، أي أنّنا من خلالها نقف على شكل

[1]- مرتاض عبد الملك، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السّرد ص51.
[2]- ينظر: الأحمر فيصل، معجم السّيميائيات، ص216.
[3]- الجبوري محمد فليح، الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي، ص177.
[4]- مرتاض عبد الملك، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد ص51.

الرّواية ونحكم من خلالها على جودته أو رداءته، وإن كان هذا لا ينفي عنها مدلولها العميق (ماوراء الظّاهر).

إنّ الشّخصية في الرّواية التّقليدية كانت تمثل مرآة تعكس للإنسان وجوده وتفاعلاته داخل مجتمعه وضمن حدود ثقافته، كأنّ الرّاوي كما قال مرتاض كان يريد منافسة المؤرخين في نقل وقائع النّاس وواقعهم السّياسي والاجتماعي وغيرها من المجالات التي تهتم بالوجود الإنساني.

إلاّ أنّ هذا المفهوم عرف تدبدبا وتغيّرا عبر تطور الرّواية، فتعامل الرّواية التّقليدية معها غير تعامل الرّواية الحديثة، فالشّخصية في الرّواية التّقليدية احتلت الصّدارة وامتازت بأسلوب التّكثيف والمبالغة، لكن ما فتئ أن أصبح وجود الشّخصية في الرّواية وجودا ثانويا مثله مثل العناصر السّردية الأخرى، يمكن الاستدلال عليها عبر الملفوظ السّردي، فالنّقاد الجدد يزعمون أنّ «الشّخصية لا تعدو كونها عنصرا من مكونات السّرد في العمل الرّوائي.»[1] أي أنّها أصبحت وحدة مكملة إضافة إلى بقية عناصر الرّواية من لغة وزمن ومكان...

إذ «كانت تعامل في الرّواية على أنّها كائن حي له وجود فيزيقي...»[2] فتقاس الرّواية بمقياسها، في حين أخذت مفهوما آخر جعل منها «كائنا ورقيّا»[3] لا يأخذ معنا إلاّ بدخوله في السّيّاق شأنها في ذلك شأن باقي العناصر اللّغويّة، كما نعتها عبد المالك مرتاض بالورقيّة نعتا «يكسبها أبعادا جديدة يعسر معها الاطمئنان كلّيا إلى إدخالها في حكم ما كان موجودا»[4] وبناء فإنّ الشّخصية عرفت وجها جديدا مع تطور الدّراسات الحديثة التي أثرت عالم الخطاب السّردي.

---

[1]- مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السّرد) ، ص126

[2]- المرجع نفسه ص111.

[3]- بارت رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة:أنطوان أبو زيد منشورات عويدات بيروت ط1 1988. ص131.

[4] - أحمد النّاوي بدري، خصائص الكتابة الرّوائية ص113.

مفهوم الشّخصيّة في السّيميائيّات السّرديّة:

لقد لحق مفهوم الشّخصيّة في الحكي ما لحق النّصوص السّرديّة من تطوّر ابتداء من عمل الباحث الشّكلاني "فلاديمير بروب"Vladimir Propp وصولا إلى ما تلاه من دراسات أنعشت روح التّحليل السّردي عامّة والشّخصيّة خاصّة.

تختلف أشكال تقديم الشّخصيّة من ناقد إلى آخر، كلّ حسب ثقافته وطبيعة النّصوص المتناولة، إذ لكلّ نص شخصيّاته يتفرّد بها عن غيره، ذلك ما يدفع بنا إلى إدارة العجلة في اتجاهات مختلفة باختلاف النّقاد والباحثين محاولين في خضم ذلك رصد ما يوحّد نظرهم.

1- الشّخصيّة عند فلاديمير بروبVladimir Propp :

بما أن مسعى بروب كان يدور حول إيجاد العناصر الثّابتة والمتغيّرة في النّصوص العجيبة، فكان ما توصّل إليه بروب هو أنّ «الشّخصيّة كيان متحوّل ولا يشكّل سمة مميّزة يمكن الاستناد إليها من أجل القيّام بدراسة محايثة لنص الحكاية، فهي متغيّرة من حيث الأسماء والهيئات وأشكال التّجلي، فقد تكون الشّخصيّة كائنا إنسانيّا، كما قد تكون شجرة أو حيوانا أو جنّا، أو ما شئت من الموضوعات التي يوفّرها العالم»[1] فكان التّغيير إذن من نصيب الشّخصيّة، أمّا الثّبات والدّيمومة فكانت من نصيب الوظّيفة باعتبارها «العنصر الدّائم والثّابت»[2] في الحكي، وقد حدّد الوظائف في واحد وثلاثين وظيفة.

لقد تعامل بروب مع عنصر الشّخصيّة بإجحاف، نافيّا عنها أي أهميّة إلاّ دورها في القيّام بالفعل، معتبرا أنّ «الأفعال التي تقوم بها الشّخصيّات في وسط القصّة تكون مدفوعة – في

[1]- بنكراد سعيد، سيميولوجيا الشّخصيّات السّرديّة ("رواية الشّراع والعاصفة" لحنّا مينه نموذجا)، دار مجدلاوي ط1 200م، ص22.

[2]- بنكراد سعيد، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة، ص11.

معظمها بشكل طبيعي- بسير الحبكة نفسه»[1] جاعلا كلّ ما تؤديه الشّخصيّات من أفعال وأدوار هي العناصر الدّائمة والمشتركة بين مختلف النّصوص العجيبة.

لقد أشرنا سابقا أنّ بروب (Propp) اعتبر الشّخصيّات عناصر غير ثابتة في الخرافة، لذلك لم يوليها أهميّة كبيرة، ولكنّه قام بتجميع الوظائف في دوائر محدود سمّاها "دوائر الفعل Les sphère d'action"، جاعلا كلّ شخصيّة موكول إليها القيّام بفعل معيّن، وعدد هذه الدّائر سبعة هي:[2]

1- دائرة الفعل المتعدّي La sphère d'action de l'agresseur

2- دائرة الفعل الواهب La sphère d'action du Donateur

3- دائرة الفعل المساعد La sphère d'action de l'auxiliaire

4- دائرة فعل الأميرة (أو الشّخصيّة موضوع البحث) La sphère d'ction de la princesse

5- دائرة فعل الموكل La sphère d'action du mandateur

6- دائرة فعل البطل La sphère d'action du héros

7- دائرة فعل البطل المزيّف La sphère d'action du faux héros

إنّ هذا التّوزيع الوظائفي لمفهوم الشّخصيّة، وحصرها في "دوائر الفعل" جعل بروب يخضعها لأحد الاحتمالات التّاليّة:[3]

[1]- بروب فلاديمير، مورفولوجيا القصّة، ترجمة: عبد الكريم حسن، وسميرة بن عمو، دار ط1 1996م، ص93.

[2] - Vladimir Propp ; Morphologie du conte p 96/97.

[3]- صلاح فضل، نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي، دار الشّروق ط1، 1998. ص65.

1- أن ينطبق مجال العمل بدقة على شخصية واحدة.

2- أن تشغل شخصيّة واحدة مجالات عمل متعدّدة.

3- أن تقوم عدّة شخصيّات بالاشتراك في مجال عمل واحد.

الأمر الذي منح لها شكلا لم يكن جاريا من قبل، لكن رغم ما لفكر بروبPropp من أثر جلي على نظرة الباحثين حول الشّخصيّة إلاّ أنّه لقي جرّاء ما أغفله عن الشّخصيّة في الحكاية مجموعة من الانتقادات أجملتها معلّم وردة في نقاط أهمّها:[1]

- إقصاء مضمون الفعل.

- اعتباره الوظيفة عنصر أساس في السرد أي اعتبار ما تفعله الشّخصيّة أهم من هويّتها وصفاتها.

- اعتبار أنّ الأفعال أهم من الأسماء...

لكن رغم ما اتّخذ عن بروبPropp من نقاط يبقى لبنة البحث، وركيزة الباحثين الذين إذ لازال ملهمهم ونقطة انطلاقهم.

ومن بين الذي سار على خطاه في تقديم مفهمة للشّخصيّة كعنصر روائي يبث الحركة في صرح النّص انطلاقا ممّا يضطلع به من أفعال، تانيار الذي «حدّد ثلاثة فواعل : من يقوم بالفعل أي الفاعل في النحو التقليدي، من يتحمل الفعل أو الموضوع، وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يضرّ به الفعل، وهو من عنه بالفاعل الثالث، أما الفضلة فتشير إلى الزمان والمكان والحال».[2]

فالشّخصيّة تتضافر مع كلّ العناصر لترصيص البناء الهيكلي للنّص.

[1]- معلّم وردة، الشّخصية في السّيميائيات السّردية الملتقى الوطني الرّابع "السّيمياء والنّص الأدبي ص314/313.

[2]- شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، منشورات الدّار الجزائريّة ط1 2015،ص 69 .

2- الشّخصيّة عند كلود بريمون(Cloude Bremond):

أمّا بريمون فقد اصطلح في منطق السّرد، على الشّخصيّة مصطلح الفـــــــــاعل السّردي، مستخلصا ذلك من إعادة قراءته للتّوزيع الوظائفي لبروب، الذي وجد «أنّ المبدأ الأساسي الذي يتحكّم في الوظائف هو مبدأ السّببيّة ونظام التّتابع الكرونولوجي»[1] جاعلا من الحكاية مجرّد قالب جاهزا للملأ، فارضا بذالك نمطيّة تحدّ من إمكانيّة التّنوّع السّردي.

انطلاقا من توالي الأحداث ومدى تحقّق الفعل أو انعدامه، وضع صيغتين يمكن للشّخصيّة أن تتمظهر من خلالهما:[2]

- المريض المنفعل (Le patient): وهو الذي يتلقى فعل التّحويل، مهما كان نوعه وقيمته إيجابيا أو سلبيا.

- الفاعل (Agent): القائم والمبادر بالمسار التّحويلي.

فالشّخصفيّة تتخذ حسبه أدوارا سردية تتضح عبر الفعل الذي تقوم به بعد أن تأثرت بعوامل دفعتها للقيام بالفعل إمّا بتغيير الوضعيّة أو إثباتها، ومن خلال علاقة الفاعل بالمنفعل تتضح الأدوار السّرديّة، هذا ما نستسيغه من خلال قول بريمونBremond :« أمّا الفاعلون في صلتهم بالمنفعل فتتحدّد بمايلي:

المؤثّر(L'influenceur)، المحسن(L'améliorateur)، المهدّم(Le dégradateur)، المحامي(Le protecteur)، الحامي(Le protecteur)، المحبط(Le frustrateur)، وعبر هذه الصّلة تتحدّد الأدوار السّرديّة من خلال:

[1]- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ط2 2008، ص151.

[2] - Claud Bremond Logique de récit editions du seuil ; paris , 1973 p134 .

المنفعل(Patient)، الفاعل(Agent)، المؤثر أو المحرّض(L'influenceur)، المحسن والحامي(L'améliorateur et le proteceur)، المهدم والمحرض(Le dégradateur et le frustrateur).[1] تتوزّع هذه الأدوار عبر مختلف المقاطع السّردية للنّص وفق قاعدة التّحول والتّحويل، وإن كانت «هذه المصطلحات مهجورة وغير مستعملة على مستوى التّطبيق»[2] خاصة في نقدنا المعاصر.

الشّخصيّة عند سوريو(Saurion):

وهو كسابقه في الدّراسات التّحليليّة التّطبيقيّة وجوده نادرا إن لم يكن منعدما، إذ ترجع فكرة "سوريو" إلى أنّه طبّق النّموذج الوظائفي على الأعمال المسرحيّة، كما نجد لديه إحصاء للأدوار أو الوظائف التي تقوم بها الشّخصيّات، لا يتعدّى سبع أدوار كما سبق ذكر ذلك.

يقترب سوريو(Saurion) كثيرا من مصطلحات "بروب" Propp خاصة في «تحديد الممثلين (الشّخصيات) الذين يقومون بأدوار تشكل العالم المصغّر الدّلالي للعمل الأدبي(...) وإن كان يؤخذ عليهما معا الطّابع الشّكلي البحث الذي يغفل العلاقات الممكنة بين هذه الشّخصيّات»[3] فقد اعتبر الشّخصيّة فاعلا يقوم بالفعل، إذ حصر عملها في أدوار محدّدة، فكان عرضه لأشكال الشّخصيّة ذات طابع شكلي محض، عرضها حسن البحراوي على التّوالي:[4]

1- البطل: وهو زعيم اللّعبة السّرديّة، وهو أيضا الشّخصيّة التي تعطي للحدث حركيّته والتي يسميها سوريو(Saurion) بـ(القوة التّيماطيقيّة) أي الفاعلة.

---

[1]- Claud BremondM Logique de récit ,p :139.

[2]- الخفاجي أحمد رحيم كريم ، المصطلح السّردي في النّقد الأدبي العربي الحديث، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، ط1 2012، ص386.

[3]- فضل صلاح، نظرية البنائيّة في النّقد الأدبي، دار الشّروق، ط1 1998م ، ص111.

[4]- البحراوي حسن ، بنية الشّكل الرّوائي الفضاء الزّمن الشّخصيّة، المركز الثّقافي العربي، ط1 1990،ص219.

2- البطل المضاد: وهي شخصيّة ضد اتجاه البطل، وتعرقل قوته الفاعلة(التّيماطيقيّة) ويسميها سوريو بـ(القوة المعاكسة).

3- الموضوع: وهو غاية البطل المنشودة، ويمثّل شخصيّة عند سوريو بصفته (قوة جاذبيّة).

4- المرسل: وهي تلك الشّخصيّة التي تكون موجودة في وضع يؤثر على اتّجاه(الموضوع).

5- المرسل إليه: وهي تلك الشّخصيّة المستفيدة من مجريات الأحداث، إذ سيؤول إليها الموضوع.

6- المساعد: وهي الشّخصيّة التي تمثّل القوة التي تساعد المحاور والقوى السّابقة.

نقل سوريو التّوزيع الوظائفي عن بروب، ثمّ قام بتطبيقه على المسرحيّات فجعله ذات طابع درامي، وما يميّز ترسيمة "سوريو" (Saurion)هو «التّركيز على الدّور التّيمي للشّخصيّة من خلال علاقاتها المختلفة مع بقيّة الشّخصيّات، فالشّخصيّة الواحدة يمكنها القيّام بدور أو أكثر»[1] هذه الفكرة استلهمها غريماس منه وطوّرها في نموذجه.

الشّخصيّة عند غريماس(Greimas):

استطاع غريماس(Greimas) أن يعيد محاورة محاولات كل من بروبPropp وسوريو(Saurion) ليبني من خلال بحثيهما قواعد أكثر نضجا وشموليتا يمكن تمريرها عبر مستوي النّص السّطحي والعميق، إذ أضحت دراسته للشّخصيّة الأكثر تداولا وتناولا في النّقد السردي المعاصر.

[1]- معلم وردة، الشّخصية في السّيميائيات السّردية الملتقى الوطني الرّابع "السّيمياء والنّص الأدبي، ص315.

فقد حاول أن يعطى الشّخصيّة مفهوما أبعد وأوسع ممّا هي عليه عند بروبPropp ، فأطلق عليها اسم العوامل(Les actants) وعلى أساس ذلك قسّمها على مستويين:[1]

أحدهما: مستوى عام لا يهتم بذات الشّخصيّة المنجزة، بل يهتم بدورها الذي تقوم به كفعل الموت أو الدّهر...إلخ.

ثانيّهما: مستوى تمثيلي(خاص) تتخذ فيه الشّخصيّة دور عاملي أو عدّت أدوار عامليّة.

هذه الأدوار العامليّة تتوزّع عبر النّص في علاقات على مستوى محاور معيّنة، نتكشّف المعنى عبرها، بذلك يكون «اهتمام غريماس(Greimas) بالمعنى إلى جانب الشّكل والصّياغة»[2] جاعلا إمكانيّة الانتقال من البنية السّطحيّة إلى البنية العميقة.

بناء على أنّ القصة هي مجموعة أفعال تقوم بها مجموعة من الأشخاص/العوامل يصل عددها عند غريماس(Greimas) إلى ستّة عوامل هي:[3]

1- العامل الذّات.

2- العامل الموضوع.

3- العامل المرسل.

4- العامل المرسل إليه.

5- العامل المساعد.

6- العامل المعاكس.

---

[1]- لحمداني حميد ، بنية النّص السّردي، ص52.

[2]- عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في بخلاء الجاحظ دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، دار نيبور العراق، د.ط، 2011م ص25.

[3]- عزّام محمد، شعرية الخطاب السردي دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005، ص17.

إنّ هذا النّموذج العاملي هو ما يسمح لنا بالحديث عن فعل التّحويل «أي المحفل الذي يقوم بإنجاز التّحوّل من مضمون إلى مضمون»[1] كما سبق أنّ رأينا أنّ البنية العميقة تستدعي إسقاطات على شكل علاقات.

فكذالك النّموذج العاملي يستدعي أيضا «نتاج إسقاط العمليّات على شكل فعل وفاعل: وظيفة وعامل»[2] هذا الإسقاط هو عبارة عن عمليّة قلب أو تحويل تقود من العامل إلى الممثّل، تفضي بنا إلى «المرور من النّموذج العاملي كصيغة تنظيميّة للفعل الإنساني المحتمل، للوصول إلى بنية الممثلين كوحدة تنتمي إلى التّركيب الخطابي كمعطى ظاهري»[3] التي تظهر فيها الخطاب لتحدث عملية النّفي أو الاثبات حسب ما يستدعي النّص.

انطلاق من ذلك ميّز (غريماس) (Greimas) بين (العامل) و(الممثل)، حيث قدّم فهما مجرّدا أسماه (الشّخصيّة المجرّدة)، التي هي قريبة من مدلول الشّخصيّة المعنويّة في عالم القانون، إذ ليس من الضّروري أن يكون العامل شخصا (ممثلا) فقد يكون كفكرة التّاريخ أو الدّهر وقد يكون جمادا أو حيوانا...إلخ[4] ويعتبر هذا التّقديم جديدا بالنّسبة للشّخصيّة في الحكي، جعل منها عنصرا زئبقيا يصعب القبض عنه بعيدا عن الجهاز العلائقي للوحدات الدّلاليّة، وهو ما تتبنّاه الأبحاث الحديثة في تعاملها مع الشّخصيّة وتحليلها.

الشّخصيّة عند هامون فيليب(PH.Hamon):

إنّ أهميّة المقاربة التي جاء بها هامون(Hamon) فيما يخص الشّخصيّة تكمن في أنّها مخالفة لما كانت عليه في المقاربات التّقليديّة، منطلقا في ذلك مما انتهى إليه غريماس(Greimas)، حيث جعل منها «مورفيما فارغا، أي بياضا دلاليا لا تحيل إلى بناء، بناء تقوم بإنجازه الذّات المستهلكة

[1]- بنكراد سعيد، سيميولوجية الشّخصيّات السّرديّة (رواية "الشّراع والعاصفة" لحنّا مينة نموذجا)، ص75.
[2]- بنكراد سعيد، سيميولوجية الشّخصيّات السّرديّة (رواية "الشّراع والعاصفة" لحنّا مينة نموذجا)، ص76.
[3]- المرجع نفسه ص83.
[4]- عزّام محمد، شعرية الخطاب السّردي دراسة، ص17.

للنّص ومن القراءة، ويظهر هذا المورفيم الفارغ من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل»[1] هذا إن دلّ فإنّه يدلّ على أنّها علامة يجري عليها ما يجري على العلامة اللّسانيّة.

فقد استلهم هامون(Hamon) هامون فكرته عن الشّخصيّة من أعمال سابقة، (لسانيّة بنيويّة ودلاليّة)، لذلك نجده يحدّد الشّخصيّة من خلال مستويين متباينين من التّحليل:[2]

1- بنية الممثلين.

2- بنية العوامل.

ففي هذا المستوى يتمّ عرض أشكال مؤنسسة لها اسم وصفات تميّزها، أمّا في المستوى الثّاني الذي يكون أعمق (الماوراء الظّاهر)، أين تتوسّط البنية العميقة والبنية السّطحيّة.

وقد ربط هامون(Hamon) مفهوم الشّخصيّة بوقوع فعل القراءة حيث قال:« إنّ القارئ يعيد بناءها، كما يقوم النّص بدوره ببنائها (إنّ الأثر/ الشّخصيّة ربّما لا يشكّل إلاّ أحد مظاهر نشاط القراءة)»[3] أي أنّ الشّخصيّة إضافة إلى كونها وليدة مستوى عميق، فإنّه رغم ذلك لا يمكن يمكن الإمساك بمدلولاتها، إلاّ بما يمنحه لها النّص من عناصر تسهم في ملء بطاقتها.

[1]- هامون فيليب، سيميولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة ترجمة: سعيد بنكراد تقديم: عبد الفتّاح كيليطو دار كرم اللّه للنّشر والتّوزيع د.ط د. ت، ص8.

[2]- هامون فيليب، سيميولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة، ص11.

[3]- المرجع نفسه، ص22.

يمكن اختزال كلّ الأشكال السّابقة للشّخصيّة مجدولة كالتّالي:[1]

تصنيف هامون	تصنيف بروب	تصنيف سوريو	تصنيف غريماس
شخصيّات مرجعيّة	البطل	البطل	العامل الذّات
شخصيّات واصلة	البطل المزيّف	البطل المضاد	العامل المعاكس
شخصيّات متكرّرة	الآمر	الموضوع	العامل الموضوع
ـــــــــــ	المساعد	المساعد	المساعد
ـــــــــــ	المانح	المرسل	المرسل
ـــــــــــ	المغتصب	المرسل إليه	المرسل إليه

نلاحظ من خلال الجدول أنّ هناك نوعا من التّشابه الذي يفضي إلى علاقة تأثر وتأثير، واللاّحق بالسّابق.

لا يمكن تصوّر عمل سردي بدون شخصيّات ، التي تعدّ عمود الرّواية الفقري الذي تتشابك معه باقي العناصر، ذلك أنّ « الشّخصيّة في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر ممّا هي تركيب يقوم به النّص»[2] فهي تحيى وتنضج عبر سير الحبكة وتوالي المسارات السّرديّة بما تحمله من أفعال وأحداث تجعل منها، باعثا الحرّكة والتّغير، وتكتسب مفهوما ومدلولا خاصا ساعة حدوث فعل القراءة، دون أن يكون لها وجودا جاهزا بشكل قبلي.

[1]- عزام محمد شعرية الخطاب السّردي دراسة، ص17.

[2]-المرجع نفسه، ص13.

الفصل الثاني

دال ومدلول الشّخصية وأنواعها

إنّ للشّخصيّة دورا فعّالا في بناء مبنى الرّواية، خاصة أنّها « تتحقّق كوحدة دلاليّة من مجموع المحمولات السّرديّة المسايرة للمسار القصصي»[1] وذلك كما وصفها هامون (Hamon)على أنّها تشكّل حيّزا فارغا دلاليّا.

وهذا المورفيم (الحيّز) لا يتحقّق وجوده إلاّ في السّياق الذي يمنحه معنى، لم يمتلكه مسبّقا وهو ما يوضّحه هامون(Hamon) في قوله « استنادا إلى مفهوم العلامة اللّسانيّة يمكن تحديد الشّخصيّة بأنّها [مورفيم] فارغ، أي بياض دلالي لا تحيل إلاّ على نفسها، إنّها ليست معطى قبليّا وكليّا، فهي تحتاج إلى بناء، بناء تقوم بإنجازه الذّات المستهلكة للنّص زمن القراءة، ويظهر هذا المورفيم الفارغ من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل، فكما أنّ المعنى ليس معطى لا في بداية النّص ولا في نهايته، وإنّما يتمّ الإمساك به من خلال النّص كلّه ».[2]

معنى ذلك أنّ الشّخصيّة هي تجميع لمختلف المحمولات السّرديّة التي تتخلّل حركيّة وصيرورة الحدث، الذي يقوم ببنائه القارئ ساعة حصول فعل القراءة ويختلف من قارئ لآخر، يعطيها دلالة ومدلولا غير منتهي القطيع أي غير ثابت فهذا «الطّابع العلاماتي للشّخصيّة L'aspect sémiotique du pérsonnage يجعل نموّها الشّكلي قرين ثرائها الدّلالي...فهي (الشّخصيّة) تركيب لعالم وصورة لمكوّنات ذلك التّركيب»[3] تعطي مدلولا نستدلّ عليه من خلال ما يمنحه لها السّياق من دلالات مفتوحة أمام القارئ.

تأسيسا على ذلك تكون الشّخصيّة عبارة عن عنصر روائي يبقى رهن المعاني والوحدات الدّلاليّة الصّغرى المولّدة لجملة من العلاقات الدّاخلية والمتمظهرة في قالب تمثيلي، التي تبدأ ببداية

---

[1]– بونشادة نبيلة، الشّخصيّة من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرّد في رواية" غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدّوقة، مجلة المخبر العدد السّابع 2011م، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري جامعة محمد خيضر– بسكرة– الجزائر ص111.

[2]– هامون فيليب، سميولوجيّة الشّخصيّات الرّوائيّة، تر: سعيد بنكراد، تحقيق عبد الفتاح كيليطو، دار كرم اللّه للنّشر والتّوزيع د.ط، د.ت ص8.

[3]– محمد سالم محمد الأمين الطّلبة، مستويات اللّغة في السّرد العربي المعاصر (دراسة نظريّة تطبيقيّة في سيمانطيقا السّرد)، مؤسّسة الانتشار العربي، ط1 2008م ص 124.

الحكاية، وتنتهي بنهايتها فقد قال محمد عزّام في هذا أنّ «صورتها لا تكتمل إلاّ عندما يكون النّص الحكائي قد بلغ نهايته ولم يعدّ هناك شيء يقال»[1] فهي إذن لا تتميّز بديمومة المدلول، وأيضا عدم ثباتها طول المتن، لما يطرأ عليها من تغيّرات تكسبها معاني جديدة.

وهناك من الشّخصيّات الرّوائيّة خاصة تلك المشكلة علامة «محكومة بالسّياق النّصي العام الذي يتمظهر عبر مستوى قرائي منتج وهو يتباين والسّيّاق المسبق المحدّد سلفا، إذا تعلّق الأمر بعلامة الشّخصيّات المرجعيّة (التّاريخيّة / الأسطوريّة)»[2] التي تكتسب معنى بعيدا عن صنع النّص يتعرّف عليها القارئ بسهولة لأنّها تنتمي إلى عرفه الاجتماعي أو تاريخه («وفاة الزّعيم "مسطاش"»[3] الذي يقصد به "هواري بومدين" ونذكر كذلك «كان مولعا بتقليد الفنّان بلاّوي هواري»[4] فكلتا الشّخصيّتين تحمل مدلولا مسبّقا، هواري بومدين الزّعيم السّياسي وبلاوي هواري المغنّي الشّعبي الوهراني.

تعدّ الشّخصية عنصرا فنّيا مهما في كلّ عمل أدبي إبداعي سواء كانت قصة أو مسرحية أو رواية فمثلا نجد هامون(Hamon) أعطى لها صفة العلامة اللّسانية رغم اختلافهما «فالشّخصية الحكاية بمثابة دليل signe له وجهان أحدهما دال signifiant والآخر مدلول signifié، دال من حيث أنّها تتخذ عدّة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أمّا الشّخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرّقة في النّص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها.»[5]

---

[1]- عزّام محمد، شعريّة الخطاب السّردي دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005، ص 11/ 12.

[2]- بونشادة نبيلة، الشّخصيّة من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرّد في رواية "غدا يوم جديد" لعبد االحميد بن هدوقة، ص111.

[3]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، دار الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص40.

[4]- المرجع نفسه، ص12.

[5]- جلاوجي عزّ الدّين، سلطان النّص – دراسات في روايات- دار المعرفة، الجزائر، 2008م ص173.

أي أنّ الشّخصية هي دال بما يقدمه لها الرّاوي من معطيات لا نجدها عند غيرها ومدلول من خلال ما تحاول هي أن تظهره لنا عبر الوظيفة المنوطة لها في الرّواية الواحدة، رغم أنّ مدلولها متغيّر ليس ثابتا عند كل المتلقّين، فكلّ قارئ يبني صورة لتلك الشّخصية تختلف أو تماثل الصّورة التي بناها غيره.

معنى ذلك أنّ الشّخصية علامة، فهي إذن ذات وجهين: دال من خلال كنيتها أي ما تنعت به ومدلول من خلال الصّفات التي تنسب إليها عبر ما يقال عنها عبر الملفوظ السّردي أو خارجه (المتلقي)، وعبر ما تظهره من سلوكات.

1- دال الشخصية:

لقد تعاملت البنيوية السّردية الحديثة مع الشّخصية على أنّها علامة، حيث نزعت عنها عنصر الهيمنة وجعلتها في نفس المرتبة مع باقي عناصر الرّواية كاللّغة مثلا، فهي حسب رولان بارت «كائنات من ورق»[1] وهذه الورقية هي التي جعلتها مفهوما لايتم إلاّ أثناء عملية التّلقي، فهي إذن عبارة عن علامة لها وجهان دال ومدلول، **فمتى تكون هذه الشّخصية دالا؟**.

تظهر الشّخصيّة داخل النّص السّردي من خلال «دال يمثّلها ويعينها على امتداد النّص، دال متقطع عبارة عن مجموعة مبعثرة من السّمات يمكن أن نطلق عليها اسم البطاقة، تحدّد المميّزات العامة لهذه البطاقة الاختيارات الجمالية للكاتب»[2] وتظهر هذه الاختيّارات على المستوى السّطحي في بناء تمثيلي مجسّد من خلال ذوات وأفعال.

لذلك نجد الكاتب يختار تقنيات عديدة تكون خاضعة لمبدأ السّببية والمنطق، فيتّخذ لهذه الشّخصية دالا خاصّا يعبّر من خلال مدلوله عن رسالته وعن القيم التي يسعى إلى بثّها في بنائه

[1]- بارت رولان، النّقد البنيوي للحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات بيروت، ط1 1988م، ص131.

[2]- ابن مالك رشيد، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيات للنّصوص، دار الحكمة 2000، ص133.

للرّواية(موضوع القيمة)، فهو أثناء بناء الوضعية الابتدائية للرّواية يضع خطاطة مناسبة يحكمها المنطق في سير الأحداث وترابطها.

ومن بين ما يقدّمه هو من دوال بشرط أن تكون مختارة بدقّة مناسبة، وهذه الدّوال يمكن أن تكون عبارة عن أسماء علم أو إشارات(صاحب القبعة السّوداء) فالشّخصيات حسب تعبير حميد لحمداني «تكون بمثابة دال من حيث أنّها تتّخذ أسماء أو صفات تلخّص هويتها»[1]، أو تتّخذ كنيات كأبي فراس أو نعوت خاصة كالجلاّد وغيرها من الدّوال.

ينفتح نص الرّواية على تنوّع في المادة الصّوتيّة المشكّلة لشخصيّات الرّواية، والتي تخضع للسّمات الدّلاليّة والجماليّة التي يختارها الكاتب، وهذه المادة الصّوتيّة تتخذ لنفسها دلالة من خلال ما يهبه لها السّياق، وبما أنّ «العلامة معدّة لتخلق في ذهن المتلقي علامة أخرى معادلة للموضوع أو أكثر اتّساعا أو ضيقا منه»[2] فإنّ الأسماء في رواية "سفر السّالكين" وردت في جلّها علامات تعكس الجانب الاجتماعي والنّفسي والوظيفي للشّخصيّة داخل المتن الحكائي، كما جاءت أغلبها ثنائيّة (رابح اللّمة، هواري البني، بصافي المايدي...).

إنّ هذا التّركيب الثّنائي، يشير في حدّ ذاته إلى «إثراء وتنويع دلالة التّسميّة والتّعيين ضمن المسار السّردي»[3] ووردت بعض الأسماء النّسائيّة بصفة الإفراد والتّثنيّة، دون مغالاة في وجودها لقلة تواترها في الرّواية مثل جوهر، نورة، فلّة الخمريّة، سارة البدينة، وريحانة الرّشيقة وغيرها من الأسماء(...).

[1]- لحميداني حميد، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الحديث، ص51.

3- ابراهيم عبد اللّه، السّرديّة العربيّة الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النّشأة،المركز الثّقافي العربي ط1 2003، ص59.

[3]- بونشادة نبيلة، الشّخصيّة من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرّد في رواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة ص114.

أ- الاسم ودلالته على الشّخصيّة:

توظّف الشّخصيّة في الرّواية على أنها علامات لسانيّة على حد قول تدوروف، تحمل دالا وتحيل على مدلول بصفة اعتباطيّة، تكون دالا من الأسماء الّتي تطلق عليها، الذي يشكل أحد «المحولات الأساسيّة التي تنقل الشّخصيّة عبر حركيّة القص من مستوى البياض الدّلالي، إلى مستوى التّعيين والتّمييز عن باقي الشّخصيّات الأخرى»[1] وهذه الأسماء هي عبارة عن مادّة صوتيّة (مورفيمات) يمنحها الكاتب للمثلين قصد إعطائهم بعدا محسوسا، لكن هذا ليس نابع من الهباء وإنّما قصد خص هذه الشّخصيّات بوحدة دلالية(علامة) منتقاة غير معطاة مسبّقا يستدل عليها القارئ.

ذلك أنّ «تقديم الشّخصيّة حسب هامون(Hamon) على خشبة النّص يستوجب وضع دالا منفصلا الذي يعرّفه بأنّه عبارة عن مجموعة متناثرة من الإشارات التي يمكن تسميتها سمته، بشرط أن تكون الخصائص العامّة لهذه السّمة تتحدّد في جزء هام منها»[2] إذن إنّ انتقاء الكاتب لهذا الدّال يجب أن يكون بشكل دقيق مناسبا للرّسالة التي هو بصدد عرضها، « فهو الذي يحدّد الشّخصيّة ويجعلها معروفة ويختزل صفاتها»[3]ومنسجما بحيث يسهم في تحقيق مقروئيّة النّص.

كأنه عقد يتم إبرامه بين النّص والقارئ «لأنّ ديمومة هذا الدّال وتواليه على مستوى الخطاب هو شرط أساسي ومهم لضمان انسجام النّص ومقروئيّته»[4]هذا ما يدفع غالبا الكاتب إلى التّنويع في اختيار أسماء الشّخصيّات، لأنّها بمثابة الهوية التي يعطيها لعمله السّردي.

---

[1] -بونشادة نبيلة، الشّخصيّة من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرّد في رواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة ، ص 112.

[2]- هامون فيليب، سيميولوجيّة الشّخصيات الرّوائيّة، ص71.

[3]- عزّام محمد، شعرية الخطاب السّردي دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005، ص18.

[4]- هامون فيليب ، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائيّة ص71.

مع شرط أن تكون لها علاقة بالمرجعية الدّاخليّة، ذلك أنّ هذا المظهر الصّوتي المميّز والمتميّز (الدّال) الذي يبدو لنا شيئا هيّنا يساهم بشكل كبير في تحديد السّمة الدّلاليّة للشّخصيّة.[1] وبما أنّ هذه الأسماء تحمل دلالة يمنحها لها النّص، فإنّنا ارتأينا أن نستدلّ على بعض الأسماء الأكثر فعاليّة وحضورا في الرّواية منها مايلي:

1- شخصيّة الهاشمي المشلح:

شيخ بسيط قضى كلّ حياته بين مسؤوليّة العمل وتلبيّة متطلّبات العائلة حيث يترجم بقوله معترك الحياة «كنت أحمل القفة المملوءة وكأنّني أنجز مهمّة بطوليّة في ساحة معارك هذه الحياة المتعبة المقرفة».[2] نعت الحياة بالمقرفة لكثرة شقائه النّفسي أكثر منه المادي الذي رافقه منذ طفولته، بداية من حرمانه من الأب التي غرست في ذاكرته شقاء أمّه، ولهثها وراء تربيّته وتلبيّة حاجاته.

يحمل اسما مركبا (ثنائي)، أراد الكاتب من وراء هذا التّركيب إظهار تراكيب حياة هذا الرّجل الذي لم يثبت على حال، والهاشمي اسم مشتّق من أكرم وعظّم[3] فهو يحمل قيمة أخلاقيّة ساميّة، ولاسمه علاقة بما ورد عن الهاشمي من دلالة نصيّة، فقد كان كريم المعشر مع أبنائه وزوجته، وقد عمل على تعظيم إيمانه حتّى زهد في الحياة، فكان عظيما وكريما مع اللّه والعائلة والزملاء.

ويقال أيضا الهشم هو الكسر ولعلّ ما كسر الهاشمي هو تخلي والده عنه أوّلا، ثمّ تعرضه لذلك الحادث المؤلم الذي ترك آثارا وخيمة أثّرت على نفسيّته وحياته ككل، وهو كاسر لأنّه كان يسعى إلى كسر كلّ العادات التي كانت تتعبه وشقيه وتضغط على أعصابه.

---

[1]- ينظر: الأحمر فيصل، معجم السّيميائيات الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف ط1 2010 ، ص219.

[2]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص6.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة"هشم"، المجلّد الأوّل الجزء التّاسع ص 4229.

أمّا بالنّسبة للقب المشّلح: فهو في العاميّة يقصد به تشققات تصيب الجلد في البرد القارص، وقد شقّ في حياته طريقا خاصا، طريق التّصوف فانتقل من بقعة إلى أخرى لزيارة الأولياء الصّالحين.

فشخصيّة الهاشمي المشلّح شخصيّة تحمل تناقضات مختلفة، كأنها رمز أراد الكاتب من خلاله الدّخول بالقارئ إلى معالم تاريخيّة تراثيّة محضة (الحضرة الصّوفيّة)، تكاد تندثر في وقتنا الحاضر، وكأنّه يقول من خلال هذه الشّخصيّة أنّ "الرّجوع إلى أصالتنا هو الخلاص من نوبات هذا العصر".

2- شخصيّة بصافي المايدي:

يحمل اسمه(بصافي) دلالة الصّفاء والنّقاء، والعيش بهناء ورضا، أمّا عن "المايدي" فهي كلمة شعبيّة يقصد بها المائدة، وكأنّ الكاتب أراد من وراء هذه الشّخصيّة إبراز مدى محافظة المجتمع على اللّحمة العائليّة واللّقاءات الوديّة والتّجمّعات الشّعبيّة بين الجيران والأحباب حول مائدة واحدة رغم اختلاف الآراء والتّوجّهات، والتي هي عادة من عادات هذا الحي.

بصافي المايدي في الرّواية علامة على وجود الرّوح الشّعبية العريقة من طرب وشعر «أبهرتني معرفته بالشّعر الشّعبي والأغنيّة البدويّة»[1] رغم بهوتها إلاّ أنّه لازال يتمسّك بها ، لكن رغم تعلّقة بالمغنى الشّعبي إلاّ أنّه كان شخصية تعشق التّطور التّكنولوجي ومتابعة كلّ ما هو جديد (رجل يعيش العصر بمستجدّاته شكلا، ويعيش الأصالة روحيّا).

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ص16.

3- شخصيّة عاشور الزكري:

عاشور اسم يدلّ على «اليوم العاشر من شهر محرّم»[1]، أمّا العشير فهو الزّوج والصّديق والمعاشر، وفعلا في الرّواية كانت له صفات الإنسان المعاشر الطّيب الذي يؤمن بعراقة التّاريخ وأهميّته، حيث عمل جاهدا على كتابة تاريخ عائلته إلاّ أنّ الظّروف آلت دون ذلك فاستسلم وحرق محفظته الّتي كانت علامة على ثقل ما بجعبته من آمال وطموحات، أمّا شخصيّة عاشور فهو رمز المثابرة والطّموح، وبما أنّ عاشور له وجود في التّاريخ الإسلامي، فإنّ وظيفة عاشور في الرّواية ارتبطت بمهمة تاريخيّة كان يرغب في تحقيقها رغم أنّه استسلم وفشل في ذلك.

4- شخصيّة هواري البني:

رجل مازال يؤمن بعودة تيّار كان يؤمن به، وهو علامة على تفكك المجتمع من جرّاء ما دخلت عليه من ثقافات غربيّة شتت أفكاره وعاداته «أفسدتك الفتاوى المستوردة»[2] فهو بناء على ذلك دلالة على أفكار دخيلة على المجتمع تسبب الانحلال، هذا ما نلمحه في شخصيّة هواري الذي لم يستطع تكوين عائلة بسب أفكاره وسلوكه وإدمانه على الكحول، وابتعاده عن عادات بلاده(لا يزور المقابر ولا يتبع الجنائز)، وكأنّ وظيفته في الرّواية هي التّمرّد على كلّ ما هو تقليدي شعبي.

[1]- حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربيّة والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2003، ص51.
[2]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص41.

5- شخصيّة الشّيخ العربي الشّيلي:

هو اسم مركّب ثلاثي، الشّيخ يحمل دلالة الوقار والاحترام وتطلق عادة على العلم الكبير، أمّا العربي «نسبة إلى العرب»[1] وهو الانتساب إلى أمّة ساميّة، رمز يدلّ على العروبة والأصالة، وهذا الانتساب إذا دلّ فهو يدلّ على انتسابه إلى الحضرة الصّوفيّة الخضرويّة، أمّا العرب فقد عرفوا بالتّرحال والتّجوّل بحثا عن متطلّباتهم نفس ما تعكسه شخصيّته المحبّة للتّجوّل من حضرة إلى أخرى بحثا عن متعة جسديّة روحانيّة.

وهو بهدوئه في الرّواية وانتمائه إلى المتصوفة يعكس السّعادة والطّمأنينة الموجودة في القرب من الخالق، وقد كانت علاقته بالهاشمي كالنّور الذي أخرجه من متاهة الظّلم والتّعاسة إلى الرّضا والطّمأنينة.

6- شخصيّة رابح اللّمة:

هو شيخ هادئ محب للحياة، اسمه ثنائي مركب من رابح الذي هو اسم فاعل مشتق من ربح بمعنى ظفر ونقول أيضا «رابح: كاسب»[2] أمّا اللّمة فالمقصود بها الجمعة أو القعدة، فتميّز في جلساته باصطحابه لمقعده الخشبي الصّغير الذي يدلّ على ضعفه أمام الأمر الذي كان يشغله (زواجه من المطلّقة).

7- شخصيّة تهامي الفارس:

اسم منسوب إلى تهامة وهي مكّة[3]، فارس مغوار كان يعتني بالخيول ويهوى امتطائها والمشاركة في الاحتفالات الشّعبيّة، لكن سقوطه من على الحصان غيّر حياته وحرمه من لذّة اللّعب في الميدان، وما هذه الشّخصيّة إلاّ رمزا على الحنين إلاّ الفروسيّة والاستمتاع بالفلكلور الشّعبيأمّا

[1]- حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربيّة والمعربة وتفسير معانيها ص51.

[2]- المرجع نفسه ص46.

[3]- ينظر الموقع: www.almaany.com/ar/dict/ar/ar تاريخ الاطلاع: 2016/05/10

عن علاقة دلالة الاسم فإنّ شخصية تهامي تمثّل وظيفة ركوب الخيل التي هي من شيم العرب التيّ أوصانا بها الرّسول صلى اللّه عليه وسلم (علّموا أبناءكم ركوب الخيل).

شخصيّة جعفر النّوري:

اسم مركب يحمل دلالة مكثّفة تحيل على شخصيّة النّوري، أمّا عن معنى جعفر فهو يعني نهر أو ناقة غزيرة اللّبن، أمّا فهي مشتقة من النّور الذي ضياء،[1] وإذا ما أمعنا النّظر في هذه المعاني وجدناها تتناقض مع ما تحمله شخصيّة النّوري من دلالات، ذلك أنّ شخصيّة النّوري لم تكن تدخل الفرح على قلوب النّاس، وإنّما كانت شخصيّة مظلمة مثقلة بمشاعر الكره والحسد يظهر ذلك من خلال كلامه «سيأتي يومك يا رجل»[2] التي كان يكنها لمن لا يوافق الرّأي، أو يفوقه علما ومالا.

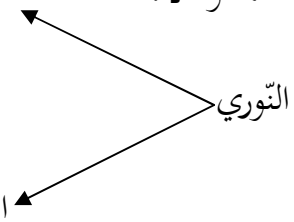

تشترك دلالة جعفر والنّوري في الانتشار واللّون الأبيض، مما يعكس نقاء وصفاء حياته التي رغم كابده من معاناة منذ سن مبكرة، إلاّ أنّه تكن من تجازها والصّمود، دون أن يدخل نفسه في المشبوهات.

[1]- ينظر: الحتي حنا نصر ، قاموس الأسماء العربيّة والمعربة وتفسير معانيها، 2003،

[2]- محمد مفلاح، رواية همس الرّمادي، دار الكتب، الجزائر، 2013م، ص15.

شخصيّة معمر الجبلي:

لشخصيّة معمر علاقة بدلالة، اسم معمر التي نقف لها على معنيين:

«مَعْمَر: منزل أهل وكثير الماء والعشب، ومُعَمَرْ: من عاش طويلا.»[1] لقد كانت وظيفته في الرواية نقل الغذاء للعمال، وبما معمر لها علاقة بالماوالعشب فالمدلول هنا متقاطع بين الاسم والمضمون، أمّا لفظة الجبلي التي تعني الجبل، وقد لقب بهذه اللّفظة لطبيعته الخشنة الصّامدة التي تميّز بها، إضافة أنّ هذه اللّفظة أطلقت عليه عندما التحق الجبل الأخضر حيث قال: «تركني ضحية لليتم والجوع والإهانة ولكنني تمردت والتحقت بالجبل وهناك عرفت بالجبلي»[2] وقد أخذ بعض الطّباع منه كالهدوء ، والشّجاعة.

وبما أنّ «النّموذج البشري هو العنصر الأهم في الإبداع القصصي»[3] فإنّ ما نلحظه على أسماء شخصيّات هذه الرّواية هو اشتراكها في دلالة واحدة هي الإسلام، العروبة والتّراث الشّعبي يمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التّالي:

الاسم	المعنى	الدّلالة
الهاشمي	نسبة إلى بني هاشم	الإسلام
بصافي	الصّفاء والنّقاء	الإسلام والعروبة
رابح	الرّبح الظّفر النّجاح	الظّفر برضا اللّه سبحانه وتعالى
هواري	نسبة إلى قبيلة هوارة البربريّة "اسم عربي"	الأصول العربيّة
تهامي	نسبة إلى تهامة "مكة"	الإسلام والعروبة

[1]- حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربيّة والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2003، ص62.

[2]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، دار الكتب، الجزائر، 2012م، ص18.

[3]- طالب أحمد، المنهج السّيميائي"من النّظريّة إلى التّطبيق" دار العرب للنّشر والتّوزيع د.ط، د.ت ص31.

العربي	نسبة إلى العربيّة	العروبة
عاشور	من عاشوراء	الإسلام

أمّا عن دلالة عدد الشّخصيات في هذه الرّواية(سبع شخصيّات)، فإنّ لهذا الرّقم له خصوصيّة في الشّريعة الإسلاميّة والتّراث الشّعبي، وهو ما يتناسب مع مضمون الرّواية، فالكاتب تعمّد اختيار هذا الرّقم لما له من دلالات ترتبط بالدّين والتّصوّف، فقد خلق اللّه سبع سموات طباقا، وكذالك الطّواف سبعة، ورمي الحجرات سبعة، وكأنّ الكاتب أراد من خلال اختيّاره لهذا الرّقم هو جعل السّالكين السّبعة وطوافهم حول أمور تشغلهم في الدّنيا لن يجدوها إلاّ في تحليقهم بعيدا عنها تحليق الطّائر في السّماء، فيتحرّرون من أهوائم ومحمولاتهم.

مفاد ذلك كلّه أنّ مفهوم دال الشّخصيّة ليس منقطعا عن المنجز اللّساني، رغم أنّها لا تخضع لمحدّدات مثل الجملة والكلمة، فالسّمة على مستوى الخطاب، تتحدّد من خلال اسم العلم وعلاماته، فالرّاوي حينا يستعمل اسم العلم كرموز فتكون خارج النّص متناثرة فارغة من المعنى ثابتة ولكن بمجرّد دخولها في الخطاب تتكون من العناصر المميّزة للشّخصيات، سواء تمثلت في صورة فرد أو شيء كاسم مدينة أو مكان ما(القرانيط).

وممّا يجب توفره أيضا في بناء دال شخصية متكاملة الملامح في المرحلة النّهائية للرواية هو الانسجام بين المراحل المكوّنة للمتن، حتّى يكون من السّهل التّعرّف على مدلولها وإن تنوّعت القراءات، فإذا تغيّرت هذه الإشارات داخل النّص السّردي الواحد، فسوف يحصل نوعا من الانفصام الذي يتسبّب في تشتت معنى ومفهوم الشّخصية وعدم استساغته للقراءة، فيكون بمثابة العلامات المتناثرة المشتّتة.

لذلك يمكن أن نتوقع من أي روائي واقعي(مقروء) القيام بمجهود كبير من أجل تخصيص وتنويع السّمات الدّالة لشخصياته المختلفة متحاشيا مثلا أسماء العلم التي تتشابه من النّاحية

الصّوتية[1] أي أنّ الكاتب عند اختياره السّمة يجب أن يجعل داخل الخطاب مرجعية وهذه المرجعية تكون داخلية خاصة بالنّص.

أمّا فيما يخصّ التّفرّع العائلي، يكون في هذه الحالة اللّقب هو الجامع لمجموعة من الشّخصيات تحمل أسماء مختلفة، وفي رواية "سفر السّالكين" غابة هذه الحالة لأنّ مضمون الرواية لا يستدعي توظيف التّفرّع العائلي بل بعض الإشارات إلى العائليّة التي في بناء فكرة خلفيّة عن الشّخصيّة دون تخصيص وتفصيل، لكن لابدّ للشّخصية أن تحمل اسما يميزها ويعيّن هويتها ويكون بمثابة عنوانا للشّخصية داخل الرّواية.

ب- أبعاد الشّخصية في الرّواية:

تعتبر الشّخصية عنصرا فعّالا في الرّواية من خلال تفاعلها مع بقية العناصر الأخرى كالزّمن والمكان، وبما أنّ الشّخصية في العمل الفني يمكن لها أن تكون تمثيلا للكائن الحي فلابدّ أن يكون لهذا الكائن جوانب وأعماق وأبعاد التي نتعرّف عليها من خلال ما توفره المسارات السّرديّة من صفات (مظهرها الجسدي وذهنيتها) وأفعال و مفاعلات الشّخصيّة التي تعكس مستوياتها الأخلاقية ضمن النّص الرّوائي.

حيث يحتوي النّص في حواراته وبين طيّات لغته ما يصف الشّخصية من نواحي أو أبعاد مختلفة نحدّد على أساسها بعد الشّخصيّة من النّاحيّة الفيزيولوجيّة و الاجتماعيّة والنّفسيّة وكذا الفكرية.

[1]- ينظر: هامون فيليب، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائيّة ص74.

1- البعد المورفولوجي (الجسمي):

بما أنّ الشّخصية في الرّواية لها وجودها سواء كانت مشخّصة في صورة الفرد أو عبارة عن علامة، يستدلّ عليها من خلال وجهان هما الدّال والمدلول.

من خلال تتبّع المسارات السّردية عبر الرّواية الواحدة يمكن تحديد البعد المادي للشّخصية(الشّكل)، الذي (يتمثل في الجنس(ذكر أو أنثى)، وفي صفات الجسم المختلفة من طول وقصر ونحافة وعيوب الشّذوذ وقد ترجع إلى وراثة أو إلى أحداث)[1] ،أي أنّ الشّخصية في الرّواية تمتلك بعدا جسميا يميّزها، يظهر في مواصفات جسمية مختلفة كالطّول والقامة ولون العينين والشعر وغيرها من الصفات المميّزة، التي يمكن تحديدها عبر كلّ ما هو مادي، ويمكن رؤيته ووصفه كنوع الجنس إضافة إلى السّن.

2- البعد الاجتماعي:

يتمثّل في الانتماء الطّبقي للشّخصية ووظيفتها إضافة إلى مستواها الثّقافي والتّعليمي، وهذا البعد يحدّد انطلاقا من الشخصيّة ذاتها حيث يتم تحديد انتمائها الاجتماعي من خلال صفاتها وعلاماتها كملابسها ووظيفتها وطبقتها ومستواها العلمي والثّقافي.

فالشّخصية وإن وجدت في الإطار السّردي ككائن ورقي حسب قول "بارت"

فإنّها تملك مرجعيّة تجعلها تمدّ بصلة للواقع التي يمنحه لها الرّاوي، ذلك أنّ الشخصيّة يكون وجودها في النّص مشابها للوجود الإنساني الحقيقي يظهر لنا من خلال الشّخصيّة المتفاعلة مع مناخها الاجتماعي عبر فعلها فيه وانفعالها به،[2]على أنّ القوتين الدّاخلية (الذّاتية) والخارجيّة

[1]- هلال محمد غنيمي، النّقد الأدبي، دار النّهضة، مصر- ط7- 2007م ص573.

[2]- بويجرة بشير محمد، بنية الزّمن ج2 منشورات دار الأديب ط1 2008 ص189.

(الاجتماعيّة) يتمّ تقديمها من خلال وقائع تتداخل في عرضها أنماط خطابيّة مختلفة تساعد على اقتراب صورتها من الواقع الاجتماعي وروابطه الإنسانية.[1]

فالشّخصية بهذا المعنى هي أداة في يد الكاتب يستعملها كنافذة يعكس من خلالها حقيقة تمثل صلب العالم الواقعي بشكل فنّي مختلف عمّا هي عليه في الواقع وأسلوب غير مباشر يستدعي نوعا من التّمعن لاكتشاف المعنى الكامن وراء الأنساق اللّغويّة.

يظهر العالم الاجتماعي في الأعمال الفنيّة السّردية طبقات فهناك الطّبقة السّياسية والطّبقة البرجوازية والمثقفة والطّبقة الشّعبية وغيرها حسب ما توفّر عليه النّص السّردي، فالرّواية بما تحتويه من شخصيات تتوافق مختلف جوانبها مع الطّبقات الاجتماعية التي تنتمي إليها، والتي تحيل إلى الواقع بشكل مباشر في معظم الأحيان، على الرّغم من اتّصافها بالبعد التّخييلي في أحيان أخرى.[2] إذن للشّخصية مرجعها المستمد من الثّقافة والعرف الاجتماعي.

3- البعد النّفسي:

ينعكس البعدان الأوليان على البعد النّفسي للشّخصية ويحدّدانه " فالبعد النّفسي ثمرة للبعدين السّابقين في الاستعداد والسّلوك والرّغبات والآمال والعزيمة والفكر وكفاية الشّخصية، بالنّسبة لهدفها ويتبع ذلك المزاج من انفعال وهدوء، ومن انطواء وانبساط وما وراءهما من عقد نفسية"[3] وهو بعد داخلي غير مرئي، وهو مجموعة من الصّفات يعمد الرّاوي إلى تبيانه بطريقة غير مباشرة في غالب الأحيان ممّا يزيد من عنصر التّشويق لدى القارئ فمثلا لمعرفة مرتكب الجريمة يتتبّع القارق الحلة النّفسية للشّخصيات فيخرج باحتمالات يمكن أن تكون صحيحة.

---

[1]- نفلة حسن أحمد، التّحليل السيميائي للفن الرّوائي دراسة تطبيقيّة لرواية الزّيني بركات كلية التّربية جامعة كركور دار الكتب والوثائق القوميّة 2012 ص39.

[2]- المرجع نفسه، ص45.

[3]- محمد غنيمي هلال، النّقد الأدبي، دار النّهضة، مصر- ط7- 2007م ص573.

لكن هذا البعد يمكن الوقوف عليه من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة تكون قصد تحديد وتصنيف هذه الشّخصية من النّاحية النّفسية، أي ما يسمى باختبارات الشّخصية.

هل الشّخصية متوازنة أم مختلّة نسبيا؟

هل هي ذكية أم ساذجة التّفكير؟

4- البعد الفكري:

يقصد بالبعد الفكري للشّخصيّة انتماؤها الفكري وعقيدتها الدّينية وهويتها وتكوينها الثّقافي، وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها وتحديد مواقفها ووعيها من القضايا العديدة، كلّ هذا يمنحه لها الكاتب.

وهو يؤكد الالتحام الذي تعيشه الشّخصية بين ما تؤمن به، أو ما تقوله من أفكار وبين ممارساتها.

وهو غاية في الأهميّة نظرا للدّور الذي يلعبه في تمكين القارئ من الوقوف على الرّسالة المضمونيّة.

أبعاد الشّخصيّات في روايات محمد مفلاح:

- شخصيّة الهاشمي المشلّح:

البعد الجسمي:

الهاشمي رجل ذو قامة عاديّة، يناهز السّبعة والثّلاثين من عمره، له عينين بنيّتين، خدّه مشوه وجزء من أذنه اليسرى مبتور بسبب حادث تعرّض له، غيّر له حياته وأثّر على نفسيته.

البعد الاجتماعي:

الهاشمي رجل متزوّج، له ثلاث بنات، الكبرى مقبلة على الزّواج والوسطى تجتاز امتحان البكالوريا، أمّا الصغرى فتدرس في الابتدائي، كان يشتغل في مصلحة الشّؤون الاجتماعيّة، ليس اجتماعي لأنّه كان ينفر كثيرا من مخالطة النّاس بسبب خدّه المشوه وأذنه المبتورة «ينفر من مخالطة رواد المقهى»[1].

كان رجلا أنيقا عصري، لكن «بمرور الوقت تخلّى عن ملابسه العصريّة، وأصبح يرتدي عباءة فوقيّة ناصعة البياض ويعتمر قبّعة لا تفارق رأسه الصّغير»[2] وذلك بعد انتمائه إلى المتصوفة حيث أصبح زاهدا في الدّنيا.

البعد النّفسي:

بما أنّ الجانب الجسمي والاجتماعي لهما دور في التّكوين النّفسي، فإنّ الحادث الذي تعرّض له الهاشمي المشلّح كان له بالغ الأثر على حالته النّفسيّة خصوصا أنّه تسبّب في تشويه خدّه، فأصبح يتضايق من نظرات الآخرين ممّا زاده تقوقعا على نفسه وانطوائه والشّعور بالنّقص، نقف على ذلك من خلال قوله: « عزلة غريبة تقتات من صبري وتدفعني للتّفكير في أمور غريبة خشيت أن أقترفها في وضح النّهار وأمام!»[3]

هذه العزلة التي تسببت له في اضطراب نفسي أدى به إلى القيّام ببعض السّلوكات الغريبة التي تظهر من خلال قوله:« كنت في أغلب الأحيان أضع الهاتف المحمول على أذني اليّمنى، متظاهرا بمواصلة مكالمة هاتفية»[4] تظاهره هذا يعكس ضعف شخصيّته وعدم الثّقة بنفسه مما دفعه إلى

---

[1]-محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص35.

[2]- المصدر نفسه، ص37.

[3]- المصدر نفسه، ص8.

[4]- المصدر نفسه، ص8.

الابتعاد عن النّاس والتّفرّد بنفسه، ولعلّ ما يعانيه تسبّب فيه بعض زملائه حيث قال: «كنت أزداد غمّا كلّما تذكرت عبد الحليم الرّغبي وغيره من الأصدقاء الذين ناصبوني العداء بعدما حملوني مسؤولية بطالة أولادهم»[1] نتيجة ذلك فقد الثّقة في النّاس.

وكذالك ساهمت مطالب العائلة وضغط المسؤولية في تدني حالته النّفسيّة ورغبته في التّمرّد على ما هو فيه، من اضطرابات نفسيّة، لكنه استطاع التّغلب على نفسه الضّعيفة المضطربة فيما بعد منذ لقائه بالحاج العربي الشّيلي، الذي ساعده على الانضمام إلى المتصوّفة، حيث أصبح من السّالكين فيها زاهدا عن الأمور الدّنياويّة، انعكس ذلك على نفسيّته التي أحست بالهدوء والطّمأنينة وعلى زوجته التي لم تمانع على انضمامه إلى المتصوّفة.

البعد الفكري:

الذي يعدّ أهم الأبعاد حضورا في الرّواية خاصة أنّ الكاتب يمرّر لنا من خلاله الرسّالة التي أراد بثها، والهاشمي المشلّح رجل مثقف يحبّ قراءة الجرائد «وأنا أطالع الجريدة التي تخصّص جزءا كبير من صفحاتها لإعلانات الإشهار...»[2] كان يجد متنفسا لحياته المضطربة عبر اطّلاعه على مشاكل الآخرين.

لقد انتهت أهميّته بمجرّد إحالة نفسه على التّقاعد، لأنه أصبح لا يستطيع قضاء حوائجهم، كان متمرّدا على الواقع لا يهتم بآراء الآخرين، رغم أنّ والده كان فنّانا إلاّ أنّه لم يكن يستمع إلى الموسيقى، لكن بعد لقائه ببصافي المايدي اهتم بذلك حيث بدأ يستمع إلى الأغاني الشّعبيّة أمثال بلاوي الهواري والشّيخ عبد القادر بوراس فتزوّد ببعض المعلومات عن الغناء الشّعبي التّراثي.

رغم هذا التّغيير الطّفيف في حياته إلاّ أنّه لم يجد راحة البال التي كان في طريق البحث عنها، إلاّ بلقائه بالحاج العربي الشّيلي الذي رافقه ذات مرّة إلى الحضرة الصّوفيّة، منذ تلك اللّحظة تغيّرت

[1] – محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص9.

[2] – المصدر نفسه، ص6.

حياته وأصبح يهوى السّفر والانتقال من ضريح إلى آخر، كان يحس بالطّمأنينة والهدوء كلما زار زاوية ما، كما انكب على قراءة ومطالعة الكتب التي لها علاقة بالمتصّوفة والأضرحة.

– شخصيّة بصافي المايدي:

البعد الجسمي:

كان بصافي رجل طيب القلب، مديد القامة ضعيف البنية، وجهه مثلث نحيف، يحبّ ارتداء الملابس الأنيقة، يتكلّم بهدوء عجيب والابتسامة العريضة لا تفارقه.

فقد قال في وصفه الهاشمي: «كان مديد القامة ضعيف البنية يحب ارتداء الملابس، إذ كان يشتري بدلاته وقمصانه وأربطة العنق الملونة من وهران، وكانت طريقة حديثه جميلة فهو يتكلّم بهدوء عجيب والابتسامة لا تفارق شفتيه المنتفختين قليلا، في عينيه الصّغيرتين السّوداويين سحر أخاذ، أحببته منذ اللّحظة التي تعرّفت فيها إليه»[1] فقد خصّه الكاتب بهذه الصّفات لأنّه كان علامة على الرّجل الهادئ الذي يطمح إلى التّجدد، المحب للحياة والمتابع للتّطورات التّكنولوجيّة.

البعد الاجتماعي:

كان بصافي يشتغل معلما في مدرسة المسجد العتيق، قبل إحالته على التّقاعد ولا زال يتذّكر تلك الأيّام ويحكي عنها لزملائه، يحب الاستماع إلى الموسيقى ومتابعة تطوّر التّكنولوجيا، كان يحب أنّ يعيش العصر، فكان يهتم بمظهره وأناقته، ويحافظ دائما على روحه المرحة وبشاشته، أحبّ فتاة عصريّة كانت ترتدي سروال الجينز، كان مهووسا بها، لكن هذه الفتاة وجدت فيالرّواية كعلامة على الثّقافات الغربيّة التي أصبحت تسيطر على عقول الشّباب، رغم معرفهم حقّ المعرفة أنّ هذه الثّقافة لا تناسب عقيدتهم.

[1] – محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص13.

بصافي شيخ متشبّث بالثّقافة الشّعبية يحفظ العديد من القصائد والأغاني الشّعبيّة، حيث قال عنه الهاشمي «أبهرتني معرفته بالشّعر الشّعبي والأغنيّة البدويّة»[1].

وهو شخصية تشكل مفارقة لأنّها تهم من جهة بكلّ ما يتعلّق بالتّراث الشّعبي ومن جهة أخرى تهتم بالعصرنة، كان جد متعلّق بالحياة حيث أفصح قائلا: «يا ولد المشلح أشعر بأنني في سن العشرين»[2] مما يعكس رغبته في تجديد حياته والتمتع بها، ويعكس أيضا الرّضا عن نفسه الذي كان يميّزه عن شخصيّة الهاشمي.

البعد النّفسي:

كان بصافي رجل طموح مرح يتميّز بهدوئه، وطيبة قلبه وحبّه الخير لجميع النّاس، كان مهووسا بفتاة أصغر منه سنّا، و يحبّ الاستماع إلى الموسيقى الشّعبيّة، التي كان يجد فيها متعة للرّوح وتفريغا للهموم، ومما يعكس حالته المضطربة هو إدمانه على التّدخين «لن أكف عن التّدخين حتى أزور المقبرة»[3] لأنّه كان ينسيه الهموم، إن صح التّعبير كان مسكّن آلامه.

البعد الفكري:

كان رجلا مثقفا، يتميّز بذاكرته القويّة، يهوى الاستماع إلى الأغاني البدويّة الأصيلة ويحفظها وكأنّه كان يشكّل حلقة وصل بين الحاضر والماضي، كان يتقن فن التّواصل مع الآخرين، مما جعله محبوبا عند الجميع، كان كثير يتردّد على مقهى السّعادة ومقعد القرانيط الذي يمثّل منبر للصّداقة واللّقاء وتبادل الأراء.

أراد الكاتب من وراء هذه الشّخصيّة تبيان نقاء وصفاء تراثنا العريق الذي لابدّ من التّشبّث به.

---

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين،ص 16.

[2]- المصدر نفسه، ص17.

[3]- المصدر نفسه، ص18.

شخصيّة هواري البني:

البعد الجسمي:

هواري البني رجل أصلع ذو عينين جاحظتين خضراوين، قال الهاشمي في وصفه: «كان ربعة القامة قوي البنية، يرتدي حلّة "ابلو مرساي" وصدارا بحريا يعتمر قبعة "بيري" سوداء وينتعل صندالا جلديّا بنّيا، وعند شجرة الفيكوس أخرج سيجارة "أفراز" من جيب سترته أشعلها بهدوء ثمّ ثبّت نظارته الطّبية على عينيه »[1] تدلّ هذه الصّفات على أنّه رجل مشاغب جشع، متمرّد على الحياة يرغب دائما في فرض آرائه.

كما يعكس لباسه تأثره الشّديد بالثّقافات الغربيّة، وهي شخصيّة ترمز إلى الأثر السلبي بثقافات الغير، وما نقف عليه أيضا هو تمرّده على الواقع، إذ يعكس لنا ذلك أفكاره وطريقة كلامه حيث قال عنه الهاشمي: «لم يخف سخطه على العهد الجديد الذي كان يسميه بعهد العولمة المتوحشة»[2] فكان ما ميّزه بين زملائه هو تسلّط لسانه.

البعد الاجتماعي:

لم يكن هواري البني ينعم بحياة هادئة، لأنّه لم يتمكن من بناء عائلة الأمر الذي جعله يعيش ساخطا على الزّمن، حيث تزّوج مرتين الأولى كانت تدعى كوزيت، تشتغل معلّمة بمدرسة المسجد العتيق لكنها هربت منه مع ابنها "أنيس" والثّانيّة هي ممرّضة من ولاية وهران فرّت هي الأخرى مع ابنتها فلم يعرف لهما طريقا، كان يمقت الزّمن ويكره «نزعة الاستهلاك»[3] كان كثير الحديث عن مدينته، معبّرا عن حبّه لها بوصف ملامحها بدقّة.

---

[1] – محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ، ص19.

[2] – المصدر نفسه، ص21.

[3] – المصدر نفسه، ص47.

كان يعشق الاستماع إلى الأغاني حيث قال «أنا الحالم العنيد فلم أتخلّ عن حبي لأغاني الشّيخ إمام، كم تسعدني أشعار محمد فؤاد النّجم!»[1] ويرى المتعة في الحياة هي الحريّة ونسيان الهموم كان يلجأ إلى تناول الكحول حتى ينسى واقعه المر اليائس.

البعد النّفسي:

كان البني يتميّز بجرأته واندفاعه، وكرهه لزيارة المقابر والحديث عن الأموات، ولعلّ سبب ذلك حزنه على والديه اللّذين عاش بعيد عنهما.

كما كان منطويا على نفسه، لا يبوح عن مشاعره بسهولة، يفضّل نسيانها بالسّكر والاستماع إلى الأغاني.

البعد الفكري:

كان رجلا بسيطا في تفكيره يكره جماعة المتصوفة ويرى كلامهم عن الأضرحة هراء لا أساس له من الصّحة، يحبّ الاطلاع على الثّقافات الغربيّة وقراءة الجرائد باللّغة الفرنسيّة، فقد قال عنه الهاشمي: «أخرج من جيب سترته جريدة باللّغة الفرنسيّة»[2] كان شديد التّشبث بأفكاره صحيحة أم خاطئة، كما كان ينظر إلى بحث عاشور أنّه مضيعة للوقت، في رأيه من سيهتم في زمن كهذا بهذه الحكايات العتيقة.

شخصيّة الحاج العربي الشّيلي:

البعد الفيزيولوجي(المادي):

شيخ ذو بشرة سمراء غامقة، يرتدي جلابة ملف خضراء، ويلف رأسه الصّغير بعمامة صفراء توتيّة وينتعل بلغة جلديّة بيضاء.

---

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السالكين، ص49.

[2]- المصدر نفسه ص20.

البعد الاجتماعي:

العربي الشّيلي شيخ متزوّج من امرأة اسمها بدرة، رافقته طوال حياته بمرّها وحلوها، كان كثير التّذمر من الزّواج لأنّه في رأيه يحدّ من حرّيته حيث قال: «آه لو كانت لي القدرة على تغيير حياتي، لاخترت حياة العزوبيّة، العائلة الصّاخبة حولتني إلى سجين، ولو حضرات الزّاويّة الفاتحويّة لمت بسكتة قلبية»[1] يعكس لنا هذا جانبا من شخصيّة العربي الشّيلي متمثل في ثقل كاهله بتحمل المسؤوليّة، خاصة أنّ أولاده لم يساندوه في تحمل مشقة الحياة.

شيخ متديّن محافظ يعيش حياته بعيدا عن مفاتن الدّنيا، زاهد فيها يرغب في رضوان اللّه استطاع أن يتجاوز متاعب الدّنيا، يحب السّفر والتّنقل من مكان إلى آخر.

البعد النّفسي:

تأسيسا على أوصافه الماديّة والاجتماعيّة، يظهر لنا أنّ حالته النّفسيّة مضطربة لما يعيشه من ضغوطات في حياته العائليّة يظهر ذلك من خلال قوله: «إنّني أشعر برغبة في التّحليق بعيدا عن هذا الواقع المر، والذّوبان في عمق الفضاء الفسيح الذي لم يعد يحدّه أي أفق»[2] راض بما قدّره له اللّه، يعيش في طمأنينة وهدوء، ناتج عن إيمانه الكبير.

البعد الفكري:

رجل متديّن يملك ثقافة دينيّة واسعة، يحبّ السّفر وزيارة الزّوايا والأضرحة الدّينيّة، لا يجتمع بزملائه كثيرا، لأنّهم لا يحبّون اهتمامه بزيّارة الأضرحة، ويعتبرونها من المكروهات وهناك من يقول عنها أنّها شرك باللّه.

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ،ص62.

[2]- المصدر نفسه، ص61.

شخصيّة رابح اللّمة:

البعد الفيزيزلوجي (المادي):

الشيخ رابح اللّمة ذو رأس غليظ ولحية كثة بيضاء ويضع نظّارات طبيّة، يرتدي عباءة بيضاء من نوع "الدّفة" السّعوديّة، ويعتمر قبعة بيضاء من صنع صيني،[1] يبدو من هذه الأوصاف أنّه شيخ محافظ، شخصيّته هادئة رغم ما يعانيه من اضطراب في عائلته بسبب رغبته في الزّواج من المطلّقة. ومما ورد أيضا في الرّواية في وصفه ما يلي:

«ظهر شيخ نحيف ذو قامة قصيرة وهو يحمل تحت إبطه اليمنى مقعدا خشبيا صغيرا...

كان الشّيخ القادم بخطى وئيدة، يرتدي عباءة بيضاء من نوع " الدّفة" السّعوديّة، ويعتمر قبعة بيضاء من صنع صيني يغطيها شاش خليجي»[2] تدلّ هذه الأوصاف على أنّه هادئ كثير التّفكير.

البعد الاجتماعي:

متزوّج من امرأة هادئة طيبة أنجب منها أولاد وبنات، رغم أنّه فقد أحد أبنائه الذي قتل في جبال الونشريس، زوجته نوارة مازالت تتألم على فراق ابنها ولم تنسى قصته، هذه الأخيرة التي ثارت عند معرفة أنّ زوجها يخونها مع نبيلة الرّوخة المطلّقة التي تصغره سنّا، غضبا على زوجها الذي لم يبالي بحالة زوجته ومشاعرها، لكن رغم ذلك لم يحقّق مراده.

البعد النّفسي:

يعاني الشّيخ من اضطرابات دفعت به إلى الرّغبة في تجديد حياته مع امرأة أخرى، هذه التي ترمز إلى مفاتن الدّنيا وأهوائها، وما رغبة الشّيخ إلاّ علامة على الخطر الذي يهدّد المجتمع الجزائري ويتربّص عقائده وعاداته.

---

[1] – محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ، ص21.

[2] – المصدر نفسه ص 21.

البعد الفكري:

شيخ مثقف متديّن متمسّك بدينه وأصالته، يحب الاحتكاك بزملائه وأصحابه ويتبادل معهم الأراء حول المستجدّات السّيّاسيّة والأمور الدينية والدّنياويّة.

شخصيّة عاشور الزّكري:

البعد الفيزيولوجي:

رجل مثقّف ينتمي إلى عائلة عريقة، «شيخ بدين يرتدي حلّة رماديّة وقميصا أزرق وربطة عنق حمراء ويعتمر طربوشا وينتعل حذاء أسود»[1]، يبدو من شكله رجلا مرتبا أنيقا عصري.

البعد الاجتماعي:

عاشور رجل عقيم لا ينجب الأولاد تزوّج بغزلان البنت الوحيدة للشّاوش عصمان، امرأة طيّبة صبرت على العيش معه رغم عقمه، فتعلقت بتربيّة القطط والاهتمام بها التي كانت تعوّضها عن إحساسها بالنّقص والوحدة.

البعد النّفسي:

كان عاشور رجلا عقيما لاينجب الأولاد، الأمر الذي أثّر على حياته ودفعه إلى الاهتمام بالبحث عن تاريخ عائلته العريق الضّائع والمتعرّض للنّسيان والاندثار، فكان هذا الأمر يأخذ نصيب الأسد من تفكيره وحياته، وجعله عرضة لسخرية النّاس ممّا حطّم معنويّاته وجعله ييأس ويتخلّى عن هذا الحلم الذي أدخله في عزلة.

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ، ص25.

البعد الفكري:

رجل مثقّف مهووس بالتّاريخ، والبحث عن تاريخ عائلته العريقة وهذا ما نفهمه من قوله: «أنتمي إلى عائلة علميّة عريقة، أسهمت في إثراء تاريخ الجزائر وحضارة الأمّة الإسلاميّة»[1] لكنّه سرعان ما فشل وتراجع عن حلمه الذي أرهقه وجعله سخريّة الآخرين.

شخصية ساجيّة:

البعد الفيزيزلوجي (المادي):

ساجيّة هي فتاة أنيقة، في العشرين من عمرها، تملك جمالا هادئا، عيناها مكحلّتان وواسعتان، شعرها لونه أسود، سمراء، وأسنانها صفراء، كلّها أوصاف ترتبط دلالتها بشخصيتها، إذ تعكس الجانب الأنثوي الإغرائي، أمّا عن لون أسنانها فيدلّ على إدمانها على التّدخين، فتاة لعوب متمرّدة حيث قال معمر يصف حركاتها الإغوئيّة:«اتسعت عيناها. لوت رقبتها الطّويلة ثمّ سألتني: ما اسمك؟»[2] وهو ما يدلّ على تحرر هذه الفتاة من تقاليدها وعاداتها.

البعد الاجتماعي:

ساجية من عائلة بسيطة، تعيش مع أمّها بمفردهما بعد مقتل أبيها، حيث جاء في نص الرّواية «أصيبت بصدمة منذ مقتل والدها في مدينة مرسيليا. اسمه عصمان الرّاقد. كان مهاجرا وأعتقد أنّه من قرية قريبة من منطقتك.»[3] لم تلتحق بالمدرسة، تهتم بمظهرها الخارجي، متمرّدة على عادات المجتمع متحرّرة في لباسها، تحبّ التّظاهر بالثّراء.

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص25.

[2]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، منشورات دار الكتب، الجزائر، 2012، ص17.

[3]-المصدر نفسه، ص93.

البعد النّفسي:

ساجيّة فتاة متهورة تعيش نقصا في حياتها تحاول سدّه بالسّفر والتّرحال مع سائقي الشّاحنات وكأنّها تنتقم من الحياة التي حرمتها نعمة الأبوة.

البعد الفكري:

بسيطة في تفكيرها ثقافتها محدودة لا تتعدّى الوسط الذي تعيش فيه، تعرف القراءة والكتابة، حيث قالت: «تعلمتها في الجامع على يد إمام مهاجر مغربي الأصل، كان لا يتقن الفرنسيّة»[1]

رغم أنّها لم تتعلّم الفرنسيّة إلاّ أنّها كانت تتلفّظ ببعض الكلمات الفرنسية في حوارها مع معمر.

شخصيّة سعاد القمحيّة:

البعد الفيزيزلوجي (المادي):

سعاد امرأة متفتّحة فنانة تحبّ الطّبيعة التي تتفنّن في تجسيدها بالحفر والنّقش، متحجّبة حيث ورد في وصفها: «غطت شعرها الفاحم بمنديل أبيض، وانتعلت الحذاء الجلدي الأسود ذا الكعب العالي. ابتسمت لنفسها حين لاحظت في مرآة الرّواق العريضة أنّ وجهها الدّائري ازداد إشراقا، تغيّرت حياتها تفتحت كوردة الرّبيع»[2] تعكس لنا هذه الأوصاف فرح سعاد التي لازالت تحافظ على جمالها بحياتها المتجدّدة، وكأنّ الحياة منحت لها فرصة لتغيير نفسها بكلّ حيوية وحرية.

البعد الاجتماعي:

سعاد تنتمي إلى عائلة بسيطة، طلّقها زوجها بعد أن علم أنّها عقيمة لايمكنها إنجاب الأطفال، لكن طلاقها لم يؤثّر عليها لأنّها لم تكن راضية على حياتها معه حيث قال السّارد:«شعرت سعاد

[1]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، ص 15.

[2]- محمد مفلاح، رواية همس الرّمادي، ص58.

القمحيّة بأنّها تسرّعت لما رضيت بالعيش مع حمدان الخضّار في قرية نائيّة»[1] وما يعكس عدم تأثرها بالطّلاق هو اهتمامها مباشرة بعد طلاقها، بتطوير هوايتها المتمثّلة في الحفر على الخشب والنّقش على الزّجاج.

إنّ ما غيّر حياتها وبثّ فيها السّعادة هو علاقتها مع يونس الورّاق حيث قال الرّاوي: «بدأت سعاد القمحيّة مشوارها مع يونس الورّاق في عالم جديد كلّه حب وفن ورغبة في الحياة المتحرّرة»[2] هذا الحب الذي تعيشه متحدّية كلّ من يعارض ذلك مثل والدتها (الحاجة صفيّة) والعقاقيري الذي لم تسلم من لسانه السّليط.

البعد النّفسي:

سعاد فتاة متزنة، مرتاحة نفسيا، تحب الحياة متفائلة تمتلك نظرة فنية للحياة والطّبيعة التي تجسّدها من خلال فنّها.

البعد الفكري:

تحسن سعاد القراءة والكتابة، كانت تهتم بفن الحفر والنّقش، الأمر الذي يفسّر «رغبتها في تعميق معارفها حول الحفر والنّقش، أهدى إليها مجلاّت وكتب عن الفن التّشكيلي والنّحت والتّجسيد والحفر وشجعها على حفر حيوانات تعيش في غابات الجبل الأخضر والونشريس والظّهرة»[3] وتحبّ أيضا الاستماع إلى الموسيقى التي أخذت بعض المعلومات عنها من يونس الورّاق، إضافة إلى انجذابها أيضا إلى مطالعة الكتب والمجلاّت خاصة تلك التي على صلة بفنّها.

[1]- محمد مفلاح، رواية همس الرمادي ، ص59.

[2]- المصدر نفسه، ص60.

[3]- المصدر نفسه، ص59.

شخصية جعفر النوري:

البعد الفيزيزلوجي (المادي):

لقب جعفر النوري بالرجل الصامد، لأنه تمكن من مجارات متاعب الحياة، يملك متجر العقاقير له عينين جاحطتين «تنهد جعفر النوري وهو يضع يديه الخشنتين شاشية حمراء، أصبح يعتمرها منذ عودته من البقاع المقدسة، وحركها على الجهة اليمنى من رأسه الضخم»[1] تعكس هذه المواصفات مدلول الشخصية الخشنة والعصبية، وتفكيره المثقل بالحقد والكراهية والحسد.

البعد الاجتماعي:

جعفر نوري شيخ بسيط، رب عائلة تتكون من زوجة (نخلة) وابن (علال) وبنتين (نفيسة وسمية) يجني قوت يومه متجر العقاقير الذي كان مسكنه الثاني، يمكث فيه كثيرا يراقب حركات جيرانه بحيث لا يخفى عليه شيء.

البعد النّفسي:

جعفر النوري ذو شخصية عصبية، متسرعة خشنة وعدوانية، غيور من كل ناجح في حياته، يهتم كثيرا بشؤون غيره، يراقب يتنصت، رغم ذلك يملك قلبا حنونا، اتجاه أبنائه «وهذا الصباح تذكر ابنه علال فانقبض قلبه، ولكنّه تماسك، ولم يسمح للدّموع أن تبلل عينيه»[2] ابنه الذي اختفى مخلّفا وراءه إشاعة، فراره مع سعيدة ابنة عمر الرّمسي إلى إسبانيا.

البعد الفكري:

ممّا ورد في الرّواية عن تعليمه « جعفر النّوري من مواليد حي المنحدر، تعلّم بمدرسة حي القلعة إلى غاية السّنة الثّالثة ابتدائي ثمّ تخلّى عن الدّراسة ليشتغل في مهن عديدة: بائع متجوّل، اسكافي،

[1]-محمد مفلاح، رواية همس الرمادي، ص 13.

[2]- المصدر نفسه، ص13.

حلاق، دهان ثم فتح بمسكنه متجرا للعقاقير وكان ذلك بنصيحة من عمّه بوعبد الله العقاقيري»[1] ولأنه لم يتمكن من متابعة دراسته، شكل ذلك له عقد نفسيّة يعكسها من خلال هجومه على أصحاب المناصب العاليّة وكلّ من يخالفه في الرّأي، لأنّه كان يرى في ذلك إنقاصا من شأنه.

يعمل المؤلّف على الاهتمام بأبعاد الشّخصية حيث تظهر للمتلقي وكأنّها كائن حيّ رغم ورقيّتها، لأنّ هذه الأبعاد لها أهمية كبير في جذب المتلقي ودفعه إلى اكتشاف الشخصية وتحديد العلامات التي تحيل عليها وعلى القيمة التي تدلّ عليها سواء كانت ممثلة في كائن حي أو في مكان أو شيء ما له دور لابدّ من الوقوف عليه.

2- مدلول الشّخصية:

إنّ تحديد مدلول الشّخصية يتوقف على مجموعة من العناصر المتعلّقة بعملية وصف بنية الشّخصيّات داخل العمل السّردي «كمورفيم متقطّع»[2]، بحيث يمكن لهذا المدلول أن يكون عبارة عن جمل تتلفظ بها الشّخصية تكشف لنا فهواها، فتعكس لنا صورتها أو يتلفظ بها عنها من طرف الرّاوي أو من الشّخصيات الأخرى المساعدة أو المعارضة لها أو هو مجموعة من الأوصاف ووظائف الشّخصية وعلاقاتها بغيرها من الشّخصيات الأخرى.

لقد حدّد هامون(Hamon) مفهوم مدلول الشّخصية انطلاقا من وظائف الشّخصية وعلاقاتها فوضع لذلك ترسيمة خاصة بوظائف الشّخصية وهي مكونة من ست محاور : [3]

- الحصول على مساعدة.

- توكيل.

---

[1]- محمد مفلاح، رواية همس الرمادي، ص 23.

[2]- ابن مالك رشيد، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص،ص131.

[3]- وردة معلم ، الشّخصية في السّيميائيات السّردية، الملتقى الوطني الرّابع السيمياء والنّص الأدبي، ص321.

- قبول التّعاقد.

- الحصول على معلومات.

- الحصول على متاع.

- مواجهة ناجحة.

بناء على هذه الوظائف يمكن معرفة ما تدّل عليه هذه الشّخصيات فبروب مثلا «لا يحتفظ من مدلول الشّخصية سوى بوظيفتها»[1].

فشخصيّة الهاشمي عندما ثارت على نمطيّة حياتها، لم يكن إلاّ بدوافع شكلت في طريقها دفعا إلى بلوغ مبتغاها وهو التّحليق في سماء فسيحة بحريّة دون النّظر إلى مخلّفات الماضي، ومن بين ما كان مرسلا لرغبته هو ما سنقف عليه من مدلولات لهذه الملفوظات:

- شعوره بالوحدة والانطواء الذي قيّد حياته بسبب الحادث الأليم «كنت أفضّل السّير الحثيث في الشّوارع والأزقة الضّيّقة حتّى لا ألقى أصدقاء وزملاء سابقين لا أحبّهم »[2]

- رغبته في التّحرّر من الوظيفة «تخليت عن الوظيفة التي اعتقدت أنّها كانت عالمي الوحيد، وهي في الحقيقة كانت سجنا خطيرا دفنت فيه كلّ أحلامي»[3] التي أثقلت كاهله.

- الرّغبة في التّحرّر من الشّعور بالعجز «كم يشقيني شعوري بالعجز عن تجسيد مثل هذه الرّغبات العنيفة»[4] الذي أصبح يسيطر عليه.

---

[1]- هامون فيليب ، سيميولوجيّة الشّخصيات الرّوائيّة، ص35.

[2]- محمد مفلاح،رواية سفر السّالكين، ص7.

[3]- المصدر نفسه ص12.

[4]- المصدر نفسه، ص10.

بمجرّد حصول هذه الشّخصيّة على نقاط مساعدة كلقائها ببصافي المايدي الذي بث فيها نوعا من التّحفيز والحيويّة، وقدرة على القيّام أمكنتها من أن تدخل في المواجهة رغم ما ستتلقّاه من ظروف معارضة.

أمّا فيما يخص العلاقات فهي الأخرى تساعد على تحديد المدلول سواء بشكل ظاهر أو محايث مبني على مبدأ التّقابل والاستبدال ضمن بناء ثنائي يضمّ وظيفتين أو عاملين، وهو نفس المبدأ الذي اتّبعه غريماس في بناء برنامجه لتحليل النّص السّردي على المستويين السّطحي والعميق، مبيّنا أنّ الشّخصية سواء كانت ممثل أو عامل لها دور تسهم به في إحداث التّحولات داخل البرنامج السّردي أو الخطاطة السّردية، وحتّى في علاقتها بباقي العناصر، ذلك أنّ علاقة شخصية ما بشخصيات الملفوظ الأخرى من شأنها توضيح المدلول وإبراز سماته وفق روابط التّشابه والاختلاف.[1]

فمثلا نجد شخصيّة الهاشمي المشلّح في علاقتها ببصافي المايدي تبرز لنا نوعا من التّأثر والتّأثير، فالهاشمي الذي كان يعيش نوعا من الاضطراب والانغلاق يجد في بصافي الذي ينعم بصفاء الذّهن نوعا من بذور الأمل التي دفعت به إلى التّغيّر والتّفاؤل «كانت بداية تغيّري هذا، منذ اللّحظة التي التقيت فيها بصافي المايدي وأنا في مقهى "السّعادة" الذي صرت أقضي فيه بعض الوقت»[2] وحتّى الزّمان والمكان يفضي بنوع الدّلالة التي تشحن بها شخصيّة "الهاشمي" (مقهى السّعادة وشهر مارس) "فالسّعادة" تدلّ على سعادة الهاشمي بهذا اللّقاء الذي غيّر مجرى حياته أمّا الشّهر(مارس) الرّبيعي فيدلّ على الإزهار والتّفتّح والتّغيّر، وهو ما حدث مع الهاشمي.

إنّ الشّخصية ليست عبارة عن شكل فارغ أصم لا حياة فيه وإنّما هي حسب (ويليك ورين) «تتولّد من وحدات المعنى فقط وليست إلاّ نتيجة للجمل الملفوظة منها وعليها»[3] علامة

[1]- ينظر: وردة معلّم ، الشّخصية في السّيميائيات السّردية، ص321.

[2]-محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص12.

[3]- ابن مالك رشيد ، قاموس التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص131.

تحيل على ما تحمله، ذلك أنّ الرّوائي أثناء رسم شخصياته يحاول أن يحشد عبرها أكبر كمية من القيم والعناصر والملامح النّفسية والسّلوكية التي يراها منحدرة إلى الفرد من المجتمع لتصبح الشّخصية بالتّالي نافذة يمكن التّطلّع منها إلى مساحات واسعة من الواقع الحياتي.[1]

وهذا المنح للشّخصية نحدّده من خلال ما يميّز الشّخصية من صفات وأوصاف تتفرد بها عن غيرها، نقف عليها عبر معاينة للملفوظ وما يحمله من دلالات تحيل على مدلولات، وفي هذا قدّم لنا هامون ترسيمة خاصة بصفات الشّخصية تتضمّن أربعة محاور بسيطة موضوعاتها :

الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا، الثّروة .[2]

وهذه الصفات هي صفات خاصة بالشّخصيّات يمكنها أن تتطابق مع صفات مميّزة لشخصيات أخرى من نفس الحكاية، فمثلا الجنس يمكن أن نجد تشابه أو اختلاف فيه بين الشخصيات أي شخصيات من نفس الجنس أو شخصيات مختلفة في الجنس.

فمثلا نأخذ من بين ما سرد عن شخصيّة "بصافي المايدي" «شرب الشّيخ قهوته وهو يدخّن بسيجارة "مالبورو" أخرجها من جيب سترته ثمّ التفت نحو جهة محلّ "الوردة" لبيع العطور وراح يترنّم بأغنيّة من الطّرب البدوي»[3] من خلال هذا الملفوظ نتعرّف على شخصيّة بصافي الذي يتميّز بهدوئه رغم ما يعانيه من مكبوتات، هذا الهدوء الذي يستمدّه من سيجارته التي يفرغ فيها كلّ مفرزاته السّلبية، أمّا عن التفاته إلى محل وردة فهو يظهر رغبته في تجديد حياته وتغييرها، وربط تعلّقه بالفتاة بالغناء البدوي يدلّ على شدّة شغفه بهذا اللّون الموسيقي الشّعبي العريق.

ونجد للقراءة أيضا دورها في استحضار مدلول الشّخصية الذي يبدو وكأنّه غائب لايتم استحضاره إلاّ بها، «فالشّخصية هي نتاج القراءة وهي علامة ممتلئة يتوقف تحيينها على مختلف

[1]- ينظر: فضل صلاح ، سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية ، ط1 2003م الدّار البيضاء المغرب ص100.
[2]- ينظر: معلّم وردة، الشّخصية في السّيميائيات السّردية، ص321.
[3]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص15.

السّياقات المحيطة بها من جهة وعلى دور القارئ من جهة أخرى، لأنّ هذا الأخير يعمل على استحضار المدلول الغائب للدّال الحاضر.»[1] فعندما نقرأ مثلا هذه العبارة «يا ولد المشلّح أشعر بأنّني في سنّ العشرين»[2] نعطي مدلولات لهذه الشّخصيّة من بينها:

- حبّ المغامرة.

- الرّغبة في عودة الشّباب، وبالتالي تجديد الحياة.

- حبّه وتعلّقه بالحياة.

- هدوء حياته، وصفاء ذهنه والتّفكير الإيجابي.

لكن هذه القراءات ليست قياسيّة وإنّما هي متواترة من قارئ لآخر، فالقارئ حين يبدأ في القراءة يبدأ في فكّ الشّفرات التي تحملها اللّغة، هذه الشّفرات التي يعمل الكاتب على بثها في نصّه بلغة بسيطة مفهومة لكنّها في الوقت نفسه مركّزة وتحتاج التّمعن والتّحليل والتّأويل، وهي التي تحيل على مدلولها، فحسب فيصل الأحمر حين نعتبر الشّخصيّة بمثابة مدلول، فإنّنا سنكون إزاء عملية دلاليّة ينتجها النّص ويقوم بتفسيرها القارئ فالمدلول إذن يولد حين حصول عمليّة التّلقي[3] ويتنوّع بتنوّع القراءات.

خلاصة ذلك أنّ الكاتب يترك للقارئ حرّية الفهم والتّأويل ممّا يسمح للقارئ ببناء تصور خاص به عن الشّخصية، وهذا التّصور يختلف من قارئ لآخر، وبناء على كلّ ذلك نستنتج أنّ التّعامل مع مدلول الشّخصية سيتّم من خلال ثلاث مصادر إخباريّة: [4]

- ما يخبر الرّاوي.

---

[1]- معلّم وردة، الشّخصية في السّيميائيات السّردية، ص320.

[2]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، ص17.

[3]- ينظر: الأحمر فيصل ، معم السيميائيات ص218.

[4]- ينظر: لحميداني حميد ، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، ط1 ، 1991ص51.

– ما تخبر به الشّخصيات .

– ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشّخصيات.

هذا يعني أنّ الوقوف على مدلول الشّخصية ليس معطى جاهزا ظاهرا لا لبس فيه، بل الشّخصية تحيى داخل المتلفّظ به الّذي لا يمكن التماسها إلاّ بالغوص في الأنساق الحاملة لها، لهذا هي عنصر مرن داخل العمل السّردي يتشكّل من الرّاوي أو الشّخصيات ذاته أو القارئ، لذلك تبقى «الشخصية هي دائما وليدة مساهمة الأثر السّياقي»[1] وهي أداة لتنشيط وتحيين ذاكرة القارئ.

إنّ السّيميائيات تعاملت مع الشّخصيّة على أنّها بمثابة الدّليل اللّساني الذي له وجهان دال ومدلول، رغم أنّ مدلول الشّخصيّة من وجهة النّظر السّيميائي يختلف عن المدلول اللّساني كونها ليست معطى ثابت يمكن أن نتعرّف عليه بسرعة، بل إنّها تتكوّن بفعل العلاقات التي تحكم بنى النّص.[2] وهذه العلاقات هي بؤرة تحليل النّصوص، ذالك أنّ «الدّلالات المفردة في النّص لا تشكّل دالا شموليا: فالنّص متكاملا على مستوى المدلولات وليس على الدّالات»[3] أي أنّ المعنى يتمّ من خلال تتبّع المدلولات وفق خطاطة معيّنة.

مدلول نسق العنوان والشّخصيّة:

إنّ الغلاف والعنوان هما الوجه الثّاني الذي يقرأ من خلالهما مضمون النّص، فالعنوان «هو ما يعلو النّص، إنّه البوابة الأولى التي يلج من خلالها القارئ إلى عالم النّص ليتعرّف على خباياه

[1]– هامون فيليب ،سيميولوجية الشّخصية الرّوائية، ص36.

[2]– ينظر: الأحمر فيصل ، معمجم السيميائيات، ص219.

[3]– تودوروف خريستو ، نقد مفهوم (علم الأدب) عند رولان بارت، تر: د.حسبن جمعة الآداب الأجنبية ص73.

وأسراره»[1] فهو عنصر مركّز ومكثّف يحاول الكاتب من خلال اختيّاره مدّ جسر العبور إلى عمق النّص، لذلك غالبا ما يضع القارئ علاقة بين العنوان وما يفهمه من قراءته.

رواية سفر السّالكين:

تروي هذه الرّواية في مجملها حياة سبع شيوخ يجتمعون حول مقعد قديم، يحمل ذكريات عن ماضيهم، وكأنّه شاهد عيان عن تغيّر أحوالهم، وهؤلاء الشّيوخ رغم اجتماعهم إلاّ أنّهم يختلفون في المسالك والتّوجّهات، فكلّ شيخ كان يبحث عن حرّيته، إمّا في تجديد حياته مع امرأة صغيرة أو التّحليق في عالم يسموا عن كلّ مرتذلات الحياة، وصف لنا الكاتب صراع كل واحد منهم للاتّصال بما يرغب فيه، لكنّهم في النّهاية حلّقوا من دار الدّنيا بهمومها إلى دار الآخرة سابحين في فضاء الهدوء والاستقرار.

إذا قارنّا بين العنوان"سفر السّالكين" والمضمون، نجد أنّ العنوان ما هو إلاّ وصف لمسالك المشايخ المختلفة التي انتهت باستقرارهم في دار الحقّ، رغم أنّ لفظة السّالكين ترتبط بشكل خاص بالصّوفيّة أي بالشّخصيّة المحوريّة "الهاشمي المشلّح" التي عشقت التّجوّل بين المعالم والأضرحة الصّوفيّة بحثا عن لذّة ومتعة التّعبّد التي وجد فيها نشوة حملت جسده بعيدا عن هموم الدّنيا التي أثقلته، ووردت في صيغة الجمع للدّلالة على السّالكين الذين دأب على التّنقل بينهم.

أمّا عن صفحة الغلاف فهي تحوي صورة لرجل يقف على أرض مشقّقة، يضع يده على خدّه وأذنه اليسرى لا تظهر في الصّورة، تحوم فوقه حمامات لونها أبيض في سماء فسيحة، تأويل ذلك أنّ الرّجل هو الهاشمي المشلّح الذي تنقل من ضريح إلى آخر حتى حفظ كلّ معالم مدينته.

[4]– سليم بركان، النسق الإيديولوجي وبناء الدّلالة في النّص السّردي رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي نموذجا، دراسات جزائرية، العدد 6 2008 مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر جامعة وهران، ص198.

أمّا عن تشققات الأرض ماهي إلاّ دلالة على معرفته بكلّ منطقة من مناطق وطنه والحمامات هي الشّخصيّات التي انتقلت في نهاية الرّواية إلى رحمة اللّه، رمز لها بالحمامات البيضاء لما وجدته من سلام وراحة في السّماء. وقوفه في وسط يدلّ على بلوغه الهدف الذي كان ينشده.

هوامش الرّحلة الأخيرة:

لعلّ ما يستوقفنا في هذا العنوان هو كلمة هوامش وعلاقتها بالرّحلة ولماذا الأخيرة؟

إنّ هذه الأسماء تنفتح على دلالات متعدّدة تمّ التّعبير عنها بإشارات اتّصلت بشكل مباشر بالشّخصيّة المحوريّة، هوامش هي الحواشي أو الأطراف المتدخلة في الرّحلة، وقد ارتبطت كلمة رحلة بالأدب مثلا رحلة ابن بطوطة: كتاب يصف فيه الرحلة ما شاهده من مآثر في أثناء سفره، كما نجد أدب الرحلات:(آداب) مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلفة عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق.[1]

فالرحلة تعني كما هو معروف عند الجميع الانتقال المحمّل من مكان إلى آخر، أمّا الأخيرة هي الرّحلة التي يأتي بعدها ثبات أي لا انتقال.

معمر هو عامل بورشات البترول بعين أمناس الصحراوية، متكفل بنقل المؤن من الغرب إلى الصحراء، ارتبط اسم معمر بالتعمير أي حمل السلع والتّرحال بها من مكان إلى مكان، لذلك كانت لدلالة العنوان علاقة مباشرة بمدلول شخصية معمر وحيثياتها في متن الرواية.

أما إذا عدنا إلى دوال الكلمات المكونة للعنوان فنأتي على شرح الهوامش التالي:

[1] - ينظر الموقع: www. Almaany. Com ar dicta r/ar. تاريخ الاطلاع: 2016/05/10.

هوامش جمع هامش مشتقة من الفعل همش حيث جاء معنى همش المعجم الوسيط:

الرجل: همشا: أكثر الكلام في غير صواب والقوم تحركوا، والجرد:تحرك ليثور والشيء همشا:جمعه (همش) الكتاب: علق على هامشه ما يعن به.[1]

انتهت رحلة معمر مختلفة أثارا نفسية وخيمة جعلته يثور على وضعه، ويتحرك بإكثار الكلام في غير محله، خاصة مع مسؤوله عبد السلام حسني، الذي رغم صرامته وقدرته، التي تخوله على اتخاذ قرار يعاقب فيه معمر إلا أنه أبى ذلك من باب الإنسانية، وشفقة على معمر الجبلي الذي ساءت حالته نتيجة ما كان يحمله من ضغطات شكلت هوامش ما آل إليه. في رحلته هذه التي سجلت كآخر رحلة ختم بها مشوار عمله.

أنماط الشخصية:

إنّ الشّخصية في الرّواية بطبيعة الحال ليست واحدة وإنّما هي تتنوع، حسب الدّور الذي يلبسها والوظيفة المنوطة إليها أي من خلال الفعل المسند إليها ضمن السّياق السّردي، فإذا كان النّقد يصف الشّخصيات بحسب أطوارها عبر العمل الرّوائي، ذلك لأنّ الشّخصية تتغير حسب عملية انتقاء الكاتب لشخصياته، «فإذا هناك ضروب من الشّخصيات، بحيث نصادف الشّخصية المركزية(الرّئيسة) التي تصاديها الشّخصية الثّانوية التي تصاديها الشّخصية الخالية من الاعتبار (personnage de comparse)، كما نصادف الشّخصية المدوّرة والشّخصية المسطّحة»[2].

إضافة إلى الشّخصية المرجعية والإشارية والاستذكارية حسب تصنيف فيليب هامون، كما سوف نلقي الضّوء عليها فيما يلي:

[1] – ينظر الموقع: www. Maajim. Com /dictionary تاريخ الاطلاع: 2016/05/10.

[2] – مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرّواية بحث في التّقنيات السرد، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، د.ط د.ت ص129.

1- الشّخصيّة الرّئيسة:

هي الشّخصية التي يكون لها حضورا دلاليا أكثر من الشّخصيات الأخرى، وهي تتميّز أيضا في كونها الأكثر فاعلية في الرّواية إضافة إلى أنّها تملك أكبر عدد من الأفكار (القيم) وغالبا ما تدافع عن هذه القيم مع حضور المساعد والمضاد في الوقت ذاته، فهي «تمتلك أساليب مميزة للتّعبير عن نفسها، إنّها تمتلك اسما، بينما أي شخص آخر ليس كذلك، إنّها الشّخصية الوحيدة التي تكون متصلة بمواقف أخلاقية معينة.»[1] تجعلها تملك بعض الأساليب التي تمكّنها من إحداث التّحولات، وتوجيه المسارات إمّا نحو حالة اتصال أو حالة انفصال.

في الرّواية تكون الشّخصية الرّئيسة بارزة من خلال أفعالها ومواصفاتها وغالبا ما تكون مشخصة لها كينونة معينة، فيسهل على القارئ التّعرّف عليها وعلى القيم التي تنادي بها عبر فكه لشفرات الملفوظ السّردي، فهي شخصية لافتة للانتباه، ذلك أنّ الأحداث في الرّواية قد ترتكز حول شخصية واحدة، تفرض وجودها ونفوذها على باقي الشّخصيات و على الأحداث، وتكون أكثر بروزا من خلال بعض الصفات والامتيازات التي تمنحها لها الرّواية.

تمثلت الشّخصيّة الرّئيسة في رواية "سفر السّالكين" في الهاشمي المشلّح: الذي اعتبر الشّخصيّة المحوريّة في الرّواية الذي تدور حوله أحداثها ويشكّل وحدة أساسيّة تتدخل بحضورها في جميع الأحداث.

أمّا في "هوامش الرّحلة الأخيرة" فكانت الهيمنة على الأحداث من نصيب معمر الجبلي، الذي كان الشخصيّة المحوريّة بما اضطلع من أفعال وتحريك للمسار السّردي.

---

[1]- جيرالد برنس، علم السّرد الشّكل والوظيفة في السّرد، تر. د. باسم صالح، دار الكتب العلمية بيروت،ط1،2012م ص100.

أمّا الشّخصيّة الرّئيسة في رواية "همس الرّمادي" فكانت عيسى الجبي: شيخ متقاعد يعيش في عزلة أثارت جيرانه عليه، ورغم فقدانه مكانته وتخلي الحزب عنه إلاّ أنّه كان يحافظ بشكل دائم على أناقته.

خلاصة ذلك أنّ الشّخصية الرّئيسة غالبا ما تظهر في الملفوظ السّردي كنظام دلالي متميّز بما يمنحه لها السّارد من مقوّمات أو ما تمنحه لنفسها تجعل منها ذات تمتلك قدرة وكفاءة على الإنجاز، ويمكن لها أن تتخذ بعض أنواع أو صفات الشّخصية التي تتميّز بعلامة خاصة (الإشارية، مرجعية، نامية أو ثابتة).

2- الشّخصيّات الثّانوية:

هي شخصيات تصدّ ثغرات الرّواية وتروي عطشها، حيث تكون منتشرة في الرّواية بدوال مختلفة(إشارات أو صفات) ملازمة للشّخصية الرّئيسة أحيانا ومساعدة لها، تتخذها صديقتها وحافظة سرّها، وغالبا ما تنبثق أمامنا تارة ثمّ تختفي تارة أخرى، يمكن أن يكون لها تأثير في توجيه الأحداث أو ثابتة لا تحرّك ساكنا، لأنّ الكاتب لا يقصدها لذاتها وإنّما لإضاءة جانب من جوانب شخصية البطل أو لتحقيق صفة من صفاته.[1]

وفي أحيان أخرى تكون هذه الشّخصيات معادية للشّخصية الرّئيسة (الشّخصية المضادة في نموذج غريماس) وتعمل على إبطال عملها من خلال الحيل والمؤامرات التي تدبّرها أو استخدام بعض الأساليب السّرية كالتّصنت وجمع الأدلة لإثبات نفسها وتحقيق مرادها ومجاراة الشّخصية الرّئيسية، وتقابل هذا النّوع من الشّخصيات المعادية ما يعرف بالشّخصية المساعدة .

[1]- ينظر: نجيب محفوظ، نماذج الشّخصيات المكرّرة ودلالتها في رواياته، د.عودة الله منيع القيسي، دار اليازوري للنّشر والتّوزيع الأردن،ط2004م، ص12

الملاحظ من خلال كلّ ذالك أنّ «الشّخصيات الثّانوية لا تحدّد إلاّ من خلال وظيفة واحدة أو مواصفة واحدة».[1]، في حين أنّ الوظيفة الواردة يمكن أن تمثل من طرف أكثر من شخص أو ممثل فالشّخصية ليست مشخصة دائما، يمكن أن نجد في رواية واحدة أربع مساعدين مقابل مضادين على سبيل المثال .

لكن رغم ثانوية هذه الشّخصية إلاّ أنّها لا تقل أهمية عن الرّئيسة، فهي التي تمنح للرواية حيويتها وتبعث فيها الحركة والحياة وتنمّي فيها عنصر الإثارة والمفاجأة، ذالك أنّها كلّما يهمّش دورها في الرّواية يشار إليها بحرف ورقم أو بجزء من أجزاء جسمها.

ومن خلال الشّخصية الثّانوية عادة يمكن تحديد ملامح الشّخصية الرّئيسة وتصنيفها حسب ما تقدمه وتعكسه عنها، إمّا عن طريق ما تقوله عنها أو بعض النّعوت التي تنعتها بها.

رغم تبعيّتها للشّخصية الرّئيسة سواء بشكل مضاد أو مساعد فإنّها تملك وجودا خاصا بها في الرّواية، وكذا يمكنها أن تتميّز بالثّبات أو النّماء، حيث غالبا ما نجد في بعض الرّوايات،هذه الشّخصيات تتطور عبر المسار السّردي، فتجاري الشّخصية الرّئيسة لتكاد تكون مثلها أو تفوقها.

إنّ الشّخصية الثّانوية لها وزنها وأهميتها في الرّواية، رغم أنّ الرّوائي غالبا لا يهتم بتفاصيل حياتها ولا يتابع تطور أفكارها إلاّ في حدود ما يخدم أحداث الرّواية ويمكن أن تتصف بكل أوصاف الشّخصية، شأنها في ذلك شأن الشّخصية الرّئيسة.

الشّخصيّات الثّانويّة في رواية سفر السّالكين:

الرّواية	الشّخصية	نوعها	وظيفتها
سفر السالكين	بصافي المايدي	ثانوية مسطحة	متقاعد يحب الغناء الشّعبي والعصرنة

[1]– هامون فيليب سيميولوجية الشّخصيّات الرّوائيّة، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كيليطو دار كرم الله للنّشر والتّوزيع،ص47.

	رابح اللّمة	ثانوية نامية	متقاعد يرغب في إعادة الزّواج
	هواري البني	ثانوية مسطحة	متمرّد على العادات والتّقاليد
	عاشور الزكري	ثانوية نامية	الاهتمام بحث في التّاريخ
	الحاج العربي الشيلي	ثانوية مسطحة	الانتماء إلى الحضرة الفاتحاويّة
	تهامي الفارس	ثانوية مسطحة	ركوب الخيل
همس الرّمادي	جعفر النّوري	ثانوية مسطحة	التّطفل على الآخرين
	سعاد القمحيّة	ثانوية سطحية	التّحرر من قيد المجتمع
	المفتشة سميشة	ثانوية مسطحة	الزّوجة المتحررة
هوامش الرّحلة الأخيرة	ساجيّة	ثانوية نامية	المغامرة الإراء والتّمرد
	عبد السّلام الحي	ثانوية مسطحة	توزيع المهام

3- الشّخصية الدّائريّة أو النّامية personnage rond:

هي شخصية نصادفها عبر تتبع الملفوظات والمسارات السّردية داخل الرّواية، وأول من اصطنع هذا المصطلح هو الرّوائي والنّاقد الإنجليزي (E.M.foster)، وقد ترجم هذا المصطلح من قبل العديد من النّقاد، ونميل نحن إلى مصطلح ميشال زرافا وهو الشّخصية الدائريّة لأنّها الأقرب إلى تراثنا العربي، فالجاحظ مثلا كتب "رسالة التّربيع والتّدوير" الشهيرة، وهي رسالة عجيبة وصف فيها شخصية نصفها حقيقي ونصفها الآخر خيالي.[1]

[1]- ينظر: مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد ص129-130.

وهناك من يطلق على هذا النّوع من الشّخصية اسم الشّخصية المكثفة، وهي تسمية تدلّ عليها، فهي تلك «المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنّها متغيّرة الأحوال...فهي في كلّ موقف على شأن».[1]

إذا فهي شخصية لها دور مكثّف في الرّواية، ذلك أنّ الرّاوي يرسم هذه الشّخصية، معتمدا على عنصر المفاجأة والخيال والواقع، وكأنّه في حلقة دائرية، تجعل منها تبدو شخصية متمردة مرحة كثيرة الحركة، ومتميزة عن غيرها فهي تمتلك القدرة على التأثير في الآخرين. إذ تعتمد على عنصر المفاجأة مما يجعلها وحدة مركبة متجددة كأنّها هستيرية، وهذا النّوع من الشّخصيات لا قاعدة له، فهو يتوقف على القارئ الذي يتعامل معها ومن ثم يحكم عليها بأنّها متجددة ومتطورة عبر الملفوظ السّردي.

4- الشّخصية المسطحة أو الثّابتة personnage plat:

هي على عكس الشخصية الدائرية فهي بسيطة تمتاز بالهدوء طول المسار السّردي، «إذ تمضي على حال لا تكاد تتغيّر ولا تتبدّل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة»[2] والقارئ لا يواجه أي مشكلة أثناء تتبعه للملفوظ السّردي، ذلك لأنّها ثابتة وخالية من عنصر المفاجأة طول المسار السّردي، أي أنّها لا تؤثر ولا تتأثر.

لقد كان لوجود الشّخصيّة في روايات محمد مفلاح حضوراً قويا، «لأنّه عمد إلى التّكثيف من الحدث والتّكثيف من الأماكن التي كانت تجري فيها تلك الأحداث»[3] كما الغرض منها إظار مدلولات الشّخصيّة الرّئيسة والشّخصيّات النّاميّة مساعدة كانت أو معارضة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 131.

[2]- ينظر: مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد ص132

[3]- زاوي أحمد، بنية الحوارية في روايات محمد مفلاح أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه، 2014 /2015 ص245.

وهناك من الشّخصيات التي وظّفت لغرض لفت انتباه الشّخصيّة أو تخفيف آلامها، أو استرجاع الذّكريات، مثل ما جاء في رواية "همس الرّمادي" عندما تحدث عيسى الجبي عن ناصر الرّبعي في حواره مع نفسه مسترجعا ما لقيه من هذا الرّجل النّاكر للجميل، وكذلك شخصية منور الكردي.

وما يلاحظ على روايات محمد مفلاح أنّ أكثر الشّخصيّات سطحيّة هنّ زوجات الشّخصيّات الرّئيسة أو النّاميّة، التي كان الهدف منها إظهار جانب من جوانب الشّخصيّة، مثل زوجة عيسى الجبي حسيبة ابنة سرحان المرسي وابنته سهام.

وهناك من الشّخصيّات التي أسهمت نمو الحوار وما أكثرها في رواية "هوامش الرّحلة الأخيرة" نأخذ على سبيل المثال الحوار الذي دار بين هواري النّادل ومعمر الجبلي: «بعد ثوان قليلة عاد هواري وردد بمودة:

– ماذا تشرب ياعمي معمر؟

ثمّ أردف قائلا بصوت خافت:

سامحني..أصبحت عصبيا.

أجبته:

قهوة موزة.»[1]

وهناك شخصيات أثرت بوجودها الجانب الحواري في الرّواية الذي أعطى للشّخصيّة المحورية متنفسا للبوح بهمومها، نجد: عبد السّلام الحسي، حميد الرّوخو، عواد الحارس، شريف الميكانيكي، قدور الفجي وغيرها من الشّخصيّات.

[1]– محمد مفلاح،رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، ص 8 / 9.

أمّا في رواية سفر السّالكين فنجد: رابح اللّمة، الحاج العربي الشّيلي، هواري البني....

خلاصة ذلك أنّها شخصيّات تأتي في الملفوظ لملء الفراغ السّردي وتعدّ الرّابط مع باقي الشّخصيات الأخرى، حيث أنّ التسطيح كان في بعض هذه الرّوايات نتيجة نصل إليها الشّخصية خاتمة لمسار فرض عليها أو اختارته هي[1]، أو يمكن أن يكون العكس فتخرج الشخصية في الأخير من السّطحية إلى فرض نفسها، وهذا الحكم ليس قياسي ثابت وإنّما هو احتمالي.

إنّ كلتا الشّخصيتين المدورة والمسطحة ليس لهما قاعدة يستدل من خلالها عليهما، وإنّما هما متوقفان على القارئ، فإذا كانت الشّخصية تتميّز بالثّبات فهي مسطحة وإن كانت تمتلك عنصر المفاجأة وكثيرة الحركة، متنامية طول المسار السّردي، فهي شخصية مدورة أو مكثّفة.

1- الشّخصية المرّجعية (personnage référentiel):

لقد صنّف هامون(Hamon) الشخصية إلى ثلاث أصناف انطلاقا من العلامات «التي تحيل على مرجع، العلامات التي تحيل على محفل الملفوظية والعلامات التي تحيل على علامة منفصلة عن نفس الملفوظ، أي العلامات الرّابطة»[2].

إنّ الوقوف على الشّخصية المرجعية يستوجب منّا الوقوف على المفهوم اللّساني للمرجعية وهي مرتبطة بسياق خارج النّص، فمثلا فيصل الأحمر يرى أنّ الشّخصيّات المرجعيّة وهي كل الشّخصيّات التّاريخيّة كنابليون أو الأسطورة كفينوس والمجازيّة كالحب والكراهيّة والاجتماعيّة

[1] -ينظر: أحمد النّاوي بدري، خصائص الكتابة الرّوائية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1 2015، ص 153.

[2] - هامون فيليب ، سيميولوجية الشّخصيّات الرّوائيّة، ص8.

كالفارس والمحتال[1]، بما أنّها شخصية لها معنى مجسّدا بعيدا عن نصيّة نص الرّواية يضبطه سياق تاريخي أو اجتماعي قبلي، فإنّ الشّخصية المرجعية يمكن أن تتمثل من خلال فرعين نقف عليهما في معاينة شخصيات النّص:

أ- الشّخصية التّاريخية: هي شخصية مستوحاة من التّاريخ سواء كانت دينية أو اجتماعية عربيّة أو غربية، الشخصيّات التّاريخية هي أكثر الشّخصيّات الحقائقية، ذلك أنّ «هذه الشخصيّات مستدعاة بصفة عامة من المدوّنة التّاريخية»[2].

وهي على حدّ تعبير رشيد بن مالك تجسّد وصلة تاريخية بين الماضي والحاضر، ولابدّ للقارئ أن يملك ثقافة تاريخية ليتمكّن من الوقوف على معناها، فهي تحمل دلالة مثبتة مسبقا، خارج نص الرّواية ولو أنّها في بعض الأحيان يوظّفها الكاتب بشكل عابر.

ومن الشّخصيات التّاريخيّة التي سجلت حضورا في روايات محمد مفلاح: "هواري بومدين"

وهذه الشخصيات تذكر للاستمالة أو يحدّث عنها لكنّها لا تتحدّث، وتكون لها دلالة ثابتة لها مرجع تاريخي لا يتصرّف فيه الرّاوي، فهي شخصية ترهق الكاتب وتأسره ضمن قانونها التّاريخي الخاص وتقلّل من حريّته بوصفها شخصية جاهزة ومعروفة.[3]

وبما أنّ الرّواية هي تجاوز ما هو واقعي ولو بشكل نسبي، فإنّ الرّاوي يحاول دائما خرق العادة في بناء شخصياته ذلك أنّه وجد في المسافة بين الشّخصية ومرجعها هامشا كبيرا مكنه من

[1]- ينظر: الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيات الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص218.

[2] - أحمد النّاوي بدري، خصائص الكتابة الرّوائية ص 111.

[3]- ينظر: عبد الرّحيم حمدان حمدان، بناء الشّخصية الرّئيسية في رواية "عمر يظهر في القدس" للرّوائي نجيب الكلاني ص131.

أن ينزع عنها الطّابع الحقائقي التّاريخي الصّارم[1].رغم أنّ الشّخصية التّاريخية تكون عبارة عن معطى جاهر غير قابل للتّوظيف، يتعرّف عليه القارئ عبر ما يمتلكه من ثقافة تمكّنه من التّعرف عليها.

ب– الشّخصية التّناصية: وهي شخصية يمكن أن نقول عنها أدبية أجنبية لغرابتها عن النّص الرّوائي رغم التّحفظ عن هذا الحكم نوعا ما، أو كما عرّفها رشيد بن مالك هي «الشّخصية التي تؤدي وظيفة تناصية(معناها) تتجسد في مختلف مستويات بنية النّص».[2] يستعملها الرّاوي كوسيلة تلجأ إليها شخصية ما في الرّواية إمّا للمقارنة أو الاختباء ورائها.

إنّ الشّخصية المرجعية بوظيفتيها التّاريخية والتناصية، يوظّفها الرّاوي من خارج النّص قصد استفزاز دلالة نصه وتنويه عقل القارئ، كأنّها تعمل على تفريغ المعاني بربط الماضي بالحاضر، لكن هل الشّخصية المرجعية تكون دائما موظّفة من خارج النّص؟.

بما أنّ لكلّ مظهر مضمون، وبما أنّه تمّ تسليط الضوء على الشّخصية الموظّفة من الخارج (اجتماعي أو تاريخي)، فإنّه لا بدّ من النّظر في الشّخصية التي توظّف من داخل النّص أي الجانب الذاتي الذي له صلة مباشرة بالرّاوي نفسه.

الشّخصية المرجعية الذّاتية:

هي شخصيات يقدّمها الرّاوي في نص روايته، وتكون إمّا تمثل ماضيه أو تعكس شخصيته وتأثره، أي أنّ هذا الكائن الورقي «لا يتحقق وجوده إلاّ من خلال الرّاوي أو ما يسند له من دور أو برنامج سردي في متن القصة (مضمون النّص السّردي) فهي لا تشتغل إلاّ بالمرجعية الذّاتية، ولا تحيل في تناسبها إلاّ على نفسها»[3].

[1]– ينظر: أحمد النّاوي بدري ، خصائص الكتابة الرّوائية.ص 113.

[2]– ابن مالك رشيد ، السّيميائيات السّردية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان ط1 2011 /2012، ص130.

[3]– ابن مالك رشيد ، السّيميائيات السّردية، ص135.

أي أنّها مرتبطة بالمعنى الذي يولد من السّياق، فلا يستدلّ عليها إلاّ من خلال علاقاتها أو من خلال ما يقال عنها، وهي شخصيات تكون غالبا سائدة في نص الرّواية.

2- الشّخصية الإشارية أو الواصلة:

لقد سبق وقلنا أنّ هامون(Hamon) اعتمد في تصنيفه للشّخصية على التّقسيم الثّلاثي للعلامة، وبما أنّ العلامة تحيل على بؤرة ملفوظية، إنّها ذات مضمون عائم ولا يتحدد معناها إلا من خلال مقام خطابي ملموس(هنا والآن) من خلال فعل تاريخي لكلام لايتحدد إلاّ بتزامن مكوناته(أنا، أنت، هنا، الآن).[1]

فالعلامة هي انسجام الدّال مع المدلول، أي المظهر الخارجي مع الصورة الذّهنية، على حدّ قول العالم اللساني دي سوسير، فهناك علامات تحمل إشارات لا تفهم إلا ضمن الملفوظ السّردي نفسه، فمثل لفظة"الآن" لا نستطيع تحديد سبب ورودها دون أن يتضمنها ملفوظ ما، فانطلاقا من هذه العلامة وضع "هامون(Hamon)" الشخصية الإشارية التي تكتسي صورتها ضمن الملفوظ الذي يحدد لنا هويتها وكذا من خلال علاقاتها مع باقي الشخصيات.

الشّخصية الاستذكارية:

إذا عدنا إلى طبيعة كلمة استذكر في اللغة فهي تعني إعادة النّظر في ما مضى أو لفت الانتباه إلى أمور مضت، وبهذا يمكن القول أنّ الشّخصية الاستذكارية تدل على نفسها، فهي شخصية يحددها الملفوظ السّردي من خلال بعض العلامات التي تكون بمثابة منبه أو «علامات تنشط ذاكرة القارئ»[2].

[1]- ينظر: هامون فيليب، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائيّة ص27.

[2]- هامون فيليب، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائيّة، ص31.

فهي شخصية تكون لها وظيفة معينة في الرّواية بحيث يلجأ الرّاوي إلى هذه الآلية من آليات الاستذكار لاكتشاف ذاته والبوح بما يعانيه إلى المتلقي.[1]

فتكون الشّخصية بهذه الصّفة الممنوحة لها وسيلة لإظهار خلجات النّفس أو للتّذكير بأمر ما يمتلك مرجعية معينة داخل نسق العمل، أو للتّبشير و التّأويل والتّنبيه ولفت الانتباه وغيرها من الصّفات الاستذكارية، مع وجود خيط زمني تطوري واضح يحكم الشّخصية في علاقتها بمرجعها[2].

أي أنّ هذه الحالة الاستذكارية للشّخصية يجب أن تكون محكومة بالتسلسل الحدثي وليس بشكل متعمّد.

وهي كما عرّفها هامون(Hamon) «تشكل علامات تذكر بملفوظات قد تكون أحيانا طويلة، وسيكون لشخصية ملفوظ ما، بشكل دائم، هذه الوظيفة الاستذكارية(استذكارية، استبدالية، تناسقية، وتنشيط للذاكرة)، وذلك من خلال تكرارها وإحالتها الدّائمة على معلومة سبق ذكرها، ومن التّقابلات والتّشابهات التي تربط بينها»[3].

أي أنّها شخصيات متكرّرة عبر ملابسات النّص، ذات وظيفة تنظيميّة التي تبشر بالخير أو تنذر في الحلم، فتأثر في علاقة النّص بالشّخصيات الأخرى، فهي ذات طبيعة تنظيمية وترابطية بالأساس.[4] وهذا إذا دلّ فهو يدلّ على أنّ هناك علاقة تأثير وتأثّر فيما بين الشّخصيّات، وينتج عن هذا تغيير نوعي في النّظام التّرابطي لمسار بعض الشّخصيات.

لكن هذه الشّخصيّات الثّلاث كما صنّفها هامون(Hamon)، لا يتعلق كل صنف من هذه الأصناف بالشّخصية الواحدة طول المسار السّردي، فيمكن لشخصية واحدة أن تنتمي إلى

[1]- ينظر: علاء جبر محمد، دلالة الذاكرة في النّص الرّوائي – قراءة في علامية الزّمن الماضي، الموقف الأدبي ص60.

[2]- ينظر: أحمد النّاوي بدري ، خصائص الكتابة الرّوائية، ص138.

[3]- هامون فيليب، سميولوجية الشّخصيات ص33.

[4]- هامون فيليب، سميولوجية الشّخصيات، ص31.

الأنواع الثّلاثة في نفس المسار، ذلك لأنّ كل واحدة تتميّز بالأبعاد الوظيفيّة المتفاوتة والمتعدّدة داخل المسار السّردي.

إنّ هذا التّركيز اعتمده محمد مفلاح في عرض شخصيّاته التّي غذّاها بالتّراث العريق بمحمولات دلاليّة، يهدف من خلالها إلى إبراز عنصر الصّراع القائم بين رؤيتين لنوعين من الشّخصيّات:

النّوع الأوّل: هو شخصيّات وطنيّة متشبّثة بديننا الحنيف تسعى إلى إعادة مدّ جسور الماضي بالحاضر عبر إحيائها لبعض العادات التي تناساها النّاس حتّى تكاد تصبح غريبة عنهم.

الفصل الثالث

الشخصية من المستوى السطحي إلى المستوى العميق

1-الشّخصيةّ بين التّجريد والفعل الحدثي:

إنّ كلّ نص مبنى على قيّم تكون مجرّدة لأنّها تمثّل الأشكال الدّاخليّة لدلالة النّص، ذلك «أنّ البنية التّحيّة العميقة هي المتحكّمة في البنية السّطحيّة والمولّدة لها»[1]، أي أنّ للنّص قوام مخفي وراء الوجه الجلي، وهذا القوام هو اللّبنة الأساسيّة التي تشغل بال كلّ باحث أو قارئ غير عادي.

لذلك نجد «السّيميائيات في استنادها إلى القواعد اللّسانيّة، تسعى إلى بناء الدّلالة من داخل النّص، ومن مستويات محدّدة تحكمها بمجموعة من العلاقات والعمليّات ندركها بوضوح في الصّعيد العميق»[2]، وهذه البنية يتمّ تحليلها والوقوف على مستوياتها من خلال مبدأ التّقابل والإختلاف.

إذ للنّفاذ إلى أبسط الوحدات المكوّنة للبنية الدّلالية التي تحدّد لنا ماهيتها، لابدّ من اعتماد عمليّة التّقطيع، وبما أنّ هذه البنية المجرّدة لا تشكّل ذاتا من السّهل القبض عليها «فإنّ التّقطيع في هذا المستوى سيكون أكثر إشكالا وأذهب في التّعقيد، بحكم غموض الدّلالة واستعصاء حصرها»[3].

فالنّص السّردي ككتلة دلاليّة مضاعفة متمظهرة من خلال تلك العلاقات الرّابطة بين البنيات المجرّدة الملتهبة عبر تحوّلها إلى عمليّات (عوامل) التي تبنى على عمليتي النّفي والإثبات على الصّعيد العميق، اللّتان تتمّان عبر حالتي الانفصال والاتّصال، وهنا يكون لابدّ من ظهور ذات فاعلة تقوم بعمليّة التّحويل، أي أنّ البنيات الدّلالية المجرّدة تتحوّل من بناء عاملي إلى ملفوظ سردي جليّ من خلال الفعل التّركيبي الذي يستدعي ذات فاعلة وعنصر الزّمكان.

---

[1]- العجيمي محمد النّاصر ، في الخطاب السردي، نظرية غريماس الدار العربية للكتاب تونس 1991 ص87.

[2]- ابن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائيات السّردية، دار الصبة للنّشر والتّوزيع د.ط د.ت ، ص16.

[3]- العجيمي محمّد النّاصر ، في الخطاب السّردي،ص87.

بناء على تتبّعنا للملفوظات السّرديّة استخلصنا أنّ رصد القوانين المنظّمة للمسرود يتمّ عبر ضبط وضعيّتين هامتين في عمليّة التّدليل والانتقال من وضعيّة إلى أخرى أي من حالة إلى ذات هما الوضعيّة النّهائيّة والوضعيّة الابتدائيّة، وكلّ وضعيّة من هذه الوضعيّات يمكن أن تنقسم إلى مراحل، فمثلا المقطوعة الابتدائيّة في الرّواية التي قمنا بتخليصها في ثلاث المراحل:[1]

1- الفرضيّة: أي عنصر الرّغبة المراد تجسيده.

2- التّعيين: ويتمثّل في طريقة تجسيده.

3- الغائيّة: وهي النّتيجة التي تؤول إليها الفرضيّة.

يمكن تجسيد هذه المراحل الثّلاث لحياة الهاشمي المشلّح في التّرسيمة التّاليّة:

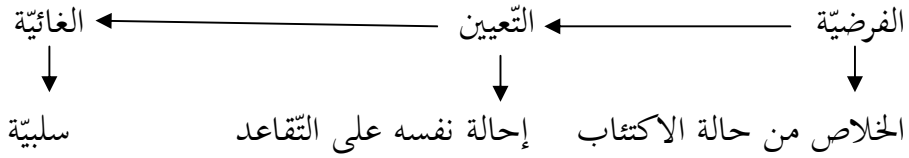

إنّ الفرضيّة تمثّلت في رغبة الهاشمي في الخلاص من نظرات واستهزاءات زملائه من خدّه المخدوش وأذنه المبتورة بسبب حادث مشؤوم وقع له، وهي عبارة عن نوازع داخليّة لتعلّقها بصاحبها تسبّبت فيها عوامل خارجيّة(الأذن المبتورة، والخدّ المشوّه والزّملاء).

لذلك فكّر في التّقاعد ضنّا منه أنّه السّبيل الوحيد للخلاص من هذه الحالة المضطربة التي أثرّت على نفسيّته المضطربة، فكان التّقاعد ليس قيمة أو جزاء، وإنّما أداة ضروريّة لتحقيق الرّغبة، وبالفعل تمكنت الذات من تحقيق فعل الانفصال، وبالتّالي حصل الاتّصال بالموضوع (التّقاعد)، لكن ذلك لم يحقّق الغائيّة حسب المرحلة الثّالثة(الغائيّة)، لأنّ التّقاعد بدوره دفع إلى تدهور قوي

[1]- بوطاجين السّعيد ، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائيّة "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عيّنة، منشورات الاختلاف، ط1 2000م، ص26/25.

في حالته النّفسيّة، فأصبح يعاني من الفراغ والانطواء والوحدة، خاصّة أنّه أصبح بلا وظيفة، ولا أحد اليوم يتقرّب منه، بسبب عدم قدرته على تلبيّة مطالبهم.

إنّ هذه الغائيّة هي نتيجة عوامل ضدية (عدم رضا الزّوجة وابتعاد النّاس عنه)، ساهمت في عدم تحقيق الوصلة مع عامل الموضوع، لكن وضعه هذا اللاّتوازن لم يعد قائما بفضل تدخل عامل/المساعد، المتمثّل في شخصيّة "بصافي المايدي" الذي ساعد الذّات على تحقيق فعل التّحويل من حالة إلى أخرى «تحويل الحالة البدئيّة إلى حالة نقيضة»[1]

الحالة البدئيّة .....◄..... الحالة النّقيضة

⇩ ⇩

-(«أصبحت بعد إحالتي إلى التّقاعد المسبق شخصا متوحدا مهموما»[2]) («لقد أسهم هذا الشّيخ الأنيق في تغيير حياتي فلم تعد كالحة كما كانت»[3])

- الرّغبة في الانتقام.

كانت رغبة الهاشمي من وراء إحالة نفسه على التّقاعد المسبق، الحصول على بعض الهدوء والمتنفّس في حياته الذي يسمح له بإنقاذ نفسه من رتابة الأيّام ومطالب العائلة التي لا تنتهي، لكن ما عارض اتصّاله وموضوع القيمة الذي كان يصبو إليه هو تدخّل عوامل معارضة آلة دون ذلك (تذمر الزّوجة، الفراغ، الأفكار السّلبيّة)، كل هذا زاد من تأزّم حالته وتدهورها إلى أن تدخلت الشّخصيّة الفاعلة التي أحدثت تغييرا في حياته، هذه الشّخصيّة التي لم تهتم بأكثر جزء حساس يثير أعصاب الهاشمي.

[1]- بوطاجين السّعيد ، الاشتغال العاملي، ص27.

[2]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص7.

[3]- المصدر نفسه، ص12.

فهي شخصيّة تمتلك فنيّة في معاملة الآخرين والذي قال عنها«...الشّيخ الذي ظلّ يبتسم لي دون أن ينظر إلى الجهة اليسرى من وجهي المثلّث، حيّرني بلطفه.»[1] الذي أثّر فيه بسلوكه، فأصبح يودّ أن يكون مثله «أحببت أن أكون حرّا مثل بصافي المايدي».[2]

إنّ نفور الهاشمي المشلّح من زملائه في العمل، جرّاء ما كان يتلقّاه من استهتار واستهزاء من خدّه المثلّث، وأذنه المبتورة، هذه الحالة التي آل إليها بسبب حادث مشؤوم مازال محفورا في ذاكرته المرهقة والمضطربة، إضافة إلى القيود التي فرضتها عليه الوظيفة، كلّ ذلك دفعه إلى البحث عن اللاّثبات والحريّة، وهو ما يمثّل في شكل عامل (مرسل)، دفع بالذّات الفاعلة إلى البحث عن موضوع القيمة والاتّصال بها.

يمكن التّمثيل لذلك وفق التّرسيمة التّاليّة:

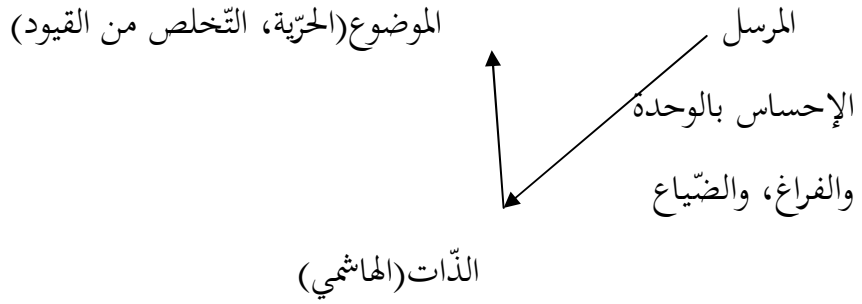

نقرأ هذه التّرسيمة بناء على محمولات الرّواية، أنّ الدّافع وراء رغبة الذّات الفاعلة هي مجموعة من الاضطرابات النّفسيّة المتمظهرة كقيمة ثيميّة متناثرة في النّص نستدلّ عليها، إمّا عبر ما تصرّح به الشّخصيّة نفسها، أو من خلال ما يقال عنها، أو ما يستدلّ عليه من تصرّفاتها أو حركات.

وليحقّق الفاعل الوصلة بالموضوع (ف٨م)، لابدّ أن يقع فعل التّحويل من قبل ذات فاعلة الذي لا يتم دفعة واحدة، وإنّما عبر مراحل (برامج سرديّة) محفوفة بسلسلة من التّحولات التي

[1]- محمد مفلاح، رواية سفر السّالكين ،ص14.

[2]- المصدر نفسه، ص 28.

تسهم فيها ذوات فاعلة مساندة، مقابل ذوات معارضة، وهذا لا نستخلصه إلاّ من خلال تتبّع جملة من الملفوظات الواردة في الرّواية، عبر فك محمولاتها، منها مايلي:

«كم يشقيني شعوري بالعجز عن تجسيد مثل هذه الرّغبات العنيفة»[1] يظهر من هذا أنّ الهاشمي يعمل على التّغلّب على نفسه الضّعيفة أمام مستجدّات تتطلّب الشّاعة والمواجهة، لتغيير ما أمكن تغييره حتّى يصل الهاشمي إلى ما يصبو إليه، فهو شعور كان يراوده يضعه أمام حدّين نمثّل له بالشّكل التّالي:

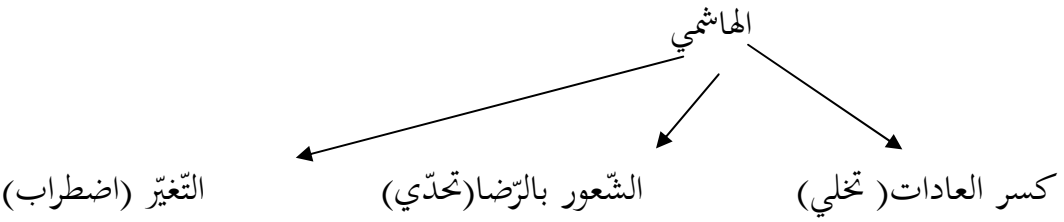

من خلال ملاحظة الأسهم نفهم أنّ رغبة الهاشمي في كسر العادات التي كانت تسيطر برتابتها على حياته، كانت نسبتها أكثر من الرّضا الذي يتحصّل عليه، ذلك أنّ هذا التّغيّر النّسبي سيولّد من الجانب الآخر اضطرابا يعكّر ما أحرزه، يضعه في مواجهة تحدّيات من نوع آخر، وكأنّ البرنامج هنا يتكرّر بدوافع وموضوعات أخرى، وهو ما يدعى بمضاعفة البرنامج السّردي.

إذ ينعكس فعل التّحوّل الذي ظهر على شخصيّته من خلال قوله:

«لا شيء أصبح اليوم يثير اهتمامي، لم أعد أستمع إلى الموسيقى»[2] لكن هذا بفعل عامل مساند وقع فعل التّحويل، الذي يظهر من خلال تصرّفه «اشتريت ثلاث أقراص مضغوطة وضعتها في جيب سترتي الصّيفيّة، وبي رغبة جامحة للاستماع إلى أغاني"ما أقواني" و"هذي الدّنيا" و"ياعودي"»[3] ويظهر تمرّده على قيود حياته ونفسه من خلال تغيير بعض العادات والسّلوكيات

[1]- محمد مفلاح: رواية سفر السّالكين ص10.

[2]- المصدر نفسه، ص16.

[3] - المصدر نفسه، ص29.

التي التصقت بحياته منها ما صرّح به في قوله: «امتنعت عن شراء أي شيء شعرت برغبة في تحدّي زوجتي وبناتي».[1]

لكن هذه التّحوّلات التي أنجزتها الذات وتوجت بها مساراتها، لقيت عوامل مساعد ومعارضة سعت إلى الوقوف دون تحقيقها ذلك، وشخصيّة "الهاشمي" واجهت في الذي حققته من تحوّل عواملا(لقائه بصديق والده، شراءه أشرطة، كلام صديق والده) ساعدته مقابل عوامل أخرى(الزّوجة، المتطلّبات، بناته، تخوّفاته) عملت على إبطال عمليّة الإنجاز، نلخّص كلّ ذلك في المخطط الآتي:

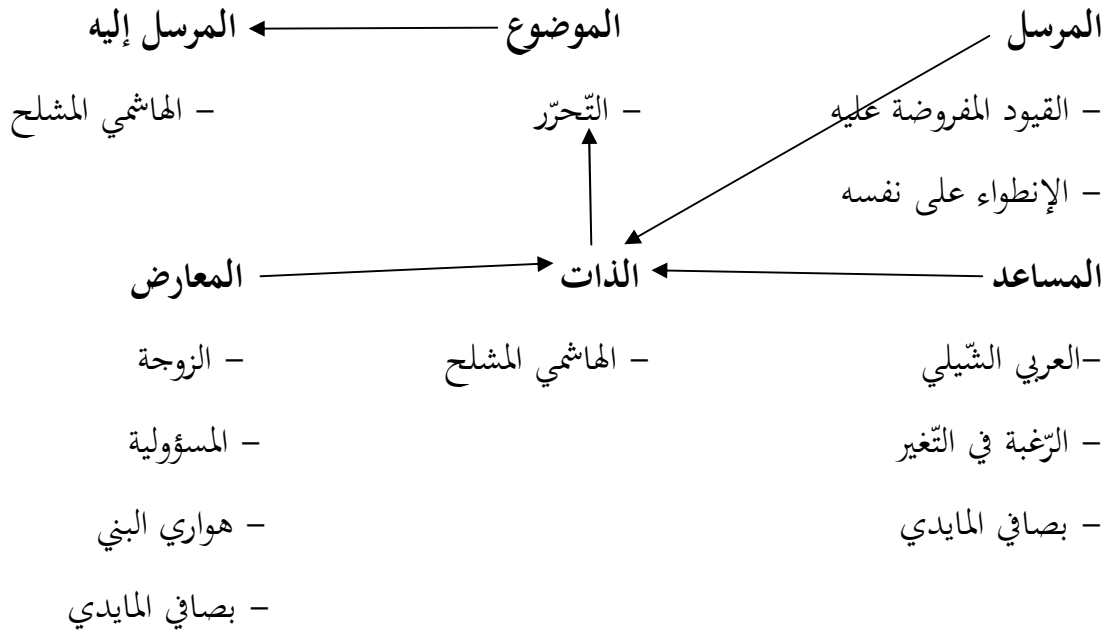

فالمرسل الذي كان عبارة عن دوافع وأهواء نفسيّة، يكمن دوره في ممارسة فعل التّحفيز لدفع الذّات التي تمثّلت في ممثل واحد هو "الهاشمي" نحو امتلاك موضوع القيمة الذي كان عبارة عن قيمة مجرّدة وهي التّحرر من قيود ورتابة الحياة التي فرضت نفسها على "الهاشمي"، ويمثّل هذا العامل

[1]– محمد مفلاح:رواية سفر السّالكين ، ص29.

بؤرة التّحولات التي قامت عليها الرّواية، أمّا المرسل إليه فهو ذلك المتلقي النّهائي لموضوع الرّغبة والمقوّم لفعل الممارسة، أو التّأويلي للنّتيجة المتحصّل عليها من قبل الذّات المنجزة.

لنأخذ مثالا آخر أين يتضاد فيه موضوع القيمة مع ما يناقضه (الثّبات/التّغيّر)، إذ يعود "الهاشمي" من تجواله في أرجاء الحي منكسر الجناحين مطأطأ الرّأس، ساخطا على حياته راغبا في التّغيير والتّمرّد على ما هو عليه من ثبات زرع في نفسه اضطرابات انحدرت به إلى التّفكير في الانتقام وملأت روحه بالحقد والكراهيّة والسّخط على من حوله، وللوقوف على هذا التّضاد لابدّ من استحضار جملة من التّحويلات التي رافقت مرحلة الإنجاز.

بناء على المعطيات السّابقة، وانطلاقا من المقابلة الأساسيّة، التي نقف عليها من خلال رغبة الهاشمي المشلّح في التّخلص من القيّود المحاصرة لحياته، والانتقال من الثّابت إلى اللاثابت، نأخذ السّيمين الكامنين وراء تجلي الشّخصيّة وقيامها بالأفعال المنوطة لها هما: الثّابت / المتحوّل التي سخرها الكاتب لتبيان خلفيات رجل كان يعيش في رتابة جعلته يتقوقع على نفسه غير راض على حياته، فقرّر التّحرّر والتّحول من ما هو عليه إلى حال أفضل.

إذ يمكن أن نمثّل مختلف القيم الدّلالية التي يقوم عليها كبنية عميقة، أثناء التّحليل في المربّع السّيميائي الآتي:[1]

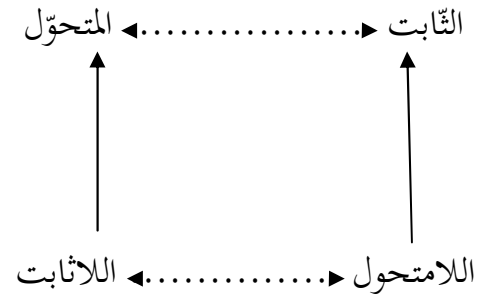

[1]- ابن مالك رشيد، مقدمة في السّيميائيّة السّردية، ص77.

إنّ الهاشمي بوصفه فاعلا يتبنى برنامجا يسعى من خلاله إلى الاتصال بالموضوع المرغوب فيه، ينفي من خلاله الثّابت بتغييره لبعض العادات التي أثقلت كاهله كالانضباط في توقيت الدّخول إلى المنزل، البقاء في المنزل يتصارع مع وحدته الموحشة، إضافة كسر بعض العادات كتناول الغداء خارج البيت دون التّفكير في ميزانيّة الشهر، فهو يملك على صعيد الجهات الثابتة (معرفة الفعل) متمثلة في هذه القدرة على إيجاد من خلال دخوله في علاقات مع أصدقاء والده مثل بصافي المايدي، بدأت بذور التّغيّر تظهر في حياته.

ومن هنا كان الثّابت عبارة عن مجموعات من الضّوابط والممنوعات المفروضة من قبل المسؤولية اتجاه العائلة، إذ تظهر تجلياتها من رد فعل العائلة العنيف اتجاه التّغيير الذي طرأ على الهاشمي المشلح.

ويمكن تمثيل مساره على النّحو الآتي:[1]

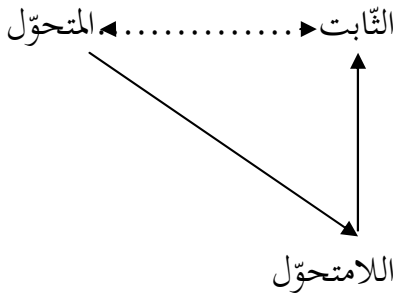

إنّ الهاشمي كان مدركا أن رغبته في التّحول ينجم عنها، اضطراب في الثّابت الذي هو العائلة، وهذا المتحول الذي يفرض الدخول في صراع مع من حوله ومع ذاته التي تتراجع عما تطمح إليه، نتيجة ذلك نقول أنّ المتحول هو العادات الثّابتة التي اكتسحت حياته والابتعاد عن النّاس، في حين يكون اللامتحول هو العائلة ومبادئه الثابتة.

[1]– ابن مالك رشيد، مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص78.

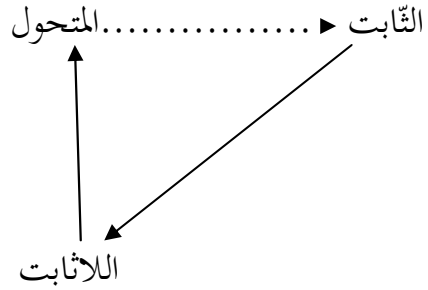

عمل الهاشمي على تغيير الثّابت في حياته، جاعلا منه لا ثابت، وهذا الثّابت نتج عنه المتحول الذي تمثّل في حياته الجديدة.

2- البرنامج السردي:

انطلاقا من تسليم مفاده أنّ الرّواية خاضعة لعدم الاستقرار واللاثبات، أي «توقعها دائما إلى عنصري الحركة والثّبات»[1] هو ما يمنح الشّخصيّة القدرة على تغيير مجرى الأحداث من خلال قيّامها بالإنجاز الذي يكون مرتهنا بملفوظات الفعل، التي يكون وجودها ليس إلاّ دليلا واضحا على عمليّة تحويل وتغيير مجرى ملفوظات الحالة، وهو ما يسميه غريماس(Geimas) (بالبرامج السّرديّة).[2]

حيث يقبل متن الرّواية تقطيعا يستند على تمفصلات حدثيّة، وأخرى تتعلّق بالأطراف الواجهة، وأخرى لها علاقة بالمكان والزّمان الذي تجري فيه الأحداث، فمعمر الجبلي مثلا كان ينقل المؤن إلى الصّحراء، فأخذت رحلته من الغرب إلى الجنوب مستجدّات غيّرت مساره المعتاد، حيث تعوّد على السّفر وحيدا مستأنسا بشاحنته الرّماديّة التي اعتادت على أن تتقاسم معه حمل حمولته النّفسيّة، لكن ما غيّر هذا المسار واقتحم وحدته، هو ركوب ساجية الشّاحنة بكلّ جرأة لم يعهدها التي قال عنها: « ثمّ ركبت إلى جانبي، لقد وجدت الدّفء في غرفة الشّاحنة. بدت ل في العشرين أو أقل ».[3]

---

[1]- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائية السّردية، الأمل للنّشر والطّباعة ، د.ط 2008 ص 54.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص54.

[3]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الاخيرة، ص13.

وقد شكّل إصرار ساجية على مرافقته دون تحديد وجهتها رغبة معرفة حكاية هذه الفتاة، خاصة أنّها لم ترغب في الإفصاح عن حقيقتها يظهر هذا من الحوار الذي دار بينهما:[1]

سألتها:

هل أنت وهرانية؟

هزّت كتفيها ولم تجبني، ثمّ أشارت إلى مقود الشّاحنة وقالت لي:

– ماذا تنتظر؟ تحرّك.

ثمّ أضافت بلا أدنى تردد:

– سيكون السّفر معك ممتعا.

يظهر من خلال هذا الحوار أنّها فتاة متعودة على السّفر مع الغرباء، دون أن تكترث لمخاطر ذلك وهو ما زاد في نفسه رغبة معمر معرفة السّر وراء ساجية، هذه الرّغبة التي عبّر عنها بمجموعة من الأسئلة الحواريّة بنوعيها الدّاخليّة مثل: «لماذا أنت معي الآن؟ ماذا تريدين منّي؟ انطقي.انطقي..مزقت أعصابي. لماذا أنت حزينة وتدخنين بعصبيّة وكأنّك سجينة؟ ألم تقترفي جرما ما في المدينة ثمّ لجأت إلى شاحنتي؟...أردت أن أقول لها كل هذا الكلام وأكثر»[2]، وأسئلة حواريّة خارجيّة كقوله: «إلى أين أنت ذاهبة يا سيدتي ؟... إلى أين أنت ذاهبة؟»[3] فتمكنت هذه الغريبة المغريّة بإدخاله في دوامة مع نفسه التي ترغب في معرفة حقيقتها.

وإذا نظرنا إلى هذا المقطع وحاولنا أن نقف على بنيته العامليّة فإنّه يتخذ الشّكل الآتي:

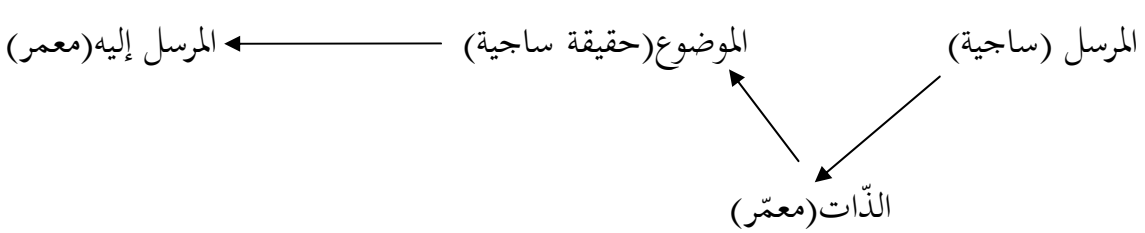

إذ ما يمكن ملاحظته من خلال هذا المخطّط أنّ هناك ممثل قام بأكثر من عامل:

[1]– محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الاخيرة، 14دار الكتب ، الجزائر، 2013.

[2]– المصدر نفسه ، ص23/22.

[3]– المصدر نفسه، ص25.

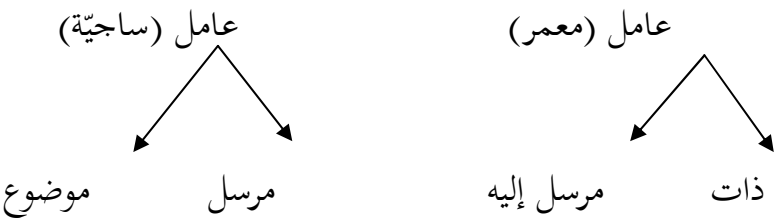

وبما أنّ النّص كما سبق الإشارة إلى ذلك في حركة دائمة من التّحولات والتّطورات، «فإنّ أي عامل قد يجد نفسه في أية لحظة موزعا على مواقع تركيبية بالغة التّنوع: قد يتحوّل من ذات إلى موضوع، وقد يتحول من ذات إلى مرسل »[1] حيث نجد معمّر الجبلي نتيجة لما كان يتخبّط فيه فقد السّيطرة على أعصابه، فأراد التّخلّص من حمل هذه الفتاة التي أثقلت تفكيره حيث قال «عذبني الصّمت الرّهيب الذي يشع في عينيها. أوقفت الشّاحنة ثمّ صرخت فيها بحنق:

أخرجي..أخرجي..»[2] حينها أصبحنا أمام برنامج سردي آخر مكثّف حيث تغيرت مواقع بعض العوامل كما يلي:

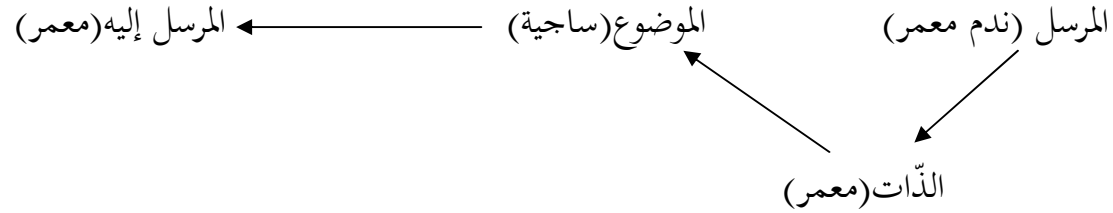

كان المرسل هو ندم معمر الجبلي على طرده لساجية في الظّلام الكالح، مما دفع به إلى البحث عنها وبذلك أصبحت ساجيّة هي موضوع القيمة، في حين كانت الذّات والمرسل إليه هو معمر الجبلي، الذي قال« حمدت الله الذي خلقني سليم القدمين. وواصلت الجري. نسيت الشّاحنة الرّماديّة وحمولتها. نسيت عمال الورشات.. ونسيت نفسي. أصبحت ضائعا، في ظرف جدّ قصير تغيرت. جرت عروقي دماء جديدة. ارتجفت خائفا عليها»[3] لكن لم يجدها في تلك اللّحظة إلاّ

[1]- بنكراد سعيد ، سيميولوجية الشّخصيّات السّردية، مجدلاوي الأردن ط 2003، ص176 /177.

[2] - محمد مفلاح،رواية هوامش الرّحلة الاخيرة، ص30.

[3]- المصدر نفسه، ص 38.

أنّها لم تفارق مخيلته إلاّ بعد عودته من الصّحراء، وتعرّف على حقيقة الفتاة الغامضة من النّادل "هواري".

انطلاقا مما سبق يكون البرنامج السّردي في هذا المقطع مستندا على ملفوظي الحالة، ملفوظ فصلي تقدمه بداية المقطع، وملفوظ وصلي تجسده نهاية المقطع، إذ يظهر الملفوظ الأول في دخول معمر الجبلي في دوامة مع نفسه تطرح أمامه جملة من الأسئلة تحيّره وتدفعه إلى معرفة لغز هذه الفتاة الجريئة التي مثّلت الجانب المظلم من المجتمع، حيث زرعت فيه مخاوفا كانت غريبة عنه، وكأنّ هذه الفتاة علامة على تدهور بعض القيم الاجتماعيّة، أراد الكاتب من خلالها لفت معمر الجبلي وأمثاله إلى ثقل مسؤوليتهم اتجاه أبنائهم التي لا تفيها الأموال.

كأنّ هذه الفتاة جعلت معمر في وصلة مع عالم كان بعيدا عنه بانتمائه إلى عالم ذكوري محض محققة بذلك حالة وصل نجسدها كالآتي:

(ذ ٨ م) على أن تكون الذّات هي معمر والموضوع هو المجتمع.

أمّا الملفوظ الوصلي فتجسّد في نهاية المقطع عند معرفته حقيقة هذه الفتاة من النّادل "هواري" الذي أخبره عن هوامش حياة هذه الفتاة، التي عرف معمر في الأخير أنّها ابنة صديقه حيث قال: «دهشت ....اكتشفت حقيقة لم أكن مستعدا لتصديقها. لم تعد ساجية لغزا محيرا. إنّها ابنة مهاجر لقي حتفه هناك، بعيدا عن روائح بلاده..»[1] وبالتّالي تخلّص معمر من حمل أثقل كاهله طول مدّة اختفاء هذه الفتاة.

في أمثلتنا السّـــابقة كانت لدينا ذات(معمر) في علاقة مع موضوع (معرفة حقيقة ساجية)، لكن سراعان ما توسعت بإدخال موضوع آخر مرتبط بالأول ويقتضيه، هو البحث عن ساجية التي اختفت بعد طردها معمر من شاحنته، وبذلك تضـــاعف موضـــوع القيمة إلى موضوعين يدوران حول ساجية التي انتقلت الذّات من وضعيّة البحث عن سرّهـــــا إلى البحث

[1]- محمد مفلاح،رواية هوامش الرّحلة الاخيرة، ص94.

عنهـــا، فنحصل عندئذ على:

(ف1∨م) و (ف2∨م)*.

(ف1∧م) و(ف2∨م)

يمكن للذات أن تكون شخصيّة واحدة، فمعمر كان في فصلة مع لغز ساجية (ملفوظ حالة)، ثمّ بعد حدوث فعل التّحويل (ملفوظ الفعل)، دخل في وصلة مع الموضوع(اللّغز)، لكنّه لم يتمكّن من تحقيق الوصلة مع موضوع ساجيّة التي كان يرغب في عودتها إليها، لكن تفاجأ أنّها رفضت الكلام معه وادعت أنّها لا تعرفه، حيث قالت «أنا لا أعرفك. وكيف أركب شاحنة لا أعرف صاحبها؟»[1] فانته إنجازه هنا بالفشل رغم أنّ معمر تمكن من إيجادها إلاّ أنّه لم يتمكن من تحقيق رغبته في الحديث معها.

هذا البرنامج السّردي المضاعف الذي أثرناه، يمكن تجسيده في شكله البسيط على النّحو الآتي:[2]

(ف1∨م) ⟵ (ف1∧م)

(ف2∧م) ⟵ (ف2∨م)

فإذا كانت الذّات في وصلة مع موضوع القيمة فإنّها تسعى إلى تحقيق الفصلة، وإذا كانت في فصلة عن موضوع القيمة فإنّها تسعى إلى تحقيق الوصلة.

وبما أنّ كل مقطع سردي يفضي بدوره إلى مقاطع سردية أخرى تخدم المقطع الرّئيسي، وتكون ناتجة عن الحالات والتّويلات التي تنجزها الذّات الفاعلة أو المنجزة، مولّدة بذلك رغبة جديدة في الاتّصال بموضوع آخر، ربّما لم يكن مرغوبا لولا تدخل هذه الذّات كعامل مرسل للقيّام بالموضوع

[1]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الاخيرة، ص94.

2- كورتيس جوزيف ، مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة والخطابية، تر: جمال حضري، الدّارالعربية للعلوم ناشرون ط1 2007.ص115.

*- ف: فاعل، م: موضوع القيمة، ∧: اتصال، ∨: انفصال

الذي يتطلّب بدوره مرسل إليه، إذ «تتبدى العلاقة مرسل /مرسل إليه بمفعولاتها في محور الرّغبة (فاعل/موضوع) على محور التّواصل:

مرسل ←——— موضوع ———→ مرسل إليه»[1]

وهو ما تمثّل لنا عبر الرّواية من خلال "معمر الجبلي" الذي كان راضيا بوحدته متعودا عليها صابرا، إلى كسرت ساجية هذه الوحدة بركوبها الشّاحنة وإصرارها على مرافقته.

إذ أثارت في نفسه الاستغراب وولدت اضطرابا في داخله، نجم عن جرأتها ووقاحتها يعكس صورة المجتمع التي آل إليها، فشعر بخوف شديد على عائلته وعلى ابنته، فأحسّ بعزلته عن المجتمع، وأصبح ساخطا على حياته يجسد ذلك قوله وهو يتحاور مع نفسه «أي داء أصابك يا معمر الجبلي؟ كنت هادئا مطمئنا فأصبحت تائها يطاردك القلق والخوف»[2] فازدادت حالته تأزما إلى أن قرر العودة إلى بيته والعيش بين أفراد عائلته، بعد أن تمكن من إيصال المؤن للعمّال.

وإذا أردنا اختزال مسارات الرّواية في نموذج عاملي عام اندرجت تحته بنى عامليّة أخرى محرّكة لسير الحبكة، فإنّنا نخرج بترسيمة عامة على الشّكل التّالي:

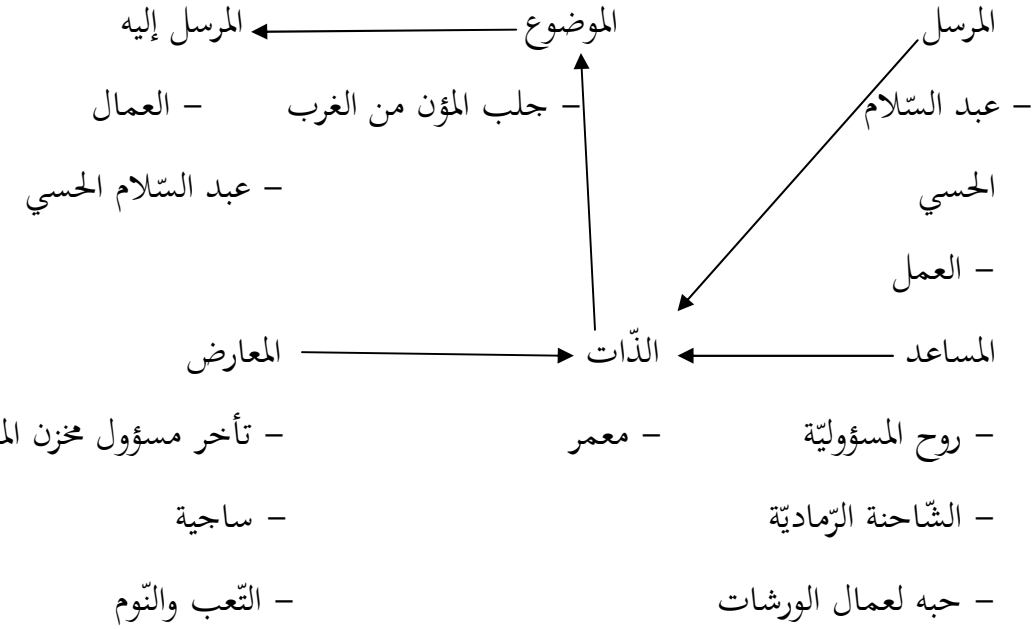

[1]– ابن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص32.

[2]–محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة ص46.

مما هو مألوف أنّ التّجربة الفنيّة تمتزج بالواقع قصد إثراء الموضوع المطروح وتعميق دلالته، لأنّ تحليل البنية العاملية «تهدف إلى الكشف عن الوضعيّة التّركيبيّة (syntaxique position) لكل واحد من العوامل الموزعة على المساحة النّصيّة»[1] والرّواية بمحمولاتها تطرح أمامنا نظاما عمليا موزّعا على مساحتها، كما أشرنا له سابقا في المخطّط، حيث يمارس المرسل فعل التّحريك على الذّات التي تستدعي اكتساب كفاءة وطاقة للإنجاز، إذ «يكتسب الفاعل، خلال المهمة التّأهيليّة، الكفاءة وطاقة الإنجاز التي تمكنه في المهمة الأساسيّة من تطويق دائرة الصّراع، تحقيق الموضوع وتعويض الافتقار، ويقوده نشاطه السّردي في النّهاية إلى المهمة التّمجيديّة التي يقع فيها التّعرّف على البطل وتقويم (sanction) مساره طبقا للالتزام الذي أخذه على نفسه.»[2]

يكلّف عبد السّلام الحسي معمر الجبلي بجلب المؤن من الغرب إلى الجنوب، كان تكليفه بهذه المهمة صادر عن ثقته فيه، وتأكده من كفاءته على القيام بالإنجاز، ذهب معمر بشاحنته الرّماديّة لشحن المؤّن، لكن لسوء حظه تأخر عنه مسؤول مخزن المؤن، الذي كان من العوامل المعارضة التي عملت على اعتراض سبيله، ثمّ بعد شحنه للمؤن وأثناء رجوعه اقتحمت شاحنته فتاة غريبة الأطوار (ساجيّة) التي كانت هي الأخرى من المعوقات التي دفعت به إلى التأخر خاصة أنّها تسببت له في اضطرابات نفسيّة انعكست على قدرته في مواصلة السّير، وأداء واجبه.

بناء على أنّ النّموذج العاملي عبارة عن «تركيب نسقي وسلسلة العلاقات المنتظمة»[3] وهذه العلاقات تنتظم كما سبق التّطرق لذلك في ثلاث محاور رئيسيّة، وهو ما سنحاول الكشف عن أغواره في رواية "هوامش الرّحلة الأخيرة" وذلك عبر تحقق الشّخصيّات كأدوار من خلال الأدوار المنوطة لها.

---

[1]- ابن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائيّة السّردية، ص31.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

[3]- شعث أحمد ، بناء الشّخصيّة في رواية "الحواف" لعزّت العزّاوي، مجلة جامعة الخليل للبحوث المجلّد (5) العدد (2) 2010 جامعة الأقصى غزّة فلسطين، ص13.

فمثلا يتمثّل المحور الأول في الدّور الآتي:

محور الرّغبة- - - - - - - - ذات / موضوع

(مسؤوليّة) معمر / جلب المؤن

أمّا المحور الثّاني ينظر إليه في وجود العلاقة الآتيّة:

محور الابلاغ أو التّواصل- - - - - - - مرسل / مرسل إليه

(مهمة / واجب) عبد السّلام الحسي/ العمل

والمحور الثّالث يتجسّد من خلال العلاقات التّاليّة:

محور الصّراع- - - - - - - معيق / مساعد

- ساجية / - روح المسؤولية

- التّعب والإرهاق (النّوم) / - الشّاحنة الرّماديّة

- الظّروف الطبيعيّة (الأمطار) / التّفكير في زملائه

- تأخر مسؤول مخزن المؤن.

3- مراحل البرنامج السّردي:

باعتبار أنّ الرّواية هي حسب ما توصلنا إليه عبارة عن متتاليّة من المقاطع السّردية، التي تكون فيما بينها علاقة ترابطية متعلّقة بالبنية الدّلاليّة العامّة للرّواية، ذلك أنّ "الملفوظ السّردي الأساسي يقوم على تحوّل بسيط من حال إلى حال، لكنّ هذا التّحوّل يستدعي بدوره سلسلة من التّحوّلات الموصولة بعضها ببعض بأسباب منطقيّة"[1]، وهذا التّحوّل يتجسّد من خلال ذات فاعلة، قد تكون كائن حيّ، أي شخصيّة تقوم بالفعل، والفعل يتطلّب عنصر الزّمنكاني المحيّن والمؤطّر لحركة الشّخصية وبالتّالي للعمليّة السّردية، فبمجرّد حدوث الفعل يحصل التّحوّل، وبما أنّ "المقطع السّردي يطلق على وحدة سرديّة كاملة مكوّنة من المناورة والإنجاز العملي للمشروع

[1]- العجيمي محمّد ، في الخطاب السّردي، ص72.

والجزاء"[1] هذا يعني أنّ المقطع السّردي يشكّل جزء من السّيرورة الكاملة للرّواية أو يمكن يشكّل رواية بأكملها، لأنّه مبني على مراحل يمكن أنّ تكفي وحدها لتكون رواية وهذه المراحل يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- التّحريك

2- الكفاءة

3- الإنجاز

4- الجزاء

لقد ارتكز تحليلنا في تحديد البرنامج السّردي على العلاقة الرّابطة بين الذّات والموضوع كحلقة أساسيّة في الحكي، لكن الذي يجب الإشارة إليه أنّ لتحقيق البرنامج السّردي لابدّ من مراحل، التي تعدّ«الوحدة الجوهريّة والنّقطة المركزيّة لكلّ تحليل سردي»[2] إذ توجد أربع مراحل وهي:

1- التّحريك Manipulation:

بما أنّ التّحريك هو عبارة عن عمليّة دفع إلى التّغيير، بناء على ذلك فإنّ المرسل إليه يقوم بإقناع المرسل باحتضان الموضوع يعدّ عمليّة الإقناع يبادر المرسل باختبار ذات تقوم بالإنجاز، وهذه الذّات تخضع لاختبار الكفاءة أي «الرّغبة في الفعل والشّعور بوجوب فعله مع اكتساب القدرة على ذلك»[3] وبعد تأكّد المرسل من توفّر مؤهلات الكفاءة في الذّات، تقبل الذّات على العمل أي«السّعي إلى تحقيق الموضوع ونقل الكيان من حال إلى حال»[4] من أجل تحقيق الهدف الذي يكون بالإتّصال بموضوع القيمة أو الانفصال على حسب خصوصية الرّواية، وبعد عمليّة الإنجاز

[1]- العجيمي محمّد ، في الخطاب السّردي ،ص72.

[2]- بوشفرة نادية ، مباحث في السيميائية السّردية، ص58.

[3]- العجيمي محمد ، في الخطاب السّردي،ص72

[4] المرجع نفسه، ص72.

يأتي دور الجزاء وهو مرحلة نهائية في المقطع، حيث فيه يتمّ تقييم عمل الذّات والحكم عليه إمّا بالنّجاح أو الفشل .

تظهر في الرّواية عناصر محرّكة للفعل، ساعدت معمر على العمل على الاتّصال بموضوع القيمة، وللقيام بالإنجاز، ذلك أنّ علاقة الانفصال بين الذّات (معمر) والموضوع (إيصال المؤن) تستلزم خلق عمليّة التّحريك التي تدفع بالذّات الفاعلة إلى العمل على الاتّصال بالموضوع بعد توكيلها المهمة من طرف المرسل إليه.

ومن العوامل المحرّكة وراء معمر هو العمل، ورغبته في أداء واجبه على أكمل وجه، ونظرا لاكتسابه القدرة على القيام بتلك المهمة الموكلة إليه، إذ تمثّلت كفاءته في قدرته على تحمل مشقة السّفر، وشجاعته وروحه المناضلة في سبيل الوطن وخدمته، إضافة إلى امتلاكه مهارة القيّادة وتحمل مشقة الطّريق، نتيجة لذلك كله يدخل الفاعل في دوامة صراع بين تنفيذه لمشروعه الذي يحقق له راحته من جهة وعدم الرّاحة من جهة أخرى، نستخلص كل ذلك في رسم توضيحي:

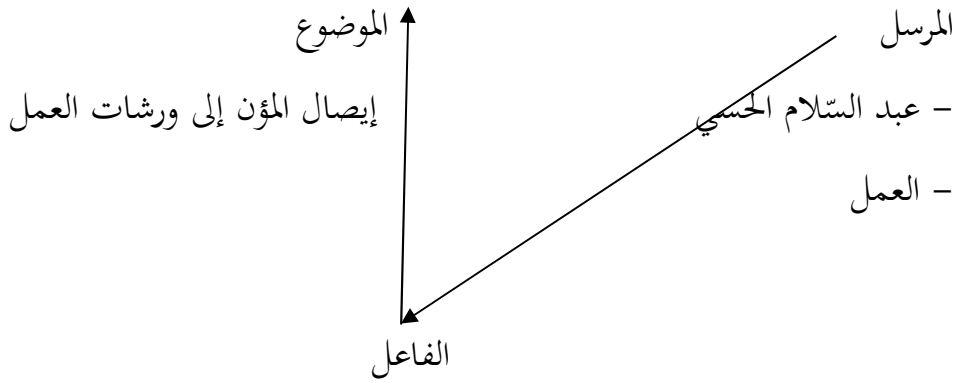

بينما كان الهاشمي يعيش في دوامة من القيود التي فرضتها عليه متطلبات العائلة، وكذا الوظيفة التي قال عنها .....رغم عدم رضاه عن حياته إلاّ أنّه لم يحاول تغيير حياته، لكن تعرضه لحادث مشؤوم تسبب في تشويه خدّه الأيسر وبتر أذنه اليسرى، فجعله سخرية للجميع ممّا ولّد في نفسه عقدا نفسيّة، وحقدا على زملائه الذين لم يزوروه أثناء مرضه.

فكانت هذه الأسباب كافية لجعله يحيل نفسه على التّقاعد رغم رفض عائلته لهذا القرار، لكن هذا لم يكن كافيا للشعور بالرّضا، خاصة أنّ جيرانه ابتعدوا عنه بسبب عدم قدرته على تلبية مطالبهم التي انتهت بمجرّد إحالته على التّقاعد، فبدأ الهاشمي ينفرد بنفسه ويبتعد عن مخالطة النّاس، لكن هذه الحالة بدأت تندثر تدريجيا بمجرّد دخول ذات محرّكة تمثلت في "بصافي المايدي" فكسر على إثرها بعض العادات التي نجم عنها مشاكل أخرى مست عائلته كعدم رضا الزّوجة بتغيره وكذا بناته. يمكن اختزال كلّ ذلك في المخطّط التّالي:

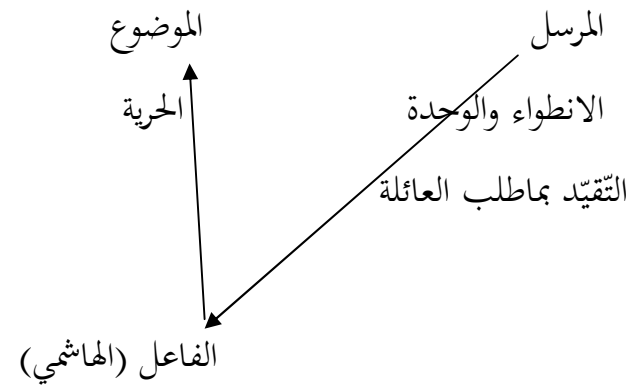

وما نلاحظه على كلتا الشّخصيتين معمر / الهاشمي، أنّ تحقيق الرّغبة يعقبها خسارة الرّاحة من جهة أخرى، فمعمر تعرّض إلى أزمة نفسيّة حادّة أحيل على إثرها إلى التّقاعد، وتخلّص من العالم الذّكوري الذي خيّم على حياته، لولا دخول ساجية.

أمّا الهاشمي فإنّه واجه اضطرابات كثيرة في حياته منها سخط زوجته على التّغيير المفاجئ الذي اضطلع به من خلال كسر كلّ العادات القديمة التي تعودت عليها عائلته.

بناء على سبق يمكن تصوير العلاقات التي عبرت عنها هذه التّحولات من خلال الشّكل الآتي:

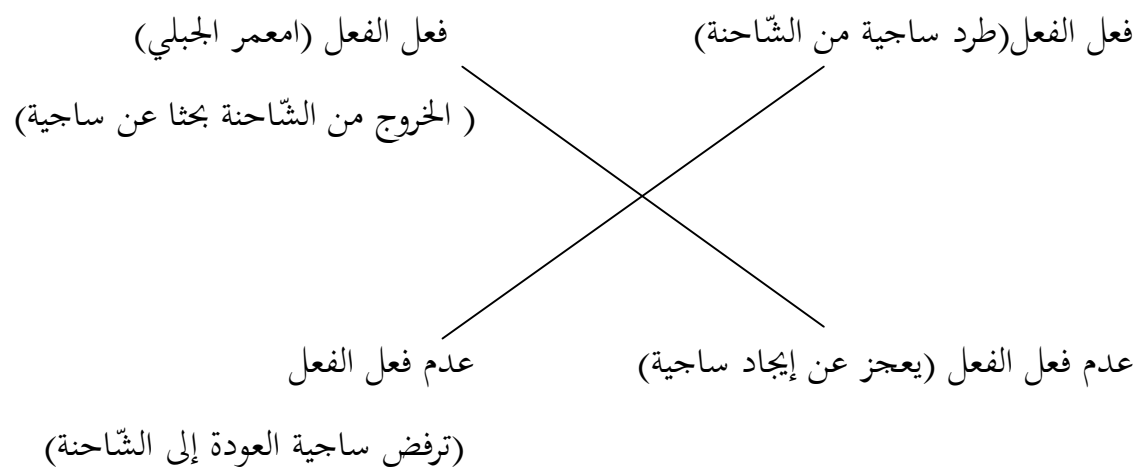

بعد أن قام بطرد ساجية من الشّاحنة والإلقاء بها خارجا رغم الظّلام الذي كان يخيّم على المنطقة، ثمّ فجأة شعر بالخوف عليها والنّدم على فعلته ، فهمّ باحثا عنها لكنّه لم يجدها، فبقيت ساجية ومصيرها في ذلك الظّلام يحيّره ويضغط على أعصابه.

لكنّه عندما عاد إلى المكان الذي ركبت معه في الشّاحنة، أخبره النّادل عن حقيقة ساجيّة، فتعجّب من كذبها عليه، فانخدع بكلامها الذي كان ظاهرا ظنا منه أنّه مطابق للكينونة(etre)، لذلك وضعها مباشرة في وضعيّة صادقة:[1]

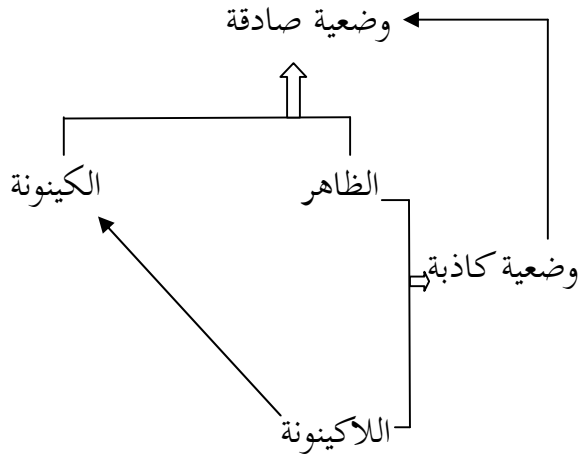

لكن بعد أن اتضحت له الرّؤية وعلم بكذبها جعلها في وضعية كاذبة.

وهذه الوضعية تأخذ الشّكل الآتي:

[1]- ابن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائية السّردية ص84.

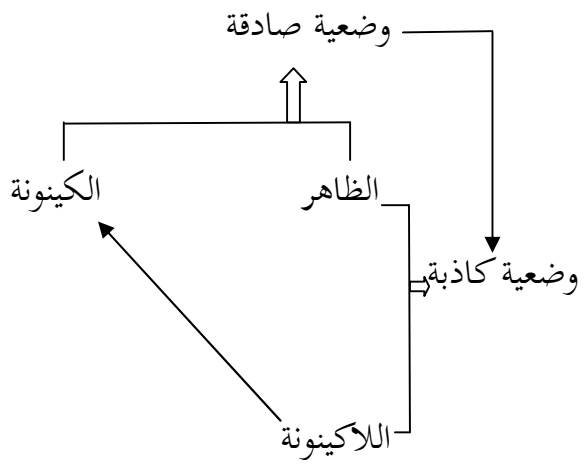

تجسدت هذه اللّحظات السّردية من الأداءات التي قامت بها الذّوات، وهي قائمة على القول، إمكانية تصديقه، لكن رغم ذلك فقد انتهى الإنجاز بالنّجاح حيث تمكن معمر من الاتّصال بحقيقة ساجية.

2- الكفاءة: compétence

قدمت شخصيّة معمر في الرّواية على أنّها ذات كفء قادرة على القيّام بالمهمة المنوطة إليها «فلكي تحقق الذّات إنجازها، عليها أن تمتلك بشكل سابق الأهليّة الضّروريّة لذلك، وبهذا يمكن النّظر إلى الأهليّة باعتبارها الشّروط الضّروريّة السّابقة عن العمل المؤدي إلى امتلاك موضوع ما»[1].

وما جعله شخصيّة (معمر الجبلي) ذات كفاءة هو قوة شخصيّتها وحبه للمغامر « أعشق السّفر في الطّرقات المقفرة»[2] هذا يدلّ على أنّه ذو قلب صلب يقوى على تحمل المتاعب، لهذه الأسباب أوكله رئيس القطاع بالمهمّة.

إذ بعد الاختبار التأهيلي، يوجه المرسل (عبد السّلام الحسي) أمرا إلى المرسل إليه (معمر الجبلي) بإنجازه مهمة «كنت منشغلا بالمهمة التي كلفت بها»[3] هذه المهمة التي مرّت بمقاطع، تبدأ بركوب ساجية الشّاحنة فتاة متهورة تحب السّفر في الشّاحنات، لم تكن المرّة الأولى التي تركب فيها

[1]- بنكراد سعيد مدخل إلى السّيميائيّات السّردية ، ص59 / 60.

[2]-محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة ص51.

[3]- المصدر نفسه ص 66.

شاحنة نلمس ذلك عبر هدوءها ولامبالاتها يظهر ذلك من الحوار الذي دار بينها وبين معمر: «إلى أين أنت ذاهبة؟

همست ساجية وهي تجذب طرف الفراش الصّوفي:

– إلى حيث أنت مسافر.»[1] كلّ هذا يبرز مدى تهوّر هذه الفتاة وعم اهتمامها بما قد يصيبها في هذه الشّاحنة مع رجل غريب، الأمر الذي جعل معمر الجبلي يفكر في عائلته وابنته التي يجهل طبيعة حياتها، فكانت ساجيّة علامة على مجتمع مثقل بمشاكل ومغريات تشكل خطرا على العائلة، فأيضت فيه روح المسؤوليّة اتجاه زوجته وابنته.

إنّ دخول ساجية لم يتوقف عند حدود السّفر فحسب بل كانت لها هوامش أخرى تسببت في تأخره عن إنتمام المهمة، إضافة إلى تدهور حالته النّفسيّة حيث أصبح رجلا مضطربا، نتيجة ما تسببت فيه له من حيرة وقلق.

إذ قال عنها «ساجية فتاة خطرة.. قد أكون مخطئا في حقها ولكنّها غريبة. لقد فرضت علي نفسها فرضا. شعرت بالحيرة»[2] فقد وخلقت نوعا من التّناقض في مشاعره التي تراوحت بين الشّفقة والأبوة وبين الرّغبة في امتلاكها لأنّها شكلت لديه عنصر إغراء وإن لم ظاهرا «الرّغبة المبحوحة في داخلي تحترق، تحترق. من رماها في دربي الوعر؟»[3] يظهر من سؤاله أنّه اكتسب مشاعر اتجاهها، إذ يظهر أنّه خائف عليها حتّى من نفسه لكن، شدّة الضّغط النّفسي الذي أصبحت تسببه له، انعل وطردها، لكنّه سرعان ما ندم، وبدأ بالبحث عنها.

ونجد شخصيّة الهاشمي المشلّح التي وقف وراء دفعها عامل مرسل تمثّل في انطوائه على نفسه، ونظرات زوجته المملوءة باللّوم والعتاب، وبما أنّه كان قادرا على تغيير هذه الحالة بما يملكه من بعد النّظر وإصرار على تخطي ما هو فيه، والاتّصال بموضوع القيمة الذي تمثّل في البحث عن الذّات أي إيجاد الطّمأنينة والرّاحة.

---

[1]– محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة ص25.

[2]– المصدر نفسه ،ص22.

[3]– المصدر نفسه ص16.

إنّ ذات الهاشمي تتمتع بقدرات تطمح بهـا إلى تحقيق غايتها، وتمثلت كفاءة البطل في الرّغبة" والقدرة على تحمّل ما ينتج عن تغيّره من اضطرابات، فالكفاءة هنا هي إحساس داخلي عميق مملوء بالتّحدي والرّغبة في التّمرّد على الواقع، كل هذا شكّل عاملا مرسلا دفع بالهاشمي إلى الرّغبة في اكتساب موضوع القيمة الذي كان ممثلا في التّخلص من الوحدة التي أصبحت تهدد نفسه المضطربة، هذه الوحدة تسبّب فيها كرهه للنّاس بما فيهم زملائه الذين تخلو عنه وقت الحاجة (عندما تعرّض للحادث المشؤوم).

إنّ كفاءة الهاشمي لا تتحقق إلا من خلال ما يضطلع به من عوالم موازيّة التي يضعها لنفسه، والتي بدأت تتجسّد منذ تواجده في مقهى "السّعادة" منذ اقتحام وحدته "بصافي المايدي" الذي بعث في نفسه نوعا من الحماسة والشّجاعة على خوض زمام الأمور، وقلب موازين عاداته والتّمرد على عاداته رغم ما سيتلقاه من سهام المواجهة من طرف زوجته وبناته، التي تشكل في المقابل عوامل معارضة تعمل على إبطال مساره، إلاّ أنّه لم يتخلّ كذات فاعلة عن رغبته في الاتّصال بموضوع القيمة.

الإنجاز:

هو عبارة عن عمليّة يتمّ بموجبها تغيير ذات الحالة من ملفوظ وصلي إلى ملفوظ فصلي عن الموضوع، ويمكن القول عنه أنّه تحوّل يشترط عاملا منجزا للتّحوّل يحقق الوصل أو الفصل، يسمى ذات فاعلة (sujet opérateur).

وهذا الإنجاز يتطلّب بدوره قدرة كفاءة تخول الذّات الفاعلة على الإنجاز، وتحريك موجه نحوها من عامل (المرسل) الذي «يكمن دوره في ممارسة فعل التّحفيز لدفع الذّات نحو تحقيق موضوع الرّغبة»[1] الذي يعمل على تهيئة الذّات للقيام بالفعل إمّا بالإقناع أو الأمر أو الطّلب حسب ما تتطلبه خصوصيّة الحكي.

1- أونيس كمال النّموذج العاملي في رواية "مذنبون لون دمهم في كفي " مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة عربية نقد أدبي 2012 /2013. ،ص45.

لقد أعطى بريمون مثالا توضيحيا يتضمّن مراحل القيام بالمهمة (الإنجاز) وما يتطلبه من أدوات وإجراءات تتمثل في المخطط التّالي:[1]

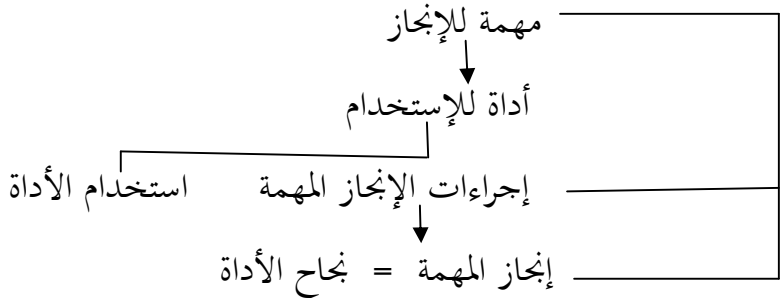

يستخلص في هذا المخطط كلّ المراحل التي تضطلع بها الذات للقيّام بالإنجاز.

لكن هذا الإنجاز لا يكون هكذا بشكل أفقي مباشر، وإنّما يتطلّب إعداد يكون من خلال مجموعة من العمليّات تضطلع بها الذّات الفاعلة أو توجه لها من عوامل عديدة تسهم في عرقلة مسارها وخلق مستويات جديدة تتم عبر جملة من التّحويلات للوصول إلى إنجاز التّحول المركزي.

لقد تضمنت الرّواية عدّة أداءات سرديّة من خلال البرامج السّرديّة المستخرجة، ومن البرامج نأخذ مثلا: «كنت أنتظره لمساعدتي في العودة إلى بيتي»[2]

استعملها للدّلالة على رغبته في الحصول على موضوع القيمة من عامل مساعد تمثّل في ممثل (عبد السّلام الحسي)، فكان البرنامج قائما على ملفوظ حالة(Enoncé d'état) في شكل فصلي، لأنّ الهاشمي كان يرغب في الاتّصال بالموضوع، الذي يستدعي ملفوظ فعل(Enoncé de faire) حتّى يتمّ الإنجاز، ونمثّل ذلك في الشّكل التّالي:

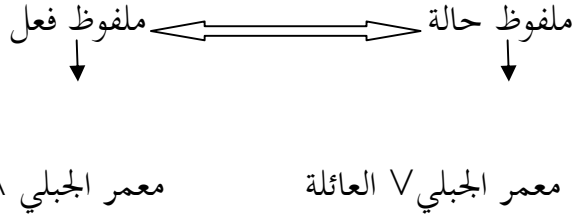

1- شلوميت ريمون كنعان، التّخييل القصصي في الشّعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع الدّار البيضاء ط1 1995، ص42.

2-محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، ص72.

عبّر معمّر الجبلي عن رغبته الشّديدة في الاتّصال بالعائلة كموضوع قيمة، كان الدّافع من وراء ذلك ما لقيه من متاعب في رحلته أثقلت كاهله، فرغب في الحصول على الدفء العائلي والإحساس بالهدوء.

وأيضا ما زرعته في نفسه ساجية من مخاوف على ابنته وزوجته في زمن ثائر جريء، فعمل على تحقيق رغبته رغم ما واجهه من عوامل ضديدة (عبد السّلام الحسي) مقابل عوامل أخرى ساندته على الاتصال بالموضوع ممثل: رزقي السّائق، ناصر النّقابي، شريف الميكانيكي، المرض...، ويمكن اختزال كلّ ذلك في المخطط الآتي:

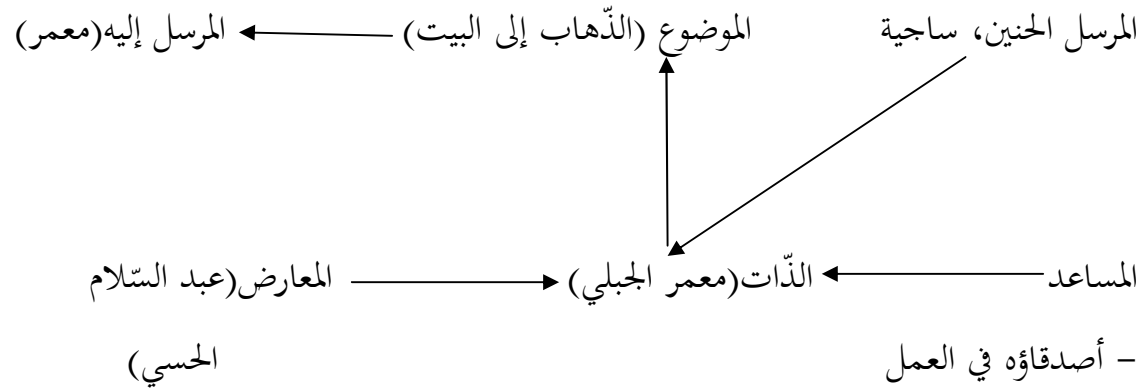

وبعد صراع ومواجهة تمكن معمر من تحقيق رغبته في الاتصال بموضوع القيمة، يظر ذلك من خلال الحوار الآتي:

«قلت له:

– أحلت إلى التّقاعد.

فقال لي سيد الحاج:

لكل شيء نهاية..هذه سنّة اللّه في خلقه.»[1] وبالتّالي استطاع العودة إلى عائلته، وفي أثناء سفره فقد حقيبته التي رافقت في سفراته، يدل ذلك أنّ هذه الرّحلة هي الأخيرة، كما تشير إلى قطع الصّلة بينه وبين الماضي المتعب.

نأخذ مجموعة من الإنجازات تمت بناء على العبارة التّالية: «**الرّجل الذي فاته القطار**»[2] تتعلّق هذه العبارة بالمتقاعد "عيسى الجبي".

كان موظفا ساميا في مؤسسات ووزارات، حيث قضى فيها ثلاثين سنة في العاصمة، وبعد إحالته على التّقاعد، قرّر العودة إلى المدينة، خاصة أنّ انفصاله عن زوجته حسيبة وتخلي ابنته سهام عنه، نتيجة تحطّم حلمه في الحصول على وظيفة الوزير التي اقترب منها لولا حسد زملائه ومكائدهم إذ روي عنه: « الذين كتبوا ضدّه التّقارير المخجلة، واتهموه بتلقي الرّشاوي، واختلاس أموال صندوق الإعلانات»[3]

لكن عندما عاد إلى الحي تفاجأ بتصرّفات الجيران وعدوانيتهم، إذ يقال عنه: «بعد تقاعده، انقلبت عليه الحياة وأخرجت له أنيابها الصّدئة ونهشته بلا شفقة، مزقت الوساوس قلبه الذي كان حقلا للأحلام الصبيانيّة»[4] وما زاد حالته تأزما هو التّفكير فيما بدر من زوجته وابنته.

كان سكان الحي يسخرون من تألقه الدّائم وطريقة مشيته، وحتى من كلامه، هذا السّلوك الذي حيّره ولم يعرف سبب ذلك، حيث أنّ سكان الحي طلبوا منه تغيير بعض الأشياء كرغبتهم في التّخلي عن الأناقة، والزّواج مرّة ثانيّة.

إضافة أنّهم كانوا يرفضون إقامته أي مشروع يحقق من خلاله طموحه، لأنّ الغيرة كانت تسيطر على تفكيرهم، خاصة جعفر النّوري العقاقيري العدواني بطبعه الذي كان يتتبع كلّ جديد، وكان يوجه له الكلام القاسي كلّما سمحت له الفرصة، وكانت يحتقره ولا يعترف بنجاحاته.

---

[1]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، ص99.

[2]- محمد مفلاح، رواية همس الرّمادي ص4.

[3]- المصدر نفسه، ص7.

[4]- المصدر نفسه ص 7.

ونلخص مواضيع القيمة التي كانت أمام الجبي كونه ذات ترغب فيما يلي:

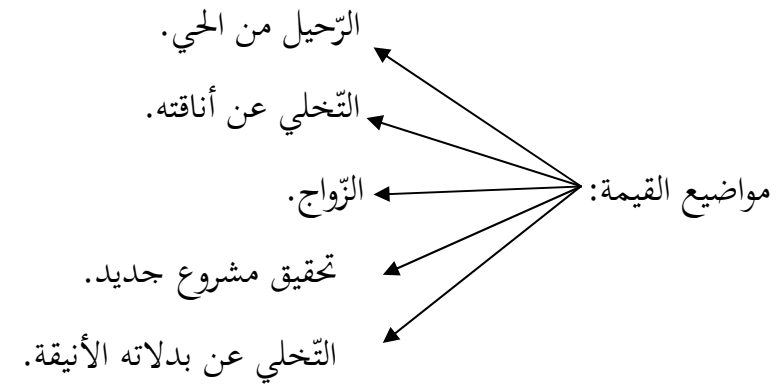

لقد مثَّل سكان الحي خاصة منهم العقاقيري، عدّة مواضيع القيمة، فكانوا يمثّلون عامل المرسل الذي يدفع الذّات إلى التّغيير، لكن الذّات الفاعلة (الجبي) عملت معاكس لاتّجاه الموضوع، ليس مع كل المواضيع مثلا: موضوع القيمة المتمثّل في تحقيق مشروع جديد كان يرغب في تحقيقه.

لكن رغم محاولاته إلاّ أنّه لم يتمكّن من الاتصال بالموضوع نتيجة العوامل الضّديدة التي كانت في وجهه تؤول دون تحقيق حلمه.

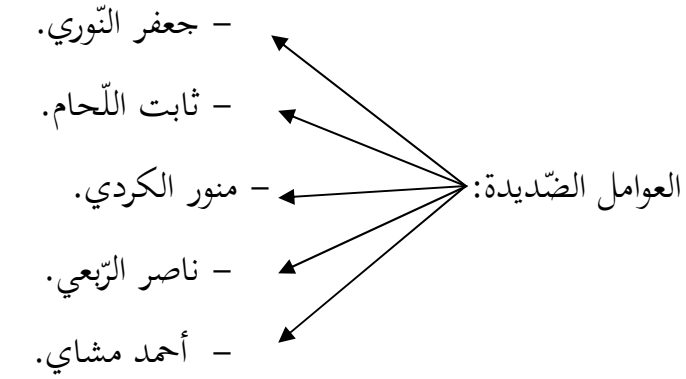

كثيرا ما رغب عيسى الجبي في فتح حزب جديد يعبّر من خلاله عن ميولاته ويجسّد أفكاره، ويتخلّص من احتقار سكان الحي وافتزازاتهم، وخاصة من عبارة "الرّجل الذي فاته القطار" التي كانت تشعره بالاضطراب والغضب، رغم تلقي بعض المساندة من حي الفرسان « حتّى حي

الفرسان لم يعد قادرا على تحمّل تفاهاتهم المخجلة»[1]فظهر أنّه ليس الوحيد الذي كان يرى تدني مستواهم، ويحكم عليهم بالنّفاهة.

ومن بين المساندين له السّارد الذي قال: «وهل فاته القطار حقا؟

الأغبياء ..الأغبياء... المساكين لا يعلمون شيئا»[2]

نلخص العوامل المساعدة فيما يلي:

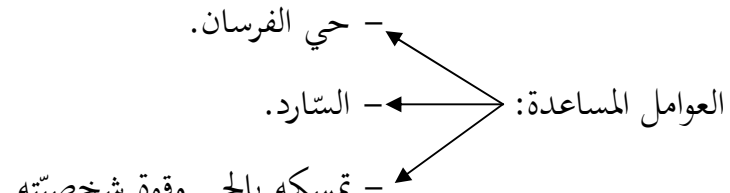

أمّا العوامل التي شكلت مرسلا فنحدّدها فيما يلي:

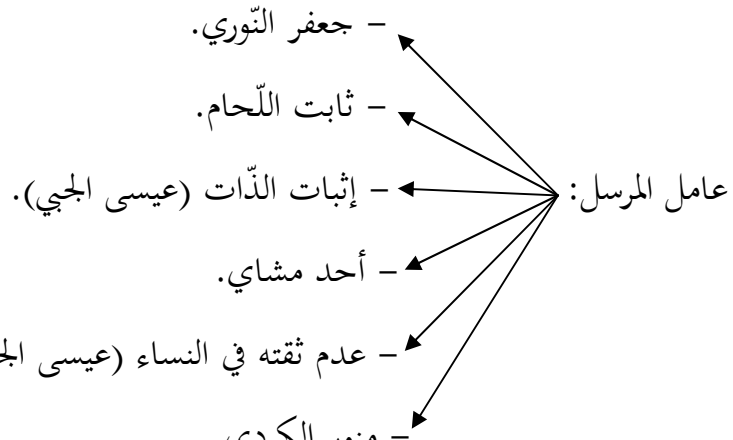

كان سكان الحي يعبرون بصريح العبارة عن رغبتهم في رحيله من الحارة لكنّه تمسّك بالحي ورفض تحقيق رغبتهم، رغم ما تعرّض إليه من سوء معاملة إلاّ أنّ لم يستسلم، فقد كان يرغب في تجديد حياته العمليّة لأنّه كان يحسّ بالرّكود والتّهميش، فرغم ما واجهه من عوامل ضديدة إلاّ أنّه استطاع إيجاد عمل لنفسه، الأمر الذي حيّر به سكان الحي الذين صرّحوا قائلين: « يا

[1]– محمد مفلاح، رواية همس الرّمادي، ص8.

[2]– المصدر نفسه ص 8.

للفظيحة...الإطار السّامي تحوّل إلى سائق في خدمة الصّينيين»[1] وكأنّه يرغب في إظهار لسّكان الحي أنّه لم يفته القطار، وأنّه قادر على بذل الجهد والعمل.

أمّا عن زواجه فرغم أنّ كان يرفض بشدّة «رفض أن يربط مصيره بأي امرأة»[2]، إلاّ أنّه في الأخير ارتبط بميمونة التي رأى فيها الزّوجة الهادئة التي تهتم به.

أمّا بالنّسبة إلى الرّحيل من الحي، ونظرا للكارثة التي نزلت على الحي، قرّر أخذ زوجته والعودة إلى العاصمة.

نختزل كل العوامل السّابقة في مخطط عام يجمعهم:

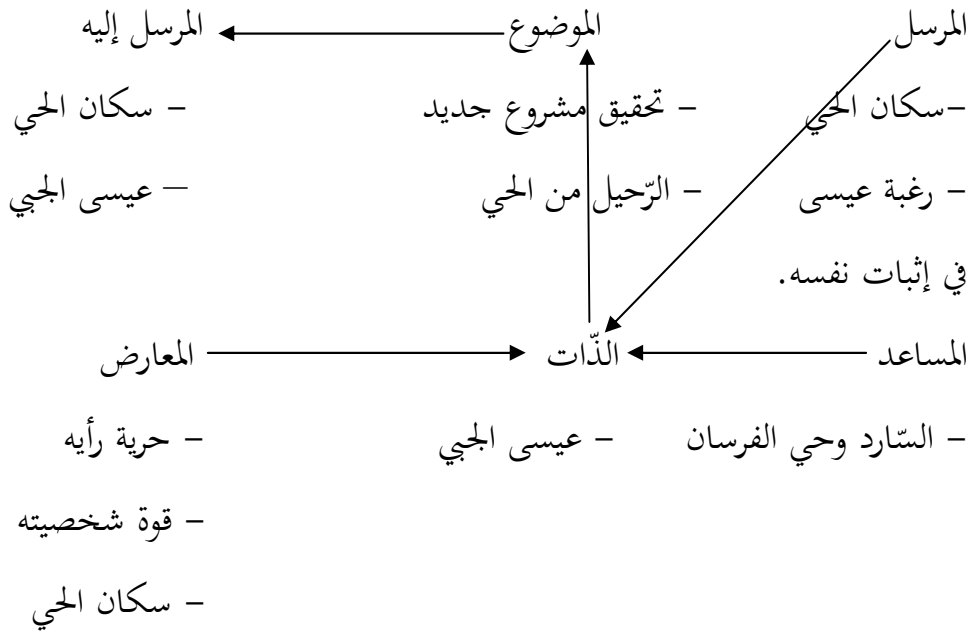

لقد كانت هذه البرامج التي يعبّر عنها النّموذج العاملي السّابق متناقضة، فهناك مواضيع كان يرغب فيها عيسى الجبي، أخرى كان يرغب عنها، وقد أسهمت اللّغة المعبر بها عن المواقف، كقيمة مبادرة، في تحريك الأحداث واستجلاء الكوامن لكلّ شخصيّة.

ويمكن تصوير العلاقات التي عبرت عنها هذه التّحولات من خلال الشّكل الآتي:

[1]- محمد مفلاح، رواية همس الرّمادي ، ص 90.

[2]- المصدر نفسه ص 9.

فعل الفعل(التّدخل بغرض التّهديد) فعل الفعل (العمل من أجل النّجاح)

يهدد جعفر النّوري يتخذ الجبي بعض الأساليب للحفاظ على صموده

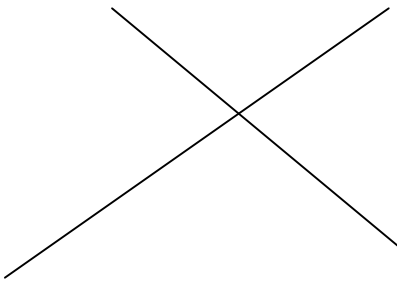

عدم فعل الفعل(عدم فعل الفعل) عدم فعل الفعل (الاتدخل)

يعجز الجبي عن البقاء في الحي وعدم الزّواج يرفض الاستسلام لتهديد النوري

التّقويم:

تقويم الإنجازات في الرّواية كان صريحا مجسّدا من خلال عدم رضا المسؤول "عبد السّلام الحسي" عن تأخر معمّر في جلب المؤن، ويظهر ذلك من خلال انفعاله الحوار الذي دار بينهما:

«تقلصت قسمات وجه عبد السّلام الحسي الأمرد ثمّ سألني بصوت خافت:

- أين كنت؟

أجبته ببرودة:

- كنت منشغلا بالمهمّة التي كلّفت بها.

جلس عبد السّلام الحسي على حافة سريره وقال لي:

تأخرت عن الموعد المحدّد في الأمر بالمهمّة.

- أعلم ذلك.

ستمتثل أمام لجنة الانضباط.»[1] يدلّ هذا الحوار على العمليّة التّقييميّة للإنجاز الذي قام به معمر الجبلي.

في حين تقويم معمّر (العامل/ الممثل) لإنجازاته من خلال قوله: «نجوت من الصّحراء المخيفة»[2]

[1]- محمد مفلاح، رواية هوامش الرّحلة الأخيرة، ص66.

[2]-المصدر نفسه، ص102.

فهو راض على إنجازه الذي مكنه من التّخلص مشقة الصّحراء وغربتها.

– الشّخصيّة من الدّور العاملي إلى الدّور التيمي:

للولوج في تفسير هذه الوجهة لابدّ من التّذكير أنّ النّص «يتشكّل من مجموعة من الوحدات المحدّدة والدّالة التي تجعلها بمثابة علامة»[1]

انطلاقا من فكرة أنّ الشّخصيّة تتمظهر من خلال مستويين فهي «تدخل في علاقات مع وحدات من مستوى أدنى (بنية الممثلين) أو وحدات من مستوى أعلى (بنية العوامل) »[2]، ففيما يخص مستوى الممثلين فإنّ التّحليل يقف عند حدود المعطيات النّصيّة، أي على ما تمنحه لنا البنية السّطحيّة للنّص السّردي، عبر مايحقّقه هذا الأخير في الملفوظات السّرديّة المتتاليّة ضمن البرامج السّرديّة النّاتجة عن حالات التّحوّل والتّحويلات التي تسهم فيها الذّوات بما تجريه من أفعال تحرّك عجلة السّرد.

وفي ضوء ذلك سنحاول استقراء صور توزّع العاملين والممثلين في رواية "سفر السّالكين" ورواية "هوامش الرّحلة الأخيرة" قصد ملء الهويّة السّيميائيّة لشخصيّاتهم، بالاعتماد على مختلف المحمولات السّرديّة المحايثة التي تمنحنا إيّاها صيرورة النّص، خاصّة أنّ «إستراتيجية توزيع هذه المحمولات لا [تقلّ] أهميّة عن دورها وفاعليّتها في إنتاجيّة المستوى الدّلالي»[3]

تأخذ الشّخصيّة شكل ممثل في المستوى الخطابي، وهي تتمظهر نتيجة إجراءات، إذ «تتجلى هذه الإجراءات من خلال ثلاث مستويات، هناك أولا المستوى الخاص بخلق الممثل، أي الانتقال من العامل كمقولة مجرّدة إلى الممثل كوحدة مشخصة، وهناك ثانيا المستوى الخاص بالتّزمين، وهو

---

[1]– عيلان عمر ، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ط1 2008.ص 27.

– بونشادة نبيلة ، الشّخصيّة من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرّد في رواية "غدا يوم جديد" لعبد االحميد بن هدوقة، ص 111.[2]

[3]– المرجع نفسه ص112.

المستوى الذي يمنح الخطاب خاصيته الزّمنيّة، وهناك في الأخير المستوى الخاص بالتّفضيء»[1] نعني بهذا الانتقال من العمليات إلى التّشخيص الذي يتمذ عبر عمليّة القلب.

أمّا عن الرّوايات فقد كانت تتميّز بالتّمظهر العاملي الذي تحوّل إلى عناصر ممثلة، إذ إنّ العلاقة الرّابطة بين العامل والممثل علاقة مزدوجة فالعامل الواحد (ع) قد يظهر عبر ممثلين متعددين مثال ذلك:

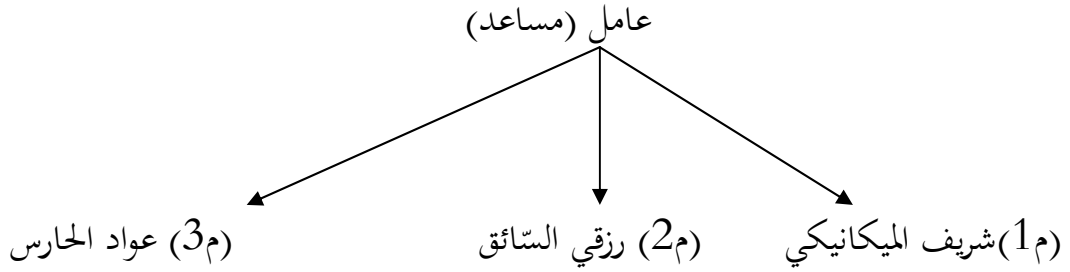

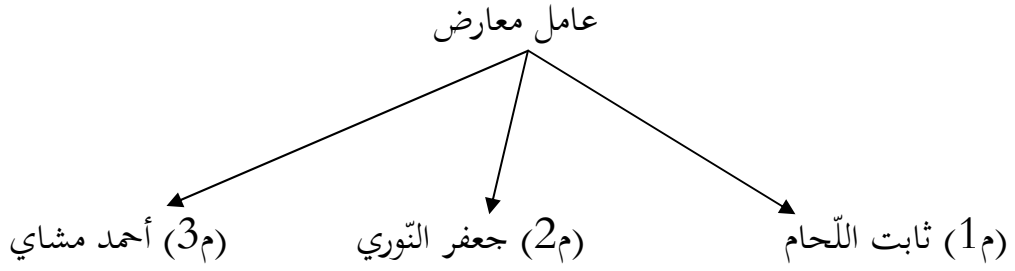

وهؤلاء الممثلون يمكن أن يكونوا في أكثر من شكل عاملي.

وفي نفس الوقت، قد يقوم ممثل واحد بسلسلة من الأدوار العامليّة، ويشتغل على إثر ذلك كحامل لمجموعة من العوامل مثل ما وجد في رواية سفر السّالكين:

[1]- بنكراد سعيد ، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة، دار تينمل للطباعة والنّشر مراكش، ط1 1994، ص83 / 84.

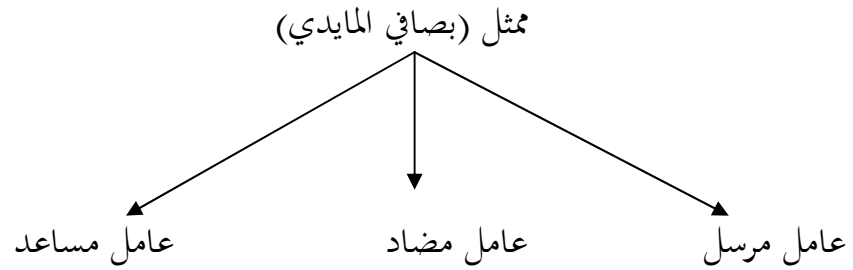

لقد كان بصافي المايدي عاملا مرسلا عندما دفع الهاشمي إلى الاتصال بالفن الشّعبي، وكان عاملا مضادا عندما عارض انتمائة إلى الحضرة الصّوفيّة، أمّا عن المساعد فقد كان مشجا لرابح اللّمة من أجل الزّواج بالمطلقة.

ونجد أيضا في رواية همس الرّمادي بعض الشّخصيات اضطلعت بأكثر من دور عاملي:

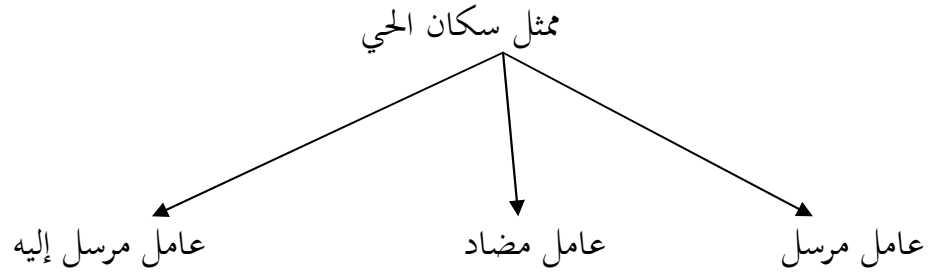

لقد شنّ سكان حي الفرسان هجوما مضادا على عيسى الجبي دافعين به إلى الرّحيل من الحي، لصالحهم (المرسل إليه)، في وقوا كعامل ضديد أمام تحقيق حلمه بفتح كتب للحزب بالحي.

بما أنّ البنية الدلالية تكون سابقة عن التّجلي النّصي في أي عمل أدبي كان، الذي لا يمكن المرور إليه إلاّ من خلالها، وذلك عبر عمليات القلب التي تسمح للعناصر المحايثة من الانتقال من العلاقات إلى العمليات(كنظام عاملي عام)، ثمّ إعطاء هذه العمليّات بعدا سطحيّا حركيّا يتجلّى من خلال الفعل التّركيبي الذي يمنح هذه القيم المجرّدة حركة، وهذا الأمر يقتضي بدوره ذوات ممثلين للقيّام بالفعل، وقد تكون مؤنسنة أو غير مؤنسنة، فالبنية بهذا المعنى ليست التّمثّل الامبريقي للعلاقات الاجتماعية بل تتمثّل في النّموذج الذي يتجسّد من خلال الممارسة الاجتماعية، وهذا

النّموذج محكوم بترابط عناصره المكوّنة والمنسجمة، بحيث يؤدي تغيير أي عنصر إلى تغيير في طبيعة العناصر الأخرى.[1]

حيث يرى غريماس أنّ الخطاب السّردي يقدّم في سطحه عدد من الكائنات الحيّة والكائنات الغير الحيّة، حيث تتصف الكائنات الحيّة بأنّها وحدات مميّزة تسمى(العوامل) في حين تسمّى الكائنات الغير الحيّة (بالمسندات)، وهذه المسندات تقوم على قسمين:

مسندات متحرّكة وتحدّد بالوظائف وأخرى ثابتة تحدّد بالأوصاف، وتعمل المسندات على امتداد الخطاب على اكساء العوامل معناها فضلا عمّا يقدّمه المحور التّوزيعي لهذه الوحدات من بعد نهائي لدلالة تلك العوامل على مستوى النّص[2].

أي أنّ هذه المسندات على علاقة وثيقة بالعوامل سواء فيما يتعلّق بما توصف بها الشخصيّة أو بالوظائف التي تقوم بها، «فالعوامل إذن تكتسب معناها بواسطة المسندات التي تتساوق على امتداد الخطاب تساوقا رأسيّا معيّنة الوحدات الأولى محدّدة مداها الدّلالي»[3] فهي تمنحها مدلولها داخل النّص.

[1]- ينظر: عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، ص25.

[2]-ينظر: العجيمي محمّد ، في الخطاب السّردي، ص37.

[3]- المرجع نفسه، ص37.

خاتـمة

ونخلص في هذه الدراسة والتي تناولت سيميائية الشخصية في روايات محمد مفلاح إلى النتائج التالية:

- السيميائية من أكثر المناهج النقدية استقطابا ولفتاً للانتباه لدى النقاد والباحثين.
- السيميائية لها أصولها المتجذرة في التاريخ والتي ارتبطت بالعلامة؛ من زمن اليونانيين، و أيضاً الرواقيين؛ والذين كانوا السّباقين إلى استنتاج طرفي العلامة (الدال والمدلول)، وبعدهم مرحلة القديس أوغستن، أما العرب فأيضاً تناولوا هذا الموضوع من خلال مؤلفاتهم وخاصة في التأويل والتفسير والشعوذة، وبرزت عند ابن سينا، وابن خلدون، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.
- تضارب المصطلحات حول السيميائية وانحصر أكثرها في مصطلحي (السيميولوجيا، والسيميوطيقا).
- تعدّ الشّخصية من أبرز عناصر السيميائية السردية في النّقد العربي.
- الشخصية في السيميائية السردية لها أصولها الفكرية والتي تعود إلى: الإرث اللساني، نموذج تسنيير، نموذج سوريو، الإرث البروبي، جهود غريماس.
- كانت جهود بروب و غريماس السيميائية منطلقاً أساسيا في مجال الشخصية السردية.
- الشخصية تمثّل حقيقي للفرد والإنسان، ولا يمكن أن نميّزها إلاّ من خلال ما يصدر عنها من صفات أو ما توصف وذلك عبر الملفوظ السردي.
- للشخصية دور فعال في الرواية، ولا يمكن تصوّر رواية بدون شخصيات.
- الشخصية عبارة عن علامة لها وجهان مختلفان؛ الأول هو الدال؛ وذلك من خلال ما تنعت به، والثاني هو المدلول؛ وذلك من خلال الصفات التي تُنتسَب إليها و ما يقال عنها عبر الملفوظ السّردي، أو ما تظهره من سلوكات.
- تكون الشخصيات بمثابة دال لارتباطها بأسماء وصفات تحمل هويتها؛ كرابح اللمة، هواري البني، بصافي المايدي في رواية سفر السالكين.

- ومن أكثر الأسماء الدالة على الشخصيات في رواية سفر السالكين: الهاشمي المشلح، بصافي المايدي، عاشور الزكري، هواري البني، العربي الشيلي..
- للشخصية الروائية أبعاد مختلفة؛ كالبعد الفيزيولوجي الجسمي، والبعد الاجتماعي، البعد النّفسي، البعد الفكري؛ مثل شخصية الهاشمي المشلح؛ والذي كان رجلا قويّاً، ذو العينين البنيتين، والخدّ المشوّه، والأذن اليسرى المبتورة من البعد الجسمي.
- وتتنوّع الشخصية السردية وتتعدّد؛ فهناك شخصيات رئيسية، وثانوية،وشخصيات مدوّرة ونامية، وشخصيات مسطّحة أو ثابتة، وأخرى مرجعية، و إشارية واستذكارية. فمثلاً الشخصيات الثانوية في رواية همس الرمادي (جعفر النّوري، سعاد القمحيّة، المفتّشة سميشة)، ورواية هوامش الرحلة الأخيرة (ساجية، عبد السلام الحي).
- شخصيّات الرّواية المفلاحيّة تنهض بأدوار متقاربة، فتكون في مجملها شخصيات ناميّة، أمّا الشّخصيّات المسطحة فقد كانت الرّوايات المدروسة تعجّ بها، حيث أسهم في دفع حركة الأحداث.
- رسم محمد مفلاح شخصيات رواياته رسما واقعيا يمدّ بصلة لمدينة غليزان، كانت بعض الشّخصيات تتكلّم بالعاميّة والأغلبيّة باللّغة الفصحى، إضافة إلى أنّه وظّف التّراث الشّعبي بكثرة.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء نظرة بسيطة عن التّمظهرات الدّلاليّة للشّخصيات في الرّواية المفلاحيّة، أمّا النّتائج التي خرجنا بها ماهي إلاّ تلميحات في مجال رحب يستدعي العديد من البحوث.

ملحق

محمد مفلاح السّيرة الحياتيّة:

مولده ونشأته:

محمد مفلاح روائي وقاص وباحث في التّاريخ، من مواليد 28 ديسمبر1953م بولاية غليزان، نشأ في عائة متواضعة، تلقى تعليمه في مسقط رأسه.

بدأ اهتمامه بالكتابة في سنّ المراهقة في شكل محاولات قصصيّة، حيث قال: «بدايتي في عالم الكتابة كانت مع القصّة القصيرة التي مارستها وعمري أربع عشر سنة»[1] وبعد احتكاكه بالصّحافة الأدبيّة، وتعرّفه على صحف ومجلاّت ثقافيّة، استطاع الولوج في عالم الكتابة بشكل جدّي حيث تمكّن بعد مراسلات كثيرة، من إظهار بعض إنتاجاته.

إذ يقول في هذا: «وبعد عدّة مراسلات ظهر إنتاجي في بعض المجلاّت والجرائد منها: (الوحدة)، و(الجزائريّة)، وملحق (النّادي الأدبي) لجريدة الجمهوريّة، ومجلّة (آمال) التي كانت من أهم الفضاءات الثّقافيّة التي احتضنت قصصي القصيرة، كما نشرت لي رواية "الانفجار" التي نلت عنها سنة 1982م جائزة بمناسبة الذّكرى العشرين للاستقلال، بالإضافة إلى نشر فصل واحد من روايتي (النّفس الأخير) تحت عنوان (عمّار السّرجان) »[2] لكن أعماله لم تقتصر في بدية مشواره على كتابة القصة فحسب وإنّما كان له أيضا مشاركة في كتابة التّمثيليّات الإذاعيّة والمسرحيّات والمقالات.

ثمّ توجّه اهتمامه بعد ذلك نحو الرّواية بشكل خاص بعد تأثره وإعجابه بأدباء عالميين، خاصة بعد اطّلاعه على رواية"ريح الجنوب" للرّوائي عبد الحميد بن هدوقة، و(اللاّز) للرّوائي طاهر وطّار، حيث ترعرعت في نفسه رغبة جامحة في إنجاز عمل إبداعي تدور أحداثه حول مدينته بروح واقعيّة، وبعد عصارة فكر وجهد استطاع الكاتب نشر أوّل رواية له باسم (الانفجار).[3]

---

[1] محمد مفلاج ، في تجربة الكتابة، دار الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، 2015 ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص15.

ثمّ صدرت له بعدها ثلاث روايات مميّزة، وهي: (هموم الزّمن الفلاقي) التي نلت عنها سنة 1984 الجائزة الأولى بمناسبة الذّكرى الثّلاثين لاندلاع الثّورة التّحريريّة، و(زمن العشق والأخطار) الصّادرة سنة 1986، ثمّ (خيرة والجبال) المنشورة سنة1988.[1] كما كان له مشاركة في النّشاطات السّياسيّة من خلال انتمائه النّقابي في فترة التّسعينات.

أعمال محمد مفلاح:

لقد تنوعت إصدارات محمد مفلاح بتنوّع مشاربه وثرائها (التّاريخ والأدب والسّياسة)، فتراوحت بين الرّواية والقصة القصيرة، وقصص الأطفال والفتيان، وأبحاث في التّاريخ والتّراجم نعدّدها كالآتي:

1- في الرّواية:

- رواية الانفجار.
- بيت الحمراء.
- زمن العشق والأخطار.
- هموم الزّمن الفلاقي.
- الانهيّار.
- خيرة والجبال.
- الكافية والوشّام.
- الوساوس الغريبّة.

[1]- ينظر:محمد مفلاح، في تجربة الكتابة، ص15.

- عائلة من فخار.

- شعلة المايدة.

- انكسار.

- هوامش الرّحلة الأخيرة.

- سُفاية الموسم (الدّروب المتقاطعة).

- همس الرّمادي.

- سفر السّالكين.

- الكوليدور.

2- في القصة القصيرة:

- السّائق.

- أسرار المدينة.

- الكراسي الشّرسة.

3- في قصص للأطفال والفتيان:

- معطف القط مينوش.

- مغامرات النّملة كحليّة.

- وصيّة الشّيخ مسعود.

- اللّؤلؤة.

- قصص الحيوانات.

4- في أبحاث التّاريخ والتّراجم:

- شهادة نقابي.

- سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 المندلعة في منطقة غليزان.

- أعلام من منطقة غليزان.

- شعراء الملحون بمنطقة غليزان (تراجم ونصوص).

- غليزان مقاومات وثورات من 1500 إلى 1914.

- مراكز التّعليم العربي الحر في مدينة غليزان.

- جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان.

- من تاريخ الطّريقة الرّحمانيّة في منطقة غليزان وضواحيها.

أعمال محمد مفلاح (تحت الطّبع):

- صالح باي بايات قسنطينة (قصة للفتيان).

- اللاّعب الماهر (قصة للفتيان).

- الأرنب المعتوه وقصص أخرى (للأطفال).

- الحركة النّقابيّة من البدايات إلى غاية 1990.

الجوائز التي تحصّل عليها محمد مفلاح:

- الجائزة الوطنيّة الثّانيّة للمسابقة الخاصة بالرّواية بمناسبة الذّكرى العشرين للاستقلال 3جويلية1982، عن رواية الانفجار.

- الجائزة الأولى للمسابقة الخاصّة بالرّواية بمناسبة الذّكرى الثّلاثين للثّورة التّحريريّة، سنة 1984 عن رواية (هموم الزّمن الفلاقي).

- الجائزة الدّوليّة الكبرى للأدب، في اللّغة العربيّة، ملتقى ثقافات العالم، ولاية الجزائر سن 1984.

لقد حظي الرّوائي الباحث محمد مفلاح اهتماما كبيرا من قبل كبار النّقاد والباحثين، أمثال النّاقد والأديب عبد الحفيظ بن جلولي الذي نشر كتابا عن تجربته الرّوائيّة، درس فيه جلّ أعماله الرّوائيّة، كما أعدّ الرّوائي عزّ الدّين جلاوجي كتابا أسماه (سلطة الواقعيّة في أدب محمد مفلاح)، وهو تحت الطّبع، وحظي في 2009 بتكريم في الملتقى الدّولي للرّواية (عبد الحميد بن هدّوقة).

ثبت المصطلحات

ثبت المصطلحات

المصطلح بالعربية	المصطلح بالأجنبية
الاستدلال	Inférence
الأفعال	Les actions
الانجاز	Performance
الايقونة	Iconique
البرناج السردي	Programme narratif
التحريك	Manipulation
التحويل	Transformation
الثوابت	Invariantes/constantes
الجزاء	Sanction
الحكاية	Conte
الحكي	Récit
الدال	Signifiant
دليل	Signe
الذات	Sujet
الرمز	Le symbole
السرد	Narration
السيم	Seme
سيميائيات	Sémiotic
السيميائية	Sémiotique
السيمين	Sémes
سيميولوجيا	Sémiologie semiology

Personnages	الشخصيات
Forme	الشكل
Image acoustique	الصورة الذهنية
Signe	العلامة
Sujet	الفاعل
Faire	فعل
La compétence	الكفاءة
Immanence	المحايثة
Signifie	المدلول
Le carré sémiotique	المربع السيميائي
parcours narratif	المسار السردي
Enoncé	الملفوظ
Morphologie	مورفولوجيا
Sysstéme	النسق
Le modèle actantielles	النموذج العاملي
Fonction	الوظيفة

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية حفص

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- محمد مفلاح: همس الرمادي، دار الكتب، الجزائر، 2013.
- هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتب، الجزائر، 2012.
- سفر السالكين، دار الكوثر للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر، 2014.

2- المراجع العربية:

- إبراهيم عبد اللّه ، السّرديّة العربيّة الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النّشأة،المركز الثّقافي العربي ط1 2003.
- ابن غنيسة نصر الدين ، فصول في السّيميائيّات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، ط1 2011.
- ابن مالك رشيد ، السّيميائيات السّردية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان ط1 2011 /2012.
- اسكندر غريب ، الاتّجاه السّيميائي في نقد الشّعر العربي، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية د.ط 2002.
- البحراوي حسن ، بنية الشّكل الرّوائي الفضاء الزّمن الشّخصيّة، المركز الثّقافي العربي، ط1 1990.
- بدري أحمد النّاوي ، خصائص الكتابة الرّوائية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1 2015.
- بناجي ملاح ، آليات الخطاب النّقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائريّة (دراسة في قراءة القراءة)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع د.ط 2002.
- بنكراد سعيد ، السّيميائيّة والتّأويل، مدخل السّيميائيّات ش.س.بورس، الدّار البيضاء المغرب، ط1 2005م.

- بنكراد سعيد، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقها، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء،ط1 2003.
- بنكراد سعيد، سيميولوجيا الشّخصيّات السّرديّة ("رواية الشّراع والعاصفة" لحنّا مينه نموذجا)، دار مجدلاوي ط1 2000م.
- بنكراد سعيد، السّيميائيّة السّرديّة مدخل نظري، مطبعة النّجاح الجديدة الدار البيضاء، د.ط 2001.
- بنكراد سعيد، مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة، دار تينمل للطباعة والنّشر مراكش، ط1 1994.
- بويجرة بشير محمد، بنية الزّمن في الخطاب الرّوائي الجزائري(1970-1986)، منشورات دار الأديب الجزء الثّاني طبعة 2008م.
- بوخاتم مولاي حاتم ، الدّرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح ديوان المطبوعات الجامعية د.ط 2005.
- بورايو عبد الحميد ، التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي(دراسة لحكايات من "ألف ليلة وليلة) دار الغرب للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
- بوشفرة نادية ، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، 2008.
- بوطاجين السعيد ، الاستعمال العاملي، دراسة سيميائية (غدا يوم جديد لان هدوقة ، عينة)، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.
- بوعزّة، تحليل النّص السّردي (تقنيّات ومفاهيم)، الدّار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2010.
- الجبوري محمد فليح ، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 2013.
- الحتي حنا نصر ، قاموس الأسماء العربيّة والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2003.

- حسن أحمد نفلة ، التّحليل السّيميائي للفن الرّوائي دراسة تطبيقيّة لرواية الزّيني بركات، "كلية التّربية جامعة كركوم، دار الكتب والوثائق القوميّة د.ط 2012.
- حنا داوود، الشّخصيّة بين السّواد والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، د.ط 1991.
- الخفاجي أحمد رحيم كريم ، المصطلح السّردي في النّقد الأدبي العربي الحديث، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، ط1 2012
- الخفاجي أحمد رحيم كريم، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء- المغرب- ط1، 2003.
- شرشار عبد القادر ، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص ص، منشورات الدّار الجزائريّة ط1 2015
- شرشار عبد القادر مدخل إلى السيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات) منشورات الدار الجزائرية، ط1، 2015.
- شيباني عبد القادر فهيم ، السّيميائيّات العامة أسسها ومفاهيمها، الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى 2010.
- طالب أحمد، المنهج السّيميائي"من النّظريّة إلى التّطبيق" دار العرب للنّشر والتّوزيع د.ط، د.ت.
- عثامنة فايز صلاح ، السرد في رواية السّيرة الذّاتية العربية ، الورّاق للنّشر والتّوزيع ، ط1 ، 2014.
- عزّام محمد ، شعرية الخطاب السردي دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005.
- عقاق قادة ، الخطاب السّيميائي السّردي في النّقد المغاربي دراسة، دار الألمعيّة للنّشر والتّوزيع ط1، 2014.
- عياشي منذر ، العلاماتيّة وعلم النّص، المركز الثّقافي الدّار البيضاء، ط1 2004.

- عيلان عمر ، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق، ط2 ،(2008م).
- فاخوري عادل ، تيّارات في السّيمياء ، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر لبنان ط1 1990
- فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – د.ط 1996.
- فضل صلاح، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) دار الغرب ، وهران، د.ط، 2005.
- لحميداني حميد ، بنية النص السّردي من منظور النّقد الأدبي المركز الثّقافي العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع ط1 1991 .
- محفوظ عبد المجيد ،آليات إنتاج النّص الرّوائي، نحو تصور سيميائي ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف الجزائر ط1 ،2008.
- محفوظ نجيب ، نماذج الشّخصيات المكرّرة ودلالتها في رواياته، د.عودة الله منيع القيسي، دار اليازوري للنّشر والتّوزيع الأردن،ط2004.
- محمد النّصر العجيمي، في الخطاب السّردي، نظرية قريماس الدّار العربيّة للكتاب، د.ط 1991.
- محمد سالم محمد الأمين الطّلبة، مستويات اللّغة في السّرد العربي المعاصر (دراسة نظريّة تطبيقيّة في سيمانطيقا السّرد)، مؤسّسة الانتشار العربي، ط1 2008.
- محمد عدي عدنان ، بنية الحكاية في بخلاء الجاحظ دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، دار نيبور العراق، د.ط، 2011م.
- مرتاض عبد المالك ، تحليل الخطاب السّردي،معالجة تفكيكية سيمائية: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن" ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د.ط 1995.

- المرزوقي سمير شاكر وجميل ،مدخل إلى نظريّة القصة تحليلا وتطبيقا، دار الشّؤون الثّقافيّة بغداد، د.ط 1986.
- المسدي عبد السّلام ، مباحث أساسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد للنّشر والتّوزيع، ط1-2010.
- المسدي عبد السلام، نظرية البنائيّة في النّقد الأدبي، دار الشّروق، ط1 1998.
- النّعيمي فيصل غازي ، العلامة والرّواية دراسة سيميائيّة في ثلاثيّة أرض السّواد لعبد الرّحمان منيف، دار مجدلاوي، ط1 2009.
- هلال محمد غنيمي ، النّقد الأدبي، دار النّهضة، مصر- ط7- 2007.
- وغليسي يوسف ، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقد العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1 2008.

3- المراجع المترجمة:

- آن إينو وآخرون، السّيميائيّة، الأصول، القواعد، التّاريخ ، تر: رشيد بن مالك، تقديم: عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع ط1 2008.
- إيكو أمبرتو: السيميائية وفلسفة اللّغة، ترجمة د. أحمد الصّمعي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1 2005م.
- بارت رولان ، النّقد البنيوي للحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات بيروت، ط1 1988.
- بارت رولان النذقد البنيوي للحكاية، ترجمة:أنطوان أبو زيد منشورات عويدات بيروت ط1 1988.
- برنس جيرالد ، علم السّرد،الشّكل والوظيفة في السّرد، تر: باسم صالح، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2012.
- بروب فلاديمير ، مورفولوجيا القصة، شراع للدراسات والنّشر والتّوزيع دمشق ط1 1996.

- بول كوبلي وليتسا جانز، علم العلامات، تر: جمال الجزيري، المشروع القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1 2005م.
- تشارلز دانيال ، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهبة مراجعة، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008.
- تودوروف خريستو ، نقد مفهوم (علم الأدب) عند رولان بارت، تر: د.حسبن جمعة الآداب الأجنبية.
- دولودال، السّيميائيّات أو نظريّة، تر: عبد الرّحمان بوعلي، دار الحوار للنّشر والتّوزيع سورية، ط1 2004.
- دي سوسير فردينان ،علم اللّغة العام، تر: يؤيل عزيز مراجعة النّص العربي، مالك يوسف المطلبي ،دار آفاق عربية، د.ط ، د.ت.
- شولز روبرت ، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب د.ط 1984.
- كريستيفا جوليا ، علم النّص، تر: فريد الزّاهي مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنّشر المغرب، ط1 1991.
- كنعان شلوميت ريمون ، التّخييل القصصي الشّعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع الدّار البيضاء ط1 1995.
- كورتيس جوزيف: مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابية ترجمة: جمال حضري منضورات الاختلاف ط1 2007.
- كوكي جان كلود ، السّيميائيّة مدرسة با ريس، تر: رشيد بن مالك، دا ر الغرب للنّشر والتّوزيع، د.ط د.ت
- هامون فيليب، سيميولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة ترجمة: سعيد بنكراد تقديم: عبد الفتّاح كيليطو دار كرم اللّه للنّشر والتّوزيع د.ط د. ت.

- وين فريدرهوبر، مدخل إلى سيكولوجية الشّخصية، ترجمة مصطفى عشري، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-دط- 1995.

4- المراجع الأجنبية:

-Algirads julien Greimas Sémantique structurale Ed larousse paris 1976

- Claud BremondM Logique de récit editions du seuil ; paris , 1973.

-j. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive

- Joseph courtes introduction à la sémiotique narrative et discursive Ed Hachette paris 1976

- Vladimir Propp Morphologie du conte éd lacob paris 6 1973.

5- المعاجم والقواميس:

- أبادي الفيروز ، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية الأردن، ط1،دت.
- ابن مالك رشيد ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، دار الحكمة، د.ط .2000
- ابن مالك رشيد ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيات للنّصوص، دار الحكمة .2000
- ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الأوّل الجزء التّاسع.

- الأحمر فيصل ، معجم السّيميائيّات، الدار العربية للعلم ناشرون منشورات الاختلاف ط1 2010.
- برنس جيرالد، قاموس السّرديّات، تر: السّيد إمام، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، 2003.
- الخمّاش سالم سليمان ، المعجم وعلم الدّلالة (للطّلاّب المنتظمين والمنتسبين)، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة جامعةالملك عبد العزيز بجدّة، د.ط.
- زيتوني لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرّواية- عربي، انجليزي،فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1- 2002
- شارودو باتريك - منعنو دومينيك ، معجم تحليل الخطاب، عبد القادر المهيري، حمّادي صمودن المركز الوطني للتّرجمة، تونس 2008.

6- الدوريات والمجلات والملتقيات:

- مجلة المخبر العدد السّابع ، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري جامعة محمد خيضر- بسكرة- الجزائر 2011.
- مجلة الموقف الأدبي.
- مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج5، ع2، 2010..
- مجلة دراسات جزائرية، العدد 6 2008 مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر جامعة وهران.
- مجلّة سيميائيّات مختبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب العدد (5) 2015م.
- الملتقى الوطني الرّابع "السّيمياء والنّص الأدبي.

7- الرسائل الجامعية:

- أحمد زاوي ، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه، 2014 /2015

- يوسف أحمد ، سيميائيّة جوزيف كورتاس أسسها النّظريّة وآفاقها التّطبيقيّة مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب 2002/ 2003.

8- المواقع الإلكترونية:

- www.almaany.com/ar/dict/ar/ar
- www. Almaany. Com ar dicta r/ar
- www. Maajim. Com /dictionary

فهرس الموضوعات

مقدمة

مدخل : السّيمياء إشكالية الأصول والمصطلح ص6

1- أصول السيميائيات

أ- عند الغرب ص6

ب- عند العرب ص9

2- بين السّيميولوجيا (sémiologie)والسّيميوطيقا(sémiotique)

أ- سيميولوجيا دي سوسير ص11

ب- سيميوطيقا شارل سندرس بيرس(Sharles sanders peirce) ص15

3- إشكالية تناول المصطلح ص20

- مفاهيم اصطلاحيّة في التّحليل السّيميائي السّردي ص24

I/الفصل الأول: السّيميائية السّردية ومفهوم الشّخصية:.....ص33

1- موضوع السّيميائيّة السّرديّة (sémiotique narrative) ص33

2- المنطلقات المعرفيّة لغريماس ص34

1- الإرث اللّساني ص34

2- نموذج تسينيير Tesniére ص37

3- نموذج سوريو ص38

4- الإرث البروربي ص39

- الجهود الغريماسيّة السّيميائيّة ص44

1- المربع السّيميائي ص45

2-النّموذج العاملي(le modèle actantielles) ص50

أ- كنسق(sysstéme) ص50

ب - كإجراء(Procés) ص54

التحريك أو المناورة ص54

الكفاءة(La compétence): ص55

الإنجاز(Performance) ص56

الجزاء(Sanction) ص58

2-مفهوم الشّخصيّة ص59

تمهيد ص59

- الفرق بين الشّخصية والشّخص ص60

مفهوم الشّخصية ص62

أ- لغة ص62

ب– اصطلاحا ص64

مفهوم الشّخصيّة في السّيميائيّات السّرديّة ص68

1– عند فلاديمير بروب ص68

2– عند كلود بريمون(Cloude Bremond) ص71

عند سوريو.....ص72

عند غريماس ص74

عند فيليب هامون ص76

II/الفصل الثّاني: دال ومدلول الشّخصيّة وأنواعها: ص80

دال ومدلول الشّخصيّة ص82

1– دال الشّخصيّة ص82

أ– الاسم ودلالته على الشّخصيّة ص83

أبعاد الشّخصيّة ص91

أبعاد الشخصيات في روايات محمد مفلاح ص94

مدلول الشخصية ص108

مدلول نسق العنوان والشخصية ص113

رواية سفر السالكين ص114

هوامش الرحلة الأخيرة ض115

أنواع الشّخصية .....ص117.

الشّخصية الرّئيسية ص117

الشّخصيّات الثانويّة ص118

– الشّخصية المدورة أو النّامية **personnage rond** ص121

– الشّخصية المسطحة أو الثّابتة **personnage plat** ص122

1– الشّخصية المرّجعية (**personnage référentiel**) ص124

أ– الشّخصية التّاريخية ص124

ب– الشّخصية التّناصية ص125

الشّخصية المرجعية الذّاتية ص126

2– الشّخصية الإشارية أو الواصلة ص126

الشّخصية الاستذكارية ص127

III/الفصل الثالث: الشّخصيّة من المستوى السّطحي إلى المستوى العميق:.....ص131

1 – الشّخصيةّ بين التّجريد والفعل الحدثي ص131

2– البرنامج السردي ص139

3– مراحل البرنامج السّردي ص146

1– التّحريك Manipulation ص147

2– الكفاءة: compétence ص151

3– الإنجاز: ص152

4– التّقويم ص160

– الشّخصيّة من الدّور العاملي إلى الدّور الثيمي ص161

خاتمة ص166

ملحق ص169

ثبت المصطلحات ص175

مكتبة البحث ص178

فهرس الموضوعات ص188

ملخّص

لقد خَطَت السّيميائيات شَوطاً واسعاً في الخطاب السَّردي عامة، والخطاب الروائي خاصة، مُنتهجة لنَفسها قواعد وقوانين استمدّتها من أصول مُختلفة (لسانية، وشكلانية، وغيرها)، مُتناولة كلّ العناصر المكوّنة للمتن الروائي؛ من زَمن، ولغة، ومكان، وشخصية؛ خاصة هذه الأخيرة التي تعدّ عِمَاد الرواية؛ بها يكتسب المكان حَركيته، والزمن دلالته، واللغة وظيفته؛ وقد عملت معاملة مختلفة عن المفهوم التقليدي عند السيميائيين معتمدين منطلقين؛ من نظرة بروب الذي اعتبرها عُنصرا ثانوياً، يتمثّل دوره في القيام بالوظيفة؛ وعلى إثر ذلك اعتبرها غريماس عنصراً مجرَّداً؛ يمكن أن يكون حيواناً أو إنساناً أو شيئاً، أو قيمة مجرّدة. وتمحور ملخّص البحث في ما حوته فصوله من مفاهيم وإجراءات ومقاربات لروايات محمد مفلاح، النماذج المختارة (همس الرمادي-هوامش الرحلة الأخيرة-سفر السالكين): الفصل الأوّل: جاء معنونا بـ: السّيميائية السّردية ومفهوم الشّخصيّة. هو عبارة تقديم نظري تناولنا فيه بعض المنطلقات المعرفيّة للسيميائية السّردية، ثمّ تعرّضنا إلى مفهوم الشّخصية. الفصل الثّاني: جاء معنونا بـ: دال ومدلول الشّخصية وأنواعها. وقفنا فيه على دال ومدلول وأنواع الشّخصيّة التي زخرت بها روايات محمد مفلاح. الفصل الثالث: جاء معنونا بـ: الشّخصيّة من المستوى السّطحي إلى المستوى العميق.هو فصل تطبيقي حيث حاولنا من خلاله تطبيق النّموذج العاملي على الرّوايات المفلاحيّة، والوقوف على أهم التّمظهرات الدّلالية العميقة لمكوّن الشّخصية.

الكلمات المفتاحية:

سيميائية؛ سيميولوجيا؛ سيميوطيقا؛ السرد؛ الشخصية؛ الرواية؛ المربع السيميائي؛ السيميائية السردية؛ محمد مفلاح؛ النّموذج العاملي.

نوقشت يوم 14 نوفمبر 2016